محمد بن ناصر العبودي

في

الرحلات الصينية

# فوق سقف الصين

## رحلة في الشمال الغربي من الصين

## وحديث عن المسلمين

الطبعة الأولى

الرحلات الصينية

# فوق سقف الصين

## رحلة في الشمال الغربي من الصين وحديث عن المسلمين

بقلم

**محمد بن ناصر العبودي**

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

ⓒ محمد ناصر العبودي، ١٤٢٤هـ

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

العبودي، محمد ناصر

فوق سقف الصين./ محمد ناصر العبودي- الرياض، ١٤٢٤هـ

٢٣٥ ص ، ٢٥ سم

ردمك : ٤-٠٣٢-١٠-٩٩٦٠

١ - الصين- وصف ورحلات أ - العنوان

ديوي ٩١٤،١٠٤ ١٤٢٤/١٥٢٠

رقم الايداع : ١٤٢٤/١٥٢٠

ردمـــك : ٤-٠٣٢-١٠-٩٩٦٠

رقم الايداع : ١٤٢٤/١٥٢٠

ردمـــك : ٤-٠٣٢-١٠-٩٩٦٠

مطبعة العلا ت: ٤٨٣٤١٧١- ٤٨٣٣٣٣٤

## كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين – نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين – نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية – طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين – الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام

١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - صبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في

جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية.

(٧١) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون

الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين.

(٧٧) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) « العودة إلى ما وراء النهر » جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٨٠) « فوق سقف الصين » رحلة في الشمال الغربي من الصين وحديث عن المسلمين، وهو هذا الكتاب.

## مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨١) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٢) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٣) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٤) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٥) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٦) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٧) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٨) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٩) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٠) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩١) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٢) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٣) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٤) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٦) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٩٧) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٨) واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٩٩) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٠)الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠١)(( حِكَمُ العوام ))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٢)في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٣)حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه.

أما بعد، فإن هذه هي السفرة الثالثة إلى الصين:

وأريد أن أعتذر في البداية عن هذا التعبير (السندبادي) الذي لم أقصده، وإن كانت سفرتنا هذه بالذات تشبه من حيث الطريق إلى الصين طريق السندباد - إن كان السندباد حقيقة - وكان طريقه بالفعل هو ما ذكر في (ألف ليلة وليلة).

فقد بدأت هذه السفرة من الرياض إلى البحرين، ومن البحرين انطلقنا جنوباً إلى مسقط في عمان، ومعلوم أن البحرين ليس هو بالبحرين العريق المعروف في التاريخ بهذا الاسم، بل هو جزيرة في البحر كانت تسمى (جزيرة أوال) على وزن هلال.

وأما (البحرين) فإنه ما نعرفه الآن بمنطقة الظهران الذي يشمل الأحساء والقطيف إلى حدود قطر التي تفصل بين البحرين وعمان.

ومن (مسقط) توجهنا إلى (هونغ كونغ) ببلاد الصين، حتى وإن كانت الآن مستعمرة بريطانية ستؤول إلى الصين، أو لنقل: إنها سترجع إلى أحضان الصين فتصبح من الناحية الرسمية كما هي من الناحية الجغرافية واللغوية جزءاً من الصين.

أما السفرة الأولى إلى الصين فكانت في عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وكان طريقها من كراتشي في بلاد السند التي صارت جزءاً من

باكستان، ومنها إلى (خان بالق) التي صار اسمها بكين، وهي عاصمة الصين ذات الألف مليون من الآدميين، بل إنها تزيد على ذلك بخمسين أو ستين وما قيمة خمسين مليوناً أو ستين مليوناً من البشر في خضم الألف مليون؟.

إنها لن تكون إلا كمياه النهر العظيم عندما تصب في المحيط الأعظم فتضيع فيه من دون أن تؤثر في أي ناحية من نواحيه، بل إنها لا تعدّ شيئاً إلا كما تعد القطرة في حوض من الماء كبير.

وقد شملت السفرة الأولى مقاطعات عدة من مقاطعات الصين، والمقاطعة عندهم بمثابة الولاية في الولايات المتحدة الأمريكية، أو الولايات الهندية، وإن كانت تفترق عنها في كون الصين دولة موحدة، وليست اتحادية.

فكان النزول آنذاك في بكين، ومنها رأينا سور الصين العظيم، وانتقلنا بعد ذلك إلى مقاطعة سينكيانغ - كما كانت تعرف من قبل - وقد صارت الآن (شنجاك) عند الصينيين، وهي التي نسميها - نحن المسلمين - تركستان الشرقية، وكنا نظن أنها ستصبح مستقلة، أو على الأقل ستملك من أمرها شيئاً يؤهلها لتنمية ثقافتها الإسلامية العريقة قبل أن يتيسر ذلك لشقيقتها تركستان الغربية التي يحكمها الروس.

غير أن الأمر لم يكن كذلك، بل كان بعكس ذلك، فاستقلت تركستان الغربية، وإن كان استقلالها بأسماء أخرى كلها ينتهي آخرها باسم (ستان) مثلما انتهى آخر كلمة (تركستان)، فصارت:

(أوزبكستان)، و(قازاقستان)، و(قيرغزستان)، و(تركمانستان).

و(ستان) – كما قد تكون عرفت - هي كلمة فارسية دخلت إلى التركية، معناها: بلاد. وهي قديمة الاستعمال إذ استعملت في العربية في أواخر القرن الأول الهجري، كما قال الباهلي:

**وإن لنا قبرين: قبر بلنجر**

**وقبراً (بصين ستان) يا لك من قبر**

وبلنجر في بلاد داغستان في جبال (القوقاز)، وأما (صين ستان) فهي بلاد الصين.

وقد ترجم ياقوت في كتابه (معجم البلدان) الذي كتبه قبل ثمانية قرون كما هو معروف لتركستان، وذكر أنها بلاد الترك.

وكتبت عن زيارتي لتركستان الشرقية أو سنكيانغ كتاباً أسميته (في مهد الترك)، وأما عن رحلاتي في تركستان الغربية، فقد كتبت عنها عدة كتب، منها ما هو مطبوع مثل كتاب: (في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر)، وكتاب: (يوميات آسيا الوسطى)، ومنها ما هو مخطوط مثل: (العودة إلى ما وراء النهر)، و(حديث قازاقستان).

ومن مقاطعة سنكيانغ أو تركستان الشرقية انتقلنا في سفرتنا الأولى للصين، إلى مقاطعة كان صو، ومن هناك سافرنا بالقطار إلى مقاطعة (نن تشا) التي عاصمتها (ين تشوان) في شمال الصين، وزرنا فيها عدة محافظات، والمحافظات هي الأجزاء الإدارية داخل المقاطعة الواحدة.

وكان الهدف من زيارة المحافظات المذكورة هو الاطلاع على أحوال

المسلمين، وما يحتاجون إليه في مشروعاتهم الإسلامية مثل: المساجد والمدارس التي لم يكن قد سمح بإنشائها مستقلة، وإنما كانوا ينشئونها في فصول ملحقة بالمساجد.

ثم عدنا إلى مقاطعة (كان صو) فزرنا عدة محافظات فيها، أهمها: (لن تشا) التي تدعى عاصمتها عند المسلمين بلقب (مكة الصغيرة)، وتسمى خوتشو، ثم تغير اسمها تبعاً لعادة الصينيين في تغيير أسماء المدن إلى أسماء عديدة على مر العصور، بل حتى في العصور القريبة كما هي على سبيل المثال حال عاصمتهم (بكين).

وقد كتبت عن الرحلة في هذه المقاطعات والمحافظات كتاب: (داخل اسوار الصين) الذي طبع في مجلدين.

ومن مقاطعة (كان صو) التي تقع في الشمال الغربي من الصين توجهنا بالطائرة صوب الجنوب إلى مدينة شنغهاي كبرى مدن الصين، وكانت قبل الحكم الشيوعي تعتبر أكبر مدينة في العالم، فتجولنا فيها وما حولها، ثم سافرنا منها إلى مدينة (كانتون) كما تعرف بالإنكليزية، وإن كان الصينيون يسمونها في الوقت الحاضر (قوانقتشو)، وكانت لها عندهم أسماء عدة متعاقبة.

وقد سماها ابن بطوطة عندما زارها في القرن الثامن الهجري (صين كلان) ومعناها: الصين الكبير، لأن (كلان): كبير باللغة الفارسية، كما أسماها (صين الصين) بمعنى الصين الخالصة.

وقد كتبت عن ذلك كتاب في « جنوب الصين » الذي طبعته رابطة

العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

**السفرة الثانية:**

أما السفرة الثانية فقد كانت في عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بدأت بالعاصمة بكين، وزرنا بعدها بالسيارات المدينة الثالثة في الصين من حيث عدد السكان، وهي (تيانجين)، ثم عدنا إلى بكين حيث انتقلنا بالطائرة إلى مدينة شنغهاي الكبيرة في مرور خاطف بها، لأن هدفنا هو زيارة مقاطعة (يونان)، فلبثنا وقتاً في عاصمتها (كون منغ)، ومنها انتقلنا بعد انتهاء زيارة يونان إلى مدينة (كانتون) حيث لبثنا فيها بعض الوقت، وعادرناها في النهاية إلى (هونغ كونغ) وكتبت عن هذه السفرة كتاب (العودة إلى الصين).

وهذه السفرة الثالثة من المقرر ان نذهب فيها بعد بكين إلى مقاطعة (شنغ هاي)، ثم نذهب بالسيارات إلى مدينة (لان تشو) عاصمة مقاطعة (كان صو)، ثم ننتقل منها إلى مدينة (تشنغ دو)، وقد رأيت كتابتها (شنغ دو) بدلية من (تشنغدو) جرياً على عادتهم في كتابة لغتهم ذات المقاطع التي تتألف من حرفين أولهما متحرك وثانيهما ساكن.

وهي عاصمة مقاطعة (سي تشوان) ومن هناك نتوجه بالطائرة إلى مدينة (لاسا)، وهي عاصمة مقاطعة (التبت) العريقة المشهورة في كتبنا الثقافية العربية القديمة، وإن كنا نكتبها بتشديد الباء. وتقع في جبال الهملايا في أقصى حدود جمهورية الصين كما هو معروف. ومن مقاطعة التبت نعود جنوباً شرقياً إلى مقاطعة (سي تشوان) في غرب الصين، ثم منها نسافر جواً إلى مقاطعة (شن شي) فنزور عاصمتها العريقة (تشيان) التي

كانت عاصمة قديمة للصين لعدة قرون قبل أن تصبح عاصمتها بكين.

وفيها الآن مسجد من أهم المساجد وأجملها في الصين كلها رأيت كثيراً من السياح الأوروبيين يسافرون إليها من أجل الاطلاع على ما فيها من معالم سياحية ومنها هذاالمسجد.

والحديث الآن عما سيكون في هذه السفرة سابق لأوانه، لأنها لا تزال في ضمير الغيب، وإنما نسأل الله تعالى أن يتم ذلك بالخير والفائدة التي نرجوها للإسلام والمسلمين في هذه البلاد.

**الغرض من الرحلة:**

والقصد من الرحلة هو الاطلاع على الأوضاع الحاضرة للمسلمين في بعض المقاطعات الصينية، ومعرفة ما استجد منها، ومساعدة المشروعات الإسلامية التي نراها هناك.

وذلك أن رابطة العالم الإسلامي التي أعمل فيها في وظيفة (الأمين العام المساعد) تتلقى العديد من الطلبات التي تذكر مشروعات إسلامية، أو تتحدث عن جامعات إسلامية موجودة، ولا تستطيع توثيق بعض ما جاء فيها إلا عن طريق اطلاع المسؤولين فيها اطلاعاً شخصياً على مجمل الأوضاع المحيطة بالمسلمين، وعن شؤون العمل الإسلامي المسموح به.

فضلاً عن كون الاتصال بالإخوة المسلمين اتصالاً شخصياً أمر ضروري لتقدير الأمور تقديراً صحيحاً إذ وصول وفد من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة إليهم هو أمر ذو همية عظيمة لهم، وبخاصة إذا كان المسؤول عن الوفد رفيع المرتبة الوظيفية في الرابطة، وإذا أحسن

التحدث إليهم عن الروابط الإسلامية الوثيقة التي تربط بين المسلمين، وبين لهم أن أخوة الدين أعظم من أخوة النسب، لأنها تعتمد على العواطف الجياشة التي تتحد فيها الآمال والآلام.

وقد تقرر أن يكون وفد رابطة العالم الإسلامي إلى الصين في هذه الرحلة برئاستي، كما كان الوفدان الأسبقان، ومعي هذه المرة الأخوان الدكتور سعيد بن محمد باديب، والأستاذ رحمة الله بن عناية الله المختص بشؤون المسلمين الصينيين في الرابطة.

وقد حملنا معنا مبالغ نقدية من المال بالدولارات الأمريكية لإعطاء المسلمين المسؤولين عن المشروعات الإسلامية من المساجد والمدارس ونحوها إعانات مالية عاجلة من الرابطة، وإن كانت تلك الإعانات قليلة.

وذلك لا يمنع من إرسال معونات مالية مجزية بعد ذلك للمشروعات الكبيرة التي تستحق المساعدة المالية الكبيرة، ويكون وفدنا قد رآها واقتنع من كونها تنبغي مساعدتها.

إضافة إلى الاجتماع أثناء السفرة بزعماء المسلمين وأئمة المساجد والعاملين في التدريس الإسلامي منهم، والتعرف عليهم لمعرفة من يحسن أن ندعوهم في رابطة العالم الإسلامي لأداء مناسك الحج والعمرة، أو لمجرد الزيارة والتباحث في كيفية التعاون على البر والتقوى. ومن أجل أن نعرف مؤسساتهم الإسلامية التي تحتاج إلى عون أو مساعدة كالمساجد التي تشاد، والمدارس التي تفتح، ومن ذلك معرفة الطلاب الذين يحتاجون إلى تقديم منح دراسية من رابطة العالم الإسلامي، أو بوساطتها من الجامعات الأخرى.

وجماع ذلك كله هو الحرص على التعاون على البر والتقوى الذي أمر

الله تعالى به في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ لأن التعارف لا بد منه للتعاون.

مع التنويه بالتنبيه على أننا نعمل ما نعمله جهاراً نهاراً لا نخفي شيئاً منه، لأننا لا نتدخل في الشؤون الداخلية للإخوة المسلمين. ولا للحكومات التي تسيطر عليهم.

وهذا الكتاب خاص بالحديث على الرحلة إلى مقاطعة ( تشنغ هاي ) أعلى المقاطعات الصينية. قبل زيارة مقاطعة التبت، ويسمي الصينيون هذه المقاطعة (سقف الصين) لكونها ترتفع عن سائر الصين الداخلية في الموقع.

ويبتدأ الحديث فيه من ابتداء الرحلة من الرياض حتى مغادرة مدينة (تشي ننغ ) أو (تشينينغ ) كما يكتبها بعضهم، وهي عاصمة مقاطعة (تشنغ هاي ) هذه، وذلك بعد أن انتهت الرحلة إلى هذه المقاطعة.

أما الحديث عن المقاطعات والبلدان الأخرى التي تلت هذه المقاطعة في زيارتنا لها، فقد أفردت لها كتابين، أحدهما بعنوان: (على سقف العالم ) وهو خاص بالحديث عن التبت، والثاني: (في وسط الصين)، ويتحدث عن وسط الصين. وذلك لكون الحديث عن الزيارات لهذه المقاطعات والمناطق لا يحتمله كتاب واحد، كما أنها مختلفة، من حيث طبيعتها الجغرافية، ومن حيث عدد سكانها، ومن حيث سعتها وضيقها إلى درجة توجب أن نخص كل واحدة بكتاب.

وهكذا كان، والله المستعان.

خريطة المقاطعات الصينية

روسيا
كازاخستان
منغوليا
كراماي
اورمتي
كاشي
منطقة التبت
طاجكستان
باكستان
نيبال
الهند
تشينغهاي
اليابان
البحر الاصفر
تايوان

خريطة الصين

## يوم الثلاثاء ٧ محرم ١٤١٣هـ، ٧ يوليو ١٩٩٢م

### من الرياض إلى بكين:

كانت الجمعية الإسلامية الصينية التي دعتنا رسمياً لزيارة الصين قد رتبت برنامج الزيارة، وأبرقت إلينا تطلب النظر فيه والموافقة عليه، وأنها في حالة إقراره سوف تجري الحجوزات في الطائرات والفنادق في المدن الصينية التي سنمر بها بموجبه.

وقد عرفنا بعد ذلك أن الأمر يتضمن أيضاً اجتماعات بحكام المقاطعات التي سنمر بها بموجب أوامر من الحكومة الصينية المركزية.

فأجبنا بإقرار البرنامج الذي ذكروا أنه يبدأ يوم الجمعة من الشهر، أي بعد ثلاثة أيام بمغادرة مدينة بكين العاصمة إلى مدينة (شيننغ) عاصمة مقاطعة (تشنغ هاي) ولذلك لا بد من أن نصل إلى بكين قبل يوم الجمعة.

وكان هذا مدعاة إلى أن نركب مع خط فيه وقفات؛ إذْ لم نجد خطاً للرحلة مباشراً إلى بكين، أو حتى إلى هونغ كونغ ومنها إلى بكين.

فحجز لنا مكتب الخطوط السعودية في مكة المكرمة من الرياض إلى البحرين، ثم إلى هونغ كونغ، ومن هناك إلى بكين.

### مغادرة الرياض:

غادرنا الرياض مع طائرة الخطوط السعودية إلى البحرين في الساعة العاشرة والنصف من ضحى هذا اليوم.

وعندما هبطنا في مطار البحرين كانت المفاجأة أن ذكروا لنا أن الحجز الذي معنا غير صحيح، لأنه لا توجد طائرة مسافرة من البحرين إلى

هونغ كونغ إلا بعد ثلاثة أيام.

وقد قام مكتب الخطوط السعودية في البحرين مشكوراً بتغيير الجزء المتعلق بالسفر من البحرين إلى هونغ كونغ من تذاكرنا بتذاكر تسافر من البحرين إلى مسقط عاصمة عمان، ومن هناك إلى هونغ كونغ.

وفي أثناء ذلك كنا في قاعة كبار الزوار في مطار البحرين الذي وجدناه واسعاً نظيفاً مرتباً، وفوق ذلك كان العمل فيه منتظماً، وخدمة الركاب على مستوى عالٍ.

وكان طابع الإكرام والاحترام لوفدنا هو السائد في المعاملة في المطار وما بعد ذلك حتى غادرناه.

وأخبرونا أن الطائرة التي سنسافر عليها إلى مسقط ستقوم من البحرين في التاسعة مساءً، وأنهم لذلك سوف يضيفوننا في فندق جيد، وتذاكرنا كلها بالدرجة الأولى.

نقلونا بسيارة من عندهم إلى فندق الخليج بعد أن تأكدنا من وصول أمتعتنا كاملة، واخترقنا مدينة المنامة من المطار إلى فندق الخليج فيها، فوجدناها قد تطورت تطوراً عظيماً، ولمسنا أن التطور ماضٍ الآن في شوارع كثيرة التشجير، وفي أرصفة حديثة طويلة، بعضها لا يزال العمل جارياً فيه.

وحتى المساجد وجدناهم يعتنون بمظاهرها من المآذن الشرقية الشامخة، إلى القباب الجميلة المنظر.

وأما الدارات ( الفيلات ) فإنه قد روعي في أكثرها أن تكون جميلة منسقة.

وأنزلونا في غرف في فندق الخليج الذي هو من فنادق الدرجة الأولى، فأسرعنا الذهاب إلى المطعم لتناول الغداء، فوجدنا الطعام على مائدة مفتوحة، وهو المسمى (بالبوفيت) فيه من طيب الطعام وغاليه ما يعجب الآكلين، ويعجز الشارين مثل أنواع منوعة من الروبيان، وهو الإربيان في الفصحى - كما ذكره الجاحظ - وبالعامية المصرية (الجمبري)، ووجدنا السرطان البحري الغالي الثمن موجوداً على المائدة، يعرض عليك خادم المائدة أو القائم عليها أن تأخذ منه، ولكن اسمه غريب عنده، فهو يسميه (أم الروبيان)، وهذه تسمية طريفة، يمكن وضعها في استعارة لطيفة، فما دام أنهم لا يعرفون للروبيان أماً مثلما أن العرب الصحراويين لا يعرفون للجراد أمّاً، فلا مانع أن يكون السرطان الذي يسمى بالإنكليزية (لوبستر) أماً له، أو أن يكون بمثابة الأم.

وأكلنا من الروبيان ومن أمه (اللوبستر) أو (الاستكوزا) إلى جانب اللحمة الحمراء من غنم الصحراء.

## السفر إلى مسقط:

استرحنا في غرف الفندق عدة ساعات نفضت عنا تعب السفر، وعاودنا الخروج إلى المطار في الساعة الثامنة ليلاً حيث وجدنا سيارتهم تنتظرنا.

وكانت العودة إلى المطار حميدة إذْ أخبرونا أن الطائرة سيتأخر إقلاعها عن الموعد المحدد ساعة واحدة، فدخلنا غرفة كبار الزوار بين ما نشتهي من شراب بارد أو حار، ومع ذلك ما اشتهيت من نقل أو نحوه، تعاقبه عليك موظفات في الفندق ثلاث، إحداهن انجليزية (نَصَف) وهي التي في منتصف عمرها، والثانية عربية خليجية يشهد لها بذلك - إن احتاج

الأمر - إلى شهادة خَفَرٌ ظاهر، إلى جانب ما قال في مثلها الشاعر:

**هيفاء مقبلة عجـــزاء مدبـــرة لا يشتكي قصر منها ولا طـول**

وثا لثتهن هندية فيها من الثقل المعنوي والجسدي ما في أمثالها، من اللآئي في أسنانها.

وعاودنا التجول في المطار الكبير بعد أن مللت الجلوس في الغرفة، فكان أن تجدد عجبنا، بل إعجابنا بهذا المطار الكبير لهذا البلد الصغير (البحرين) التي تنطق في الإنكليزية بعكس ما يدل عليه اسمها (بهرين)، ولكن الهاء لا تكاد تتجاوز الشفتين، فيبدو نطقها في صورة (برين) وهي عكس (بحرين). وهذا المطار الحديث العظيم لا يوجد مثله في بلد عظيم بكثرة سكانه كالهند، أو بسعة أوطانه كالاتحاد السوفيتي، وذلك من ناحية السعة، وبالنسبة إلى البلد، ومن ناحية الأثاث وجودة المبنى من كل ناحية.

قمنا مع طيران الخليج، على طائرة من طراز الحافلة الجوية (إير باص) ذكر لنا العاملون فيها وكلهم من العرب من طيارين ومضيفين وحتى مضيفات إلا القليل، أنها حديثة تسلمتها شركتهم من مصنعها منذ عهد قريب، وأن كل ما فيها يسير بالحاسب الآلي (الكمبيوتر).

وكانت مغادرتها الدقيقة العاشرة بعد الساعة العاشرة من الليل، ومدة الطيران ساعة وثلث.

وقدموا لنا ونحن في الدرجة الأولى وجبة خفيفة لذيذة كنا نريدها أن تكون كذلك لقرب عهدنا بالغداء. وكانت الخدمة جيدة، ويخدم الدرجة الأولى فتاتان عربيتان خليجيتان، من الطريف في خدمتهن أنهن يحضرن المناشف المبللة المعطرة التي يمسح الراكب فيها وجهه ويديه حارة وباردة،

ويخيرنك بين الحارة منها أو الباردة.

## في مطار مسقط:

هبطت الطائرة في مطار مسقط، ويسمونه (مطار السيب الدولي) وذلك في الساعة العاشرة والنصف بتوقيت المملكة، وهي الحادية عشرة والنصف بتوقيت عمان.

## سموم نصف الليل:

عندما خرجنا من الطائرة لفحنا السموم كأنه النار في وسط النهار من الصيف، وكانوا قد أعلنوا أن درجة الحرارة في المطار عندما وصلناه (٣٧)، ونحن الآن في منتصف الليل، وكنت توقعت أن يكون الهواء رطباً، لأن مدينة مسقط واقعة على شاطئ البحر، ولكنني وجدت الهواء أكثر جفافاً من هواء الرياض، بل إنه ليس فيه أية رطوبة؛ بل هو سموم لم أعهد أنني أحسست بمثله في الرياض ولا في المدينة المنورة، وهما المشهورتان عندنا برياح السموم، ولكن ذلك يكون فيهما في الغالب في النهار، أما في الليل فإن الهواء يكون مقبولا، وحتى إذا كان حاراً فإنه لا يكون سموماً في منتصف الليل.

وتخيلت أن هذه الريح الحارة التي تكاد تكون عاصفة إنما هي قادمة من الربع الخالي المجاور لعمان، لأنه الصحراء الجافة الخالية من الرطوبة.

وقادونا إلى غرفة كبار الزوار التي أسموها (الصقر الذهبي) وهي تسمية لطيران الخليج أيضاً.

والتسمية بالصقر بالنسبة إلى أهل الخليج وأهل نجد تسمية مهمة، لأن من عادة وجهائهم وغيرهم أن يصطادوا الطيور من الحبارى وغيرها بالصقور، أما نعت الصقر بالذهبي فإنه دلالة - في الأصل - على الأصالة والاقتدار، وإن كان المقصود من الصقر الذهبي هو شعار شركة الطيران هذه (شركة طيران الخليج).

والغرفة جيدة الأثاث، تدل رؤيتها حتى بدون تمعن على أنك في بلد خليجي عريق، وهو (عمان) ذو التاريخ المجيد، وليس كما هو عليه الحال في بعض بلداننا العربية الذين يكون المثل الأعلى عندهم للأثاث أن يكون أوروبياً أجنبياً، وقد يعتبر بعضهم ذلك دليلاً على الرقي والتقدم، وهو الذي يدل على التقليد والتأخر.

وقل مثل ذلك عن العاملات في هذه القاعة المشرِفة - بكسر الراء ويمكن أن يكون بفتحها إن شئت - فهن من العمانيات الأصيلات بملامحهن وكلامهن وشيء من ثيابهن.

والقرب ما بين أهل عمان وأهل الهند في الزينة والثياب كالقرب ما بين بلديهما في الجغرافيا أو أقرب من ذلك، وإن كان قرباً بين عمان والهند المسلمة وليس بين عمان والهند الهندوكية.

وقد وضعوا على موائد القاعة ما شئت وما لم تشأ من شراب حار وبارد، ومأكول خفيف من حلو وغير حلو، فتخدم نفسك بنفسك لا يحضره لك عامل ولا عاملة.

ثم نبهونا عندما حان الرحيل، وتقدمتنا المضيفة حتى جلسنا في مقاعد الطائرة قبل الركاب.

## إلى هونغ كونغ:

هذا الاسم الذي يشبه نعقة غراب قد أعجله رامٍ عن إتمامها، أو نعبة بوم في ظلامها، يدل على أنها لبلد من بلاد الصين ذات المقاطع والأصوات التي لا تتألف من حركات متتابعات، وإنما هي أصوات مؤلفة من حرف متحرك بعده ساكن، وقد تأتي إشارة، أو قد تأتي عبارة توضح المراد من هذا الاستطراد.

وقبل الصعود إلى الطائرة كانوا قد وضعوا متاع الركاب مصفوفاً، كل يشير إلى متاعه فيحمله الحمالون إلى الطائرة، وكان لفح السموم لا يكاد يطاق، فكان يلهب السوق والأعناق.

صعدنا الطائرة فوجدناها كسابقتها حافلة جوية (إير باص)، حافلة بما يريح الراكب من خدمة ممتازة، أو طعام فاخر، أو ابتسامات عربية قلما يراها المرء في بلاد أخرى.

قامت الحافلة الطائرة في الواحدة بعد منتصف الليل، مولية وجهها تجاه عاصمة الإثم السابق (بانكوك) التي أرسل عليها الله جنوداً من (إيدز) قمعتها عن الإثم الأصفر، حتى أغلقت أسواقه، وكسدت تجارته.

وكانت بانكوك قبل ذلك مشهورة به، حتى كان اليابانيون وهم من أكثر السياح إليها في أمثالهم يقولون: « إنّ بانكوك حمام الشرق » يريدون أن المرء يغسل فيها أقذاره، وإن شئت قلت: إنه يضع فيها أوضاره، ويضاعف مع ذلك أوزاره.

وكان قوم من قومنا العرب يذهبون إلى بانكوك كلما اشتاقوا إلى الصيد الذي لا يحتاج إلى خَتْل. وقد غابوا عن الأهل، فأحبوا أن يرتعوا في الحقل، ثم كانوا يعودون إلى ديارهم بأوزارهم وما معها من أخطار الأقذار

من نهش الأمراض، ونبش الأعراض، التي قد يورثها الرجل لأولاده، ومن يأكلون من زاده.

كانت خدمة الدرجة الأولى في طائرة الخليج هذه ممتازة في الطعام والكلام، وحتى في الاحتشام. وكان يخدم فيها فتاتان عربيتان خليجيتان مهذبتان.

وكانت ضيافتهم مثلنا في طائراتنا للدرجة الأولى تبدأ بالقهوة والتمر، ولم نر فيها أي أثر للخمر.

وطائرتهم جديدة كان من ألطف ما فيها لوحة أمامنا توضح كل ما يتعلق بالرحلة من طول المسافة، ووقت الوصول، واختلاف التوقيت، ثم يمحى ذلك من اللوحة لتتلوه خريطة واضحة لمكان الطائرة في تلك اللحظة من خريطة المنطقة، والخط الذي تسلكه فوقها.

وكان من اللطيف المريح أن قائد الطائرة هو عربي من الخليج مثل قائد الطائرة التي ركبت فيها من البحرين إلى مسقط.

وعندما ذكروا اسمه للركاب بأنه خلينة ابن فلان - ونسيت بقية اسمه - ذكرت الملاحين العمانيين العظام الذين كانوا يجوبون البحار، ويواصلون الأسفار فيما مضى من الأدهار، وهم في ذلك الوقت من أعظم ربابنة السفن في العالم.

وناهيك بهذا الشاهد الذي لا يكاد المرء يصدقه، لولا أنه حقيقة، صارت معروفة الآن، وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن استقلت عن بريطانيا في عام ١٧٧٦ م عقدت بعد ذلك معاهدة مع سلطان عمان تقضي بأن يقوم السلطان بحماية السفن الأمريكية في البحر العربي

والمحيط الهندي من أي اعتداء يقع عليها !!!.

إن ذلك مثبت في وثيقة محفوظة في مكتبة الكونغرس الأمريكي أطلعت على نصها من عدة كتب.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وتُعِزُّ مَن تَشَاء وتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾

وحتى الخيال جاء ليشترك في هذا المجال، فذكر السندباد، وكيف أنه كان يسافر، أو يسافر به خيال راويه أو كاتبه من البصرة أو سيراف، فيسير من هذا الخليج إلى البحر العربي الذي يفضي إلى المحيط الهندي، فيتياسر إلى جزائر الواق واق في إندونيسيا، أو يتيامن إلى أرض الزنج في كينيا وتنزانيا، أو إلى أرض النحاس في زامبيا وما كان عنها جهة الشرق من بلاد سفالة.

وكل ذلك لا يمكن أن يخرج عن علاقة بعمان، أو بالعمانيين، إما من ناحية المكان أو السكان، ولكن كان ذلك - مع الأسف الشديد - فيما مضى من الزمان، مما قضى عليه الحدثان، وفات من الأوان.

وكانت لنا في الطائرة بعد أطايب الطعام غفوات تخللتها أحلام، ألذ من رقدة الحبيب على جيب حبيبه، بعد ارتداد رقيبه. إلى أن صحونا لتناول طعام الإفطار، ووجدنا أنفسنا في وضح النهار، فوق أرض تايلند الخضراء، وإن كانت هي صفراء.

فكانت حقول الأرز السيامي تمتد إلى مدى البصر من الطائرة، لا ترى لها نهاية، وتتخللها قنوات الري التي رأيتها متعرجة غير مستقيمة، حتى قاربنا أن نصل إلى سماء العاصمة، فاستقامت حال تلك القنوات، وحسنت

أحوال البيوت التي بناها الفلاحون على ضفافها.

وعندما كنا نقترب من المطار كان المنظر بيوتاً قد خيم عليها كالبخار من ندى الأرض ومن دخان البيوت، ما جعلها كأنما هي تسبح في الضباب، مع أن السماء كانت خالية من السحاب.

## في مطار بانكوك:

لم يكن نهر (بانكوك) الذي يلقبونه سيد الأنهار، وإن كان اسمه (شاوبراي )، كما يلقبون عاصمتهم بأنها سيدة العواصم، مفعماً بالمياه، وإن لم يكن أحمر اللون مائلاً للصفرة كما كان يكون عليه خلال مواسم الفيضان، وذلك أن هذه الأيام لهم هي أيام (التحاريق) التي هي أيام الجفاف.

وكانت البيوت كأنها تنطلق من الريف مع انطلاق النهر، فتكون بدون عمق خلف ضفاف النهر هناك.

وكلما قربت من المدينة ازداد عمقها، وعظمت كثافتها حتى تختلط بالمدينة الكبيرة التي كانت قبل أربعين سنة أشبه بالبلدة الصغيرة، ذات الأكواخ من الألواح.

أما الآن فإنها عاصمة كانت مقصداً لما ذكرناه، ثم صارت في السنين الأخيرة مراداً - بفتح الميم - لأهل المال والأعمال التجارية الرائجة.

وكانت أهم المناظر من الطائرة عند الهبوط معبداً بوذياً على هيئة (المحقن) المقلوب، وإن كان أصفر اللون صفرة أهله، وأبنية ضخمة عالية تشاهدها من أي اتجاه قلبت بصرك إليه.

وهبطت الطائرة في مطار (بانكوك) في السادسة تماماً بوقت المملكة، ويساوي ذلك الساعة العاشرة ضحى من وقت تايلند.

وذكر أهل الطائرة أن درجة الحرارة في بانكوك هي الآن (٣٣) درجة، وهي درجة عالية من الحرارة في هذه البلدة، لأن الرطوبة الكثيفة تجعل الإحساس بالحر مضاعفاً.

دخلنا إلى قاعة العابرين في المطار فجددت بها عهداً قريباً لم تمضِ عليه إلاّ عدة أشهر عندما وصلت إليها ذاهباً إلى الهند الصينية فيتنام، ولاوس وكمبوديا.

ثم عدت معها من تلك البلاد، وإذا كان يهمك - أيها القارئ الكريم - أن تعرف ما كتبته عما رأيته، وسمعته في بلاد الهند الصينية تلك، فإن ذلك موجود في كتابين لي اثنين هما: (( أيام في فيتنام ))، و(( مشاهدات في لاوس وكمبوديا ))، وهما مطبوعان.

ومع ذلك تذكرت مع آخر زيارة لتايلند التي تلت زيارة الهند الصينية هذه أول مرة زرت فيها تايلند قبل ما يقرب من عشرين سنة.

وكنت وقتها في زيارة لماليزيا تلبية لدعوة تلقيتها من مدير الجامعة الوطنية الماليزية، وذلك حين كنت أشغل وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة)، وزرت بعد ماليزيا إندونيسيا وتايلند.

كانت تايلند في ذلك الوقت آمنة مطمئنة، قليلة الازدحام، تكاد تكون خالية من الإجرام، وكان أهلها لا يزالون محافظين على تقاليد لهم متوارثة، من الأدب في المعاملة، ومن المجاملة للغريب والقريب.

وكان الفقر فيها أكثر، إلا أن السعادة كانت أوفر.

إلا أن بعد أن استغنت بعد فقر، وكثرت بعد قلة، وخرجت إلى المجال الدولي دولة من الدول الآسيوية المرشحة لأن تكون دولة صناعية تدخل في النادي الذي دخلته اليابان وسنغافورة وتايوان، فإن ذلك قد غير كثيراً من عادات أهلها، وصارت البلاد تفعل مالم يكن من قبل من فعلها.

﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾

## من بانكوك إلى هونغ كونغ:

نهضت هذه الطائرة العربية التي هي كالطائر العربي (الصقر الذهبي) متأنية من مطار بانكوك ذي المدارج الطويلة في الساعة الثانية عشرة والنصف بتوقيت تايلند، وأعلنت المضيفة العربية فيها أن المسافة إلى (هونغ كونغ) تستغرق ساعتين وعشرين دقيقة.

وقد غرقت وهي في الجو في خضم من السحاب، منذ أن فارقت عامر بانكوك، فصارت تعوم فوقه حتى علته، فصارت بين نورين من ظهره ووجه الشمس.

وعندما انكشف السحاب من تحتنا تبين أننا نطير فوق بحر، وأننا الآن كما قال بعض أسلافنا الأقدمين: بين السماء والماء.

وما زال الأمر كذلك حتى قاربنا الوصول إلى (هونغ كونغ).

وكانت الضيافة المعتادة، والخدمة الممتازة لركاب درجتنا الأولى، أو لنقل مرتبتنا العليا، حتى وصلنا:

## مطار هونغ كونغ:

وموقع (هونغ كونغ) من الجو مخيف، بل مفزع، لأنه يخيل إليك

وأنت تراها أنها كومة من الأبنية العالية، بل من ناطحات السحاب التي تحاصر هواءها الجبال، وتغسل أقدامها الأمواج، وأن طائرتك لا يمكن أن تجد لها مجالاً للوقوع في تلك الربوع.

وجبالها المحيطة بها واقفة الأعالي، محددة الأطراف حتى لكأنها التي عناها عمرو بن كلثوم بقوله:

**وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا**

تدنت الطائرة على الأرض، وهي تتدلى في الجو كأنها الطائر الحذر الذي يبحث له عن مجثم أو مغنم، فشاهدنا الطائرات الكبيرة تتزاحم وهي تكاد تتصادم في بقعة ضيقة بجانب البحر الذي تضايقه الجبال.

فتخللت طائرتنا تلك الجبال، ووجدت المجال في فراغ مفتوح من جهة واحدة إلى البحر، ومغلق من جهاته الثلاث، إلا من فرجة بين جبلين في جهة واحدة من الجبال، فهبطت ونحن مشفقون من ألا تهبط.

وكان هبوطها معتاداً.

أسرعت حافلة أرضية إلى درج الطائرة، فنقلت ركاب الدرجة الأولى والسياحية مختلطين إلى مبنى مطار واسع متعدد المكاتب والمرافق، حتى إن مكاتب الجوازات لاستقبال القادمين زادت على الثلاثين.

ولم نكن نحمل سمات دخول إلى (هونغ كونغ) لعلمنا أنهم لا يطالبون أمثالنا بالحصول عليها، فختموا جوازاتنا بسرعة، ولكن التأخير كان عند تثبيت الحجز إلى بكين، إذ وجدنا أن حجزنا قد ألغي عندما ألغي الحجز من البحرين إلى هونغ كونغ.

فأخذت الموظفة المسؤولة في طيران الخليج فترة طويلة من الوقت

تسعى في إعادة تأكيد الحجز على الرحلة نفسها التي كنا قد حجزنا عليها من قبل، وذلك لكوننا أخبرنا المسؤولين في الجمعية الإسلامية الصينية عن موعد وصولنا إلى الصين على تلك الرحلة، كما كانت رابطة العالم الإسلامي قد أبرقت للسفارة السعودية في بكين بذلك.

غير أنها لم تجد لنا مكاناً إلا في رحلة تصل إلى بكين قبل موعد وصول الرحلة الأولى بساعتين، وقد قبلنا ذلك، وهاتفنا المسؤولين في الجمعية الإسلامية الصينية بعد ذلك.

## في هونغ كونغ:

لا نستطيع أن نقول: في مدينة هونغ كونغ، لأن جزيرة هونغ كونغ كلها هي مدينَة مزدحمة، ولكن الحكومة البريطانية التي كانت تستثمرها قد استأجرت منطقة في البر الصيني قريبة منها، لا يفصل بينهما إلا حاجز مائي ضيق، وهي (كولون)، وألحقتها بالجزيرة وأرضها كلها مجتمعة لا تزيد على ١٠١٣ كيلو متراً مربعاً.

وقد سكنا بالفعل في (كولون)، وليس في جزيرة هونغ كونغ، مع أن المسافة بين المطار وبين الفندق الذي نزلنا فيه وهو فندق (هولدي إن) لم تستغرق أكثر من ربع ساعة بالسيارة، وكانت سيارة أجرة فخمة من صنع (مرسيدس بنز) طويلة ذات ثلاث مراتب، وكأن الضيق في الأرض هو السائد في (هونغ كونغ)، حتى إن المرء الذي يكون قد عاش في مدينة مفتوحة واسعة الشوارع يكاد يشعر بالاختناق، ففندق (هوليدي إن) الذي سكنا فيه على سبيل المثال مدخله مسقوف، مع أنه واسع نوعاً، وذلك من أجل الانتفاع بسقفه. والبوابة التي خرجنا منها عند الوصول من المطار تفتح إلى شارع مسقوف فيه سيارات الأجرة وغيرها، وقد سقفوها من أجل

التوسع فيه أيضاً، وقل مثل ذلك في كثير من الشوارع في قلب المدينة، حتى إن بعض المتاجر والمطاعم تكون في الطابق الأول فوق الطابق الأرضي.

والناس في البلاد كثير جداً بالنسبة إلى ضيق رقعتها، ويكفي أن عدد سكانها يناهز ستة ملايين إنسان، مع أن أرضها لا تزيد على ما ذكرناه.

أنزلنا الفندق في غرفة داخلها جيد كالغرف المعتادة في فنادق الدرجة الأولى، ولكنها تفتح على منظر قابض للنفس، بل هو منظر سيئ؛ إذ هو منظر أبنية عالية جداً متقاربة قد اسودت ألوانها، وساءت الأزقة التي بينها وإن كانت في الواقع أصغر وأقل من أن تسمى أزقة، وإنما هي ممرات قد ملأتها القمائم والأوساخ.

مما جعلني أسرع وأسدل ستارة النافذة عليها حتى لا أرى هذا المنظر غير البهيج.

وأجرة الغرفة ١٢٣ دولاراً أمريكياً، ولم يقبلوا أي تخفيض لجواز السفر السياسي، لأنني أنا ورفيقي الدكتور سعيد محمد باديب نحمل جوازات سفر (دبلوماسية)، كما لم يقبلوا التخفيض من أجل بطاقة رسمية كانت شركة فنادق (هوليدي إن) العالمية قد أرسلتها إليَّ، تعطي حاملها امتيازات عديدة في فنادق (هوليدي إن)، كما قالوا في جميع أنحاء العالم.

## المطعم الحلال:

بعد استراحة في نوم واسترخاء في الفندق خرجنا في الساعة التاسعة ليلاً نبتغي العشاء في مطعم للمسلمين، وكنا عهدنا قبل سنوات عديدة

مطعماً قريباً من الفندق لأحد الباكستانيين، فوجدنا مكانه خالياً، وأخبرنا جيرانه أنه يوجد مطعم للمسلمين في فناء مجاور، بل ذكروا أن في المبنى نفسه ثلاثة مطاعم، أحدها في الطابق الثالث، والثاني في والثالث في الطابق السابع، وهو للمسلمين من أهل كشمير.

صعدنا إليه وسط زحام ضاق به المصعد، وكان الذين يريدون الصعود يقفون صفوفاً أمام المصعد، مع أنه ليس مصعداً واحداً، كل ينتظر نوبته.

فطلبنا من المطعم أرزاً برياناً وهو المخلوط باللحم والبهارات ومعه السلطة والخضرات، فجاؤوا بالأرز البرياني غير جيد، ولا متقن الصنع، ويعرف ذلك من تردد إلى الهند، وأنا ممن كثر ترددهم في تلك البلاد.

إلا أن النظافة في المطعم والذوق في أهله كان على درجة مناسبة، وكان الفلفل في الطعام متوسطاً أيضاً.

وكانت لنا تمشية فيما حول الفندق بعد العشاء، فكان الزحام في تلك الناحية على أشده في العاشرة والنصف ليلاً.

ولاحظنا أن باعة الفواكه المختلفة أنواعها كثير، مثلهم في ذلك مثل سائر البضائع، لأن هونغ كونغ تعتبر منطقة تجارية مفتوحة.

## يوم الخميس ١٤١٣/١/٩ هـ ١٩٩٢/٧/٩ م.

### من هونغ كونغ إلى بكين:

غادرنا فندق (هوليدي إن) وسط زحام (هونغ كونغ) على سيارة الأجرة الطويلة من صنع مرسيدس التي لا يستطيع أن يركبها في غير هذه البلاد الحرة في اقتصادها إلا القادر النادر من الناس، فكان السير إلى المطار مع شوارع ذات حوانيت متراصة، حتى كدنا نصل المطار.

ولكن عندما يدخل المرء إلى أبنيته ومكاتبه الداخلية يكاد يشعر بأنه في بلاد واسعة شاسعة، وذلك لكثرة مرافقه، وكثرة الذين يستعملونه من الناس.

وقد أعفونا من ضريبة مغادرة المطار من أجل الجوازات (الدبلوماسية) وقدرها ١٦ دولاراً أمريكياً، ولكن إعفاءنا من الضريبة تطلب إجراء معاملة وتحرير أوراق والتوقيع عليها من قبلنا نحن الركاب.

ثم أدخلونا إلى قاعة ركاب الدرجة الأولى، وهي معتادة وليست فاخرة، كما أنها خاصة بالخطوط الصينية التي سنسافر معها إلى بكين.

ومن العجيب هنا أن اللافتات سواء في المطار أو في المدينة مكتوبة باللغتين الإنكليزية والصينية، وغالباً ما تكون الإنكليزية فوق الصينية، وإن طابع البلاد بناسها وبكل شيء فيها هو طابع صيني، ولكن الإنكليز الذين يحكمونها عددهم فيها الآن قليل، بل ربما كانوا من أقل الناس وجوداً فيها، إنما ترى فيها بعد الجنس الصِّيني بأنواعه وفروعه الجنس الهندي الآسيوي، والجنس الملايوي الذي يرجع في أصوله إلى الصين الجنوبية أو الهند الصينية مثل أهل تايلند وأندونيسيا.

وعندما حان وقت ركوب الطائرة صعدنا إليها في حافلة جمعوا فيها ركاب الدرجتين الأولى والثانية دون تخصيص الأولى بسيارة أو مرافقة مضيفة أرضية.

ووجدنا الطائرة أمريكية (بوينغية) ولكنها من نسل جديد هي (٧٥٧)، وهو طراز جديد لم أركبه قبل هذه الرحلة، وقد كتبوا عليها أنها تابعة لشركة جنوب الصين، ومعروف أن مقرها (قوانقشو) المعروفة عالمياً بـ(كانتون).

ولاحظت أن ٩٠٪ من الركاب هم من الصينيين، وأغلبهم من أهل هونغ كونغ، لأن سكان الصين الشعبية يصعب عليهم أن يتحملوا دفع تذاكر السفر من دخولهم المحدودة.

ركبنا في الدرجة الأولى، وهي أشبه بالدرجة الثانية في بلادنا؛ إذ هي مؤلفة من صفين من الكراسي فيهما ٨ كراسٍ فقط، وضيقة ضيق السياحية.

ولا شك أنهم فعلوا ذلك من أجل توفير المقاعد لركاب الدرجة السياحية في الطائرة، الذين هم الكثرة الكاثرة من الركاب.

ومع ذلك لم يكن في الدرجة الأولى إلا اثنان من أصل صيني، أحدهما أظنه من العاملين في الشركة، لأنهم أركبوه في الأولى في آخر الأمر.

وقد فرحنا عندما أغلق باب الطائرة، لأن رائحة الوقود المحترق الذي كانت تنفثه محركات السيارات والطائرات في المطار كانت خانقة لكثرتها وضيق ساحة الطيران.

قامت هذه الطائرة الصينية في العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة، متأخرة ٢٠ دقيقة عن موعد قيامها المحدد في الأصل.

وارتفعت بسرعة من أرض المطار لتتفادى حصار الجبال الخضر التي تكاد تغلق المسار.

فصارت تطير فوق جزر صغيرة مقابلة للبر الصيني، بعضها صغير ليس فيه سكان، وإنما يتألف من جبل أخضر، وسط بحر أخضر ليس فيه غير ذلك، حتى ليبدو للناظر من الطائرة عندما يبتعد عنه وكأنما هو بيت البدوي في الصحراء الخضراء التي كان قد جادها الغيث فعمها الربيع.

وبدت الجبال والتلال الواقعة في البر الصيني غير خضراء كخضرة جبال هونغ كونغ، وذلك لكونها ليست عالية مثل جبال هونغ كونغ التي تمسك لعلوها بأبخرة المياه المتصاعدة من البحر، فتصبح ندية خضراء.

وظاهر البر الصيني الملاصق لهونغ كونغ يبدو أقل عمارة، بل أقل تقدماً من (هونغ كونغ)، وذلك بسبب القيود التي وضعتها الشيوعية على نشاط رجال المال والأعمال التجارية.

ارتفعت الطائرة، وحال بيننا وبين رؤية شاطئ البحر الذي كان قد ابتعد ولفه الضباب، حتى بدا كله كشخوص الأحلام في المنام، سحاب اضطر البصر أن يرتد إلى داخل الطائرة، فيرى المضيفات الصينيات الشعبيات - نسبة إلى الصين الشعبية - وهن يسعين في الضيافة، ويحاولن أن يجاملن الركاب، بخلاف ما عهدنا من زميلات لهن داخل البر الصيني اللاتي لم يكن يبالين بالركاب، ولا تكاد تنفرج شفاههن عن كلمة مجاملة للراكب فضلاً عن ابتسامة عمل عهدناها من أمثالهن من

الأوروبيات العاملات في ضيافة الطائرات.

وبدت المضيفات مختلفات عن العاملات في (هونغ كونغ) من بنات عمومتهن الصينيات من حيث اللباس، ومن حيث مظاهر وفرة الغذاء في الوجه، أو ما يصح أن يشمله اسم ترف العيش، فنصيبهم من ذلك أقل من نصيب أولئك بكثير.

وقد انفرج السحاب تحت الطائرة عن منظر نهر عريض ذي شعاب يتلوى في ريف معمور كله بالزراعة من أرض الصين.

وقد أهدونا نحن ركاب الدرجة الأولى حقيبة يدوية، في وسطها حقيبة كبيرة من القماش.

وعجبت لاختيارهم هذه الهدية التي قصد منها المنفعة قبل المتعة التي تكون عادة في الهدايا مثل هذه، لكننا احتجنا بعد ذلك إلى حقائب نضع فيها أمتعة زائدة من هدايا وغيرها، فأسعفتنا هذه الحقيبة القماشية الواسعة، فعرفت فضل الهدية الصينية لأمثالنا، عرفنا حاجتنا إليها في الليل، حيث لا يمكننا أن نشتري حقيبة غيرها.

وكانت ضيافتهم متوسطة، ورأيت لحماً أبيض في الطعام، فسألت المضيفة عنه لأعرف ما إذا كان سمكاً، فأجابت بأنها لا تعرف شيئاً، وأنها ستسأل داخل الطائرة، ثم ذهبت ولم تعد.

وعندما أعطونا استمارات القدوم، أو لنقل الاستبيان لحال القادم الذي يملأه بالمعلومات عن نفسه، وما يتعلق بقدومه إلى الصين، كانت فيها واحدة من الاستمارات متعلقة بالحالة الصحية للشخص القادم، ولكن أحداً لم يسأل عنها في المطار، وإنما كان موظف يتسلمها من

الركاب بسرعة ومن دون أن ينظر فيها.

نزلت الطائرة عن مستوى السحاب، فتجلت طبيعة الأرض الصينية بالقرب من العاصمة بكين، وهي معمورة بالزراعة، إلا أن فيها بقعاً متروكة دون زرع، أو هكذا بدت لنا من الطائرة.

ثم صرنا نرى مدينة بكين العاصمة الواسعة، يخترقها نهر قد تشعبت منه عدة قنوات.

ومما يجدر ذكره أن سكان بكين يبلغ عددهم تسعة ملايين نسمة، ومع ذلك ليست هي أكبر مدن الصين، وإنما المدينة الكبرى هي تشنغهاي التي يبلغ سكانها أحد عشر مليوناً، وهي عاصمة دولة سكانها يزيد عددهم على ١٠٥٠ مليون إنسان.

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن ننقل ما قاله لنا بعض المسؤولين الصينيين من أن أرض الصين تؤلف ٧٪ من مساحة الأرض اليابسة، على حين أن سكانها يبلغون ٢٢٪ من سكان الأرض كلها.

ومع ذلك فإن أرض الصين المعطاء تنتج من الغذاء في الوقت الحالي ما يطعم كل هذه الملايين (المؤلنة) على وزن الألوف المؤلفة، ويبقى عندهم من الغذاء ما يزيد عن حاجتهم، ويبحثون عن أسواق في العالم يصدرونه إليها.

وبدت الأنهار المتفرعة من النهر الكبير والقنوات المائية الأخرى خضر الضفاف.

أما البيوت حول المطار فإنها ليست كثيرة ولا فاخرة.

## في مطار بكين:

هبطت الطائرة الصينية في مطار عاصمة الصين بكين في الواحدة والربع بعد طيران استمر من هونغ كونغ ساعتين وربعاً.

وكان المطار واسعاً رحباً، لا شك أنهم وسعوه كثيراً منذ أن هبطنا فيه لأول مرة في زيارتي للصين.

وقد كست مدارجه أعشاب خضر ملتفة، مما جعلني أتذكر أول مرة نزلت فيها في هذا المطار، وذلك في شهر شعبان من عام ١٤٠٤ هـ الموافق لإبريل عام ١٩٨٤ م.

ووقتها كانت الصين قد خرجت لتوها من محنة الثورة الثقافية الحمراء التي كانت عصابة الأربعة قد أشعلتها فيها فأهانت رجالها، وأذلت أبطالها، وحاولت محو تاريخها القديم، وتراثها التليد، لكي تقيم الشيوعية الحمراء على أنقاضها.

وكان الجو آنذاك ربيعاً أشبه بالشتاء، فكل شيء من الأشجار كان هامداً، وكان لذلك كل شيء يبدو من المطار رمادياً لا ترى فيه أثراً لما يبهج النفس أو يسر النظر.

وكان مطار بكين آنذاك غير لائق بهذه الأمة العظيمة، حتى إنه كان أقل بكثير من حيث مساحة المكاتب؛ فضلاً عن الأثاث والرياش من مطار (تايبه) عاصمة تايوان التي هي جزيرة صغيرة بالنسبة إلى البر الصيني العظيم، وأهلها جزء ضئيل بالنسبة إلى العدد الضخم من سكان الصين الشعبية.

أما الآن فإنه إضافة إلى الخضرة حول مدارج المطار فإن الأشجار في

المنطقة كلها تبدو خضراء نضرة، وهو رحب جداً وواسع، وبخاصة لمن يأتي من مطار (هونغ كونغ) الضيق، ومن أرضه التي تزدحم المنازل، والأناسي فيها حتى يكاد بعضهم يركب بعضاً.

وأعلنوا أن الحرارة في المطار (٢٩) درجة مئوية، وهذه درجة جيدة بالنسبة إلى مطار بلد شمالي تختلف فيه الفصول في الصيف عنها في الشتاء.

وكان الجو غائماً وإن لم يكن يؤذن بمطر.

وجدنا في استقبالنا في المطار جمعاً من الإخوة، منهم الحاج إلياس (شن شيا شي) رئيس الجمعية الإسلامية، والحاج الشيخ صالح آن شي وي إمام جامع دونغ سي الذي يسمى جامع بكين.

والشيخ الحاج داود شي كون إمام جامع شارع البقر (نيوجيه) وعضو المجلس الاستشاري لمدينة بكين، ومصطفى (يانغ جي بوه) مدير العلاقات الخارجية بالجمعية الإسلامية والمترجم الرئيسي لنا.

وعبد الرحيم أمين مدير العلاقات الثقافية الخارجية في الجمعية، والأستاذ مالك أمين؛ أحد موظفي الجمعية الإسلامية.

ومحمد سعيد مايون فو نائب رئيس الجمعية الإسلامية، وهو من (الإيغور)، وهم الذين نسميهم في بلادنا مع من جاورهم بالبخاريين.

ومعهم الأستاذ فؤاد عبد العزيز الراجح القائم بالأعمال في سفارة المملكة العربية السعودية في بكين، وقد أخبرنا أن السفير الأستاذ (توفيق علم دار) غائب عن بكين في رحلة علاجية في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت جلسة في غرفة كبار الزوار (صالون الشرف) في المطار، أحضروا فيها المشروبات الباردة، كانت تأتي صينية - امرأة - بصينية

- صحن - من المعدن الأبيض.

وقد استعرضنا مع بعض هؤلاء الإخوة في المرة الأولى التي زرنا فيها بكين، وكيف كان الجو مختلفاً، وكانت السياسة على غير ما هي عليه الآن، بل كانت الصين كلها مثل ذلك وكانت خلاصة المقارنة أنه قد حصل تغير إلى الأحسن في كل شيء، و بخاصة ما يتعلق بالعلاقات بين رابطة العالم الإسلامي والجمعية الإسلامية الصينية.

## إلى مدينة بكين:

انطلق موكب من السيارات العديدة في أوله السيارة التي خصصوها لركوبي، وهي سوداء معتادة، ومعي الشيخ إلياس (شن شياشي) والمترجم الأستاذ مصطفى (يانغ جي بوه)، وقد أخبرنا القوم أنهم حملوا أمتعتنا، ولم يطلبوا حتى النظر في جوازاتنا، فلم يطلب أحد أن نبرزها، وقد لاحظت وجود أعداد من المسلمين على رؤوسهم القلانس (الطواقي) البيض، فأخبرني الشيخ إلياس بأنهم جاؤوا لاستقبال أحد الحجاج في المطار، وجدنا طريق المطار إلى المدينة أخضر بهيجاً عكس ما كان عليه الحال عندما زرت الصين أول مرة، حيث كان رمادي اللون لم يستنق بعد من برد الشتاء الطويل، فلم تكن توجد ورقة خضراء في أية شجرة قائمة آنذاك، بل وجدناهم غرسوا زهوراً في أماكن مختارة من الطريق، كما رأيتهم غرسوا أشجاراً طويلة جاؤوا بها منقولة من أماكن أخرى، وغرسوها على جانبي طريق المطار، بعد صف الأشجار الكبيرة التي كانت موجودة فيه قبل ذلك.

ولكنني لاحظت فور السير في الطريق أنه لا يزال ضيقاً، ثم عرفت بعد أن سرنا قليلاً أن هذا الضيق مآله إلى السعة، لأننا رأيناهم يقيمون

جسراً ضخماً من الإسمنت فوق الطريق، ويمهدون طريقاً واسعاً تبين بعد ذلك أنهم أنجزوا جزءاً كبيراً منه، وذلك لكي يكون طريق المطار واسعاً سريعاً لا تتوقف فيه السيارات، بل لا تتمهل في سيرها كما كانت تفعل من قبل. وقد مررنا بنهر صغير يمر فوقه الطريق، فسألت الحاج إلياس عن اسمه فلم يعرفه، وقال: مثل هذا لانهتم باسمه لأن أمثاله كثير في بلادنا.

## لا سماح بالسيارات الخاصة:

لاحظت أن أعداد السيارات التي تسير على الطريق هي أكثر مما كان عليه الحال عندما زرت الصين الشعبية في عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م فسألتهم عما إذا كانت الحكومة الصينية قد سمحت للأفراد بتملك السيارات ؟ فأجابوا بالنفي، وذكروا أن الحكومة لم تسمح حتى الآن لعامة الناس بتملك السيارات الخاصة، سواء في العاصمة بكين أو في عواصم المقاطعات التي هي بمثابة الولايات في الولايات المتحدة الأمريكية أو الهند على سبيل المثال.

وإنما هذه الزيادة التي لاحظتها هي زيادة في عدد السيارات المملوكة للحكومة الصينية أو المؤسسات التابعة للدولة أو للهيئات الأجنبية.

وذكروا أن اقتناء السيارة في الصين يكلف كثيراً، ومع ذلك فإنه لو سمحت الحكومة للأفراد بتملك السيارات الخاصة لضاقت شوارع العاصمة بها لكثرتهم، وقلة الجسور والشوارع المهيأة لاستعمال السيارات الضخمة العدد.

وإنما يقتصر تملك وسيلة الانتقال للعامة من الشعب على الدراجة الهوائية المعتادة، لأنني لاحظت أن الدراجات النارية قليلة جداً، بخلاف

فيتنام – على سبيل المثال – التي قلت عندما رأيتها إنها أكثر بلاد الله دراجات نارية، وذكرت ذلك في كتاب (( أيام في فيتنام )) الذي ألفته فيها.

سار الطريق إلى المدينة وقد اتسع بعد ضيق، وحسنت حاله بعد سوء، وتنحت الأشجار الضخمة التي كانت تحاصره على ضيقه، وقد غرسوا بديلة عنها أشجاراً عالية جديدة أثبتوها في الأرض بحبال وأوتاد حتى لا تميلها أو تلقي بها الريح.

وكانت ضواحي بكين البعيدة عن قلبها كما عهدتها من قبل غير فاخرة، بل إنها دون المتوسط ودون أن تكون لائقة بعاصمة دولة عظيمة، بل إنها أعظم الدول من حيث تعداد السكان.

ورأيتهم الآن يفعلون ما كنت رأيتهم قبل تسع سنين يفعلونه، وهو توسعة الشوارع بهدم المنازل القديمة المبنية من الطين بطريقة تشبه ما كان موجوداً عندنا من بناء البيوت الطينية. قبل تزيينها بمادة بيضاء قد تكون من الجص أو مادة شبيهة به.

وعندما وصلنا إلى قرب وسط المدينة حسنت حالة الشوارع ذات الأرصفة، وظهرت الأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق (العمارات) التي تقيمها الدولة وتجعلها شققاً تؤجرها مساكن للمواطن بأجرة زهيدة جداً بالنسبة إليها، ولكنها بالنسبة إليهم كبيرة نظراً لتدني مستوى الدخول عندهم، حتى إن الوظيفة المتوسطة يبلغ راتبها ما يساوي ٤٠ دولاراً أمريكياً في الشهر.

وكان المرور في هذه الساعة من النهار مزدحماً في الشوارع، فأمكن إلقاء نظرة عاجلة على المارة، فلاحظت أن ملابس النساء سواء منهن الماشيات وراكبات الدراجات قد قصرت بعد طول، وتنوعت ألوانها بعد أن

كانت موحدة أو شبيهة بالموحدة، بل صارت ملابس النساء الآن في تعدد ألوانها، وتنوع تفصيلها كأنها في بلاد غير بلاد الصين الشعبية الشيوعية.

أنزلونا في فندق (تشي يوان) الذي كنت قد نزلت فيه قبل ذلك في آخر زيارة للصين قبل هذه المرة.

كان أول ما فعلته أن عقدنا جلسة خاصة في الفندق فور وصولنا إليه مع الأخ (فؤاد راجح) القائم بالأعمال في سفارة المملكة العربية السعودية في بكين، وذلك للاستماع منه إلى آخر المعلومات عن أوضاع المسلمين في هذه البلاد، وعن كيفية مساعدتهم، كما بحثنا معه في إرسال المصاحف وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وكذلك إرسال الكتب الدينية إلى الصين. وبما يتعلق بالأوضاع في الجمعية الإسلامية الصينية، وذلك من واقع اهتمام سفارة المملكة بموضوع الإخوة المسلمين في البلاد، ولكونه لا توجد جهة في الصين غير سفارتنا تستطيع أن تعرف منها ما تريد معرفته في ذلك، لكون الناس لا يجرؤون على محادثة الغريب لا سيما إذا كان من ضيوف الحكومة التي تحيطه بالمرافقين الذين يظهرون أنهم يقومون على راحته، وتسهيل حصوله على ما يطلبه، وهم في الحقيقة يفعلون ذلك إلى جانب منع من يحاولون الاتصال به من عامة الناس، أو من المعارضين للحكومة.

## المطعم الإسلامي:

في فندقنا عدة مطاعم، أكبرها مطعم صيني معتاد، ومعنى إطلاق صيني أنه لكفار الصين الذين يسمونهم قومية الخان، وهم أكبر الطوائف العرقية في الصين عدداً.

والثاني: المطعم الإسلامي، وتكون فيه عادة أنواع من الطعام الصيني الشهي المذاق، الخالي من المحرمات مثل لحم الخنزير، ومن المستقذرات التي يأكلها كفار الصينيين في العادة.

وكان العشاء في السادسة كما كان عليه الحال من قبل، غير أنهم عندما جئناهم في الزيارة الأولى يلتزمون التزاماً صارماً بمواعيد الطعام، فالفطور في السادسة صباحاً، والغداء في الثانية عشرة، والعشاء في السادسة.

أما الآن فقد تغير الوضع وصار في الأمر سعة، وبخاصة فيما يتعلق بالعشاء، فرغم كونه لا يزال موعد تقديمه في السادسة فإن المطعم يفتح حتى التاسعة.

استقبلتنا امرأة في المطعم بادرتنا بقولها: (السلام عليكم)، فبادر الأخ عبد الرحيم أمين الذي كان يرافقنا بقوله: هذه مسلمة، قالت: (السلام عليكم)، وكأنما إلقاء السلام حتى من المسلمين في هذه البلاد التي كان للمسلمين فيها في القديم شأن عظيم هو تحفة من التحف.

وكان الطعام صينياً شهي المذاق، وإن لم يكن في تنوعه يصل إلى تنوع الطعام في المآدب الرسمية التي سيأتي الكلام عليها.

فكان فيه لحم ذيل البقرة، وروبيان وهو (الإربيان) في الفصحى، وهو الجمبري باللغة المصرية الدارجة.

وسمك لذيذ الطعم لأنه مطبوخ مع مواد غريبة اللون والمذاق، يجمع بينها أنها غريبة ولذيذة، وأعصاب حامضة مالحة قد قددوها حتى صارت كأنها الأشرطة، والمراد بذلك أعصاب الحيوان التي نلقيها نحن في

النفايات، يطبخونها هم ويستخرجون منها أكلات عديدة لذيذة الطعم عديمة الدسم.

وجاؤوا مع المائدة بلحم بارد من لحم البقر، والمعهود عندنا ألا يكون لحم البقر إلا حاراً، ومعه أرز ساذج خالٍ من أي شيء يخالطه، ويسمونه الأرز المدخن، أو إن شئت الترجمة قلت إنه الأرز المبخر، لأنهم يصنعونه على البخار، فيأتي عديم الطعم وخالياً من المقبلات، مما يجعل الآكل لا يأكل منه إلا قليلاً، فلا يسمنه وإن كان يغنيه من جوع، وليس كما نفعله نحن في الأرز حيث نطبخه بالطريقة الهندية، فنكثر فيه من الدهن، ونضيف إليه من المقبلات والمشهيات ما يجعله شهي المذاق، لذيذ الطعم، فنكثر منه ما يثقل الأجسام، وقد يورث السقام، أو على الأقل يجعل مظهر آكله الذي يديم أكله كمظهر الهنود الأغنياء، ثقيل الوزن، بطيء الحركة.

وكانت الفاكهة، وهي البطيخ الأخضر - الحبحب - في وسط الأكل كما هي العادة عندهم، وكذلك الحلوى على قلة ما يقدمونه من الحلوى في أطعمتهم، وإذا قدموا الحلوى فإنهم لا يكثرون فيها من السكر، بل يكون السكر فيها معتدلاً.

وكان مسك الختام لهذه الوجبة من الطعام حساء، وهو الشربة من السمك قد طبخوا معها نوعاً محلياً يزرعونه من الفطر، ويضيفون عليه من المقبلات ما يجعله لذيذ الطعم في اللسان غريب المذاق.

## برنامج الزيارة:

كانت الجلسة الأخيرة في مساء هذا اليوم في الفندق في التاسعة

مساءً مع الشيخ إلياس (شن شيا شي) رئيس الجمعية الإسلامية الصينية، ومعه بعض العاملين في الجمعية، وذلك لبحث برنامج زيارتنا وتنقلنا في المقاطعات الصينية العديدة التي قررنا زيارتها في هذه المرة.

وقد أبقينا أكثرها كما رآه الجانب الصيني، وأجرينا تعديلاً في بعضها، وتستمر لمدة ١٤ يوماً.

## يوم الجمعة ١٤١٣/١/١٠هـ ١٩٩٢/٧/١٠م

### صباح بكين:

كان المنظر من نافذة غرفتي التي تقع في الطابق السابع عشر من الفندق منظر أبنية عالية متعددة الطوابق (عمارات) وهي متشابهة لأنها كلها مما بنتة الدولة لإسكان المواطنين فيها، فتؤجرها عليهم، وهو إيجار شبيه بالتمليك لولا أن المستأجر لا يملكها، فليست له حرية التصرف فيها من بيع أو نحوه، وبين هذه الأبنية شوارع جيدة مشجرة بأشجار نضرة.

لكن لا تسير فيها سيارات في الساعة السابعة التي ألقيت فيها نظرتي عليها، وإنما السيارات كانت تسير على شارع عام يقع عنها شرقاً، وهي قليلة بالنسبة إلى عاصمة دولة عظيمة، وإنما الدراجات بدأت توجد في الشارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح، ولها نصيب مخصص من الشوارع الرئيسية في مدينة بكين، إذ يجعلون وسط الشارع الرئيسي مخصصاً للسيارات لا يفصل بين الذاهب والآيب منها إلا خط أبيض من الصباغ.

ويلي ذلك من الجانبين حاجز من أشجار أو رصيف أو نحو ذلك يخصص للدراجات، لأنها أكثر من السيارات بألآف المرات، وهي الوسيلة الوحيدة للانتقال الشخصي المنفرد، ويكون لها مثل ذلك في أيمن الشارع وأيسره، وبعد ممر الدراجات يكون الرصيف المعتاد للشارع.

وسألت نفسي عما لو سمحوا بتملك السيارات لأفراد الشعب الصيني، وكانت لدى الشعب قدرة متوسطة لشراء السيارات كقدرة

الشعب المصري في الوقت الحاضر على سبيل المثال ؟

ووجدتني أجيب بأن معنى ذلك أن تمتلئ شوارع المدن الحالية بالسيارات، بل أن يضطرب سيرها بها، وربما لم تستطع الحركة فيها، ولذلك سيحتاجون إلى فتح شوارع جديدة، وبناء جسور عديدة، وربما يحتاجون إلى شق أنفاق كثيرة، وهذا ما لا تستطيع حكومة الصين الشعبية ذات الاقتصاد النامي أن تفكر فيه في الوقت الحاضر فضلاً عن أن تفعله.

ورأيت على البعد رافعات عالية تعمل في بناء أبنية ضخمة جديدة لتتخذ منها الحكومة مساكن لموظفيها، أو للموظفين الذين يعملون في المؤسسات التي تتبعها، وهي تضيف بذلك مساكن جديدة.

ولما كانت المنطقة، منطقة معمورة بالمساكن من قبل، فإنهم اتخذوا خطة جيدة هي أن يهدموا المنازل القديمة في هذه الأماكن، وأغلبها بيوت من الطين أو الخشب ذات سقف واحد ويقيموا على أنقاضها عمارات تتسع لمئات السكان، وتكون حولها فراغات للتهوية ووقوف الدراجات ولعب الأطفال، على قلة ما يشاهد من الأطفال في مدن الصين الشعبية في الوقت الحاضر الذي تطبق فيه الدولة سياسة اقتصار الأسرة على طفل واحد، بل وحيد على حد تعبيرهم.

ومع وجود هذه الأبنية العالية الضخمة ذات الشقق الكثيرة التي لا تكف حكومة الصين عن بنائها، فإنهم ذكروا أنه لا تزال توجد حاجات لملايين الناس إلى مساكن، حتى ذكروا أن عُشر سكان بكين أو ١٠٪ منهم ليست لهم مساكن معتادة.

# إلى سقف الصين

## مقاطعة تشنغ هاي:

مقاطعةتشنغ هاي من مقاطعات الصين المهمة، فهي كبيرة المساحة تبلغ مساحتها (٧٢٠,٠٠٠) كيلو متر مربع، وإن كان عدد سكانها قليلاً بالنظر إلى سعة مساحتها فهو لا يزيد على أربعة ملايين نسمة، وهي من المقاطعات المهمة في الشمال الغربي من الصين.

ويسميها الصينيون (سقف الصين) لكونها أكثر مقاطعات الصين ارتفاعاً في الموقع بعد مقاطعة (التبت) التي لم تكن جزءاً لا يتجزأ من الوطن الصيني الأصيل في كل تاريخها، كما هو الحال بالنسبة لمقاطعة (تشنغ هاي).

منطقة جبلية مرتفعة في مقاطعة تشنغ هاي

ومقاطعة (تشنغ هاي) أيضاً مهمة لكونها مبدأ لأكبر نهرين عظيمين في الصين، وهما النهر الأصفر ونهر اليانقسي، فهما ينبعان من الجنوب الغربي لهذه المقاطعة، حيث يبلغ ارتفاع ذلك الجزء الجنوبي الغربي

من مقاطعة (تشنغ هاي) أربعة آلاف متر عن سطح البحر، وهذا الارتفاع هو أعلى حتى من موقع مدينة (لاسا) عاصمة التبت التي لا يزيد ارتفاعها على (٣٦٧٠) متراً، وإن كانت منطقة الهملايا التي فيها قمة إفرست أعلى قمم العالم.

و(تشنغ هاي) يعتبرها الصينيون (سقف الصين) لأن عاصمتها وهي مدينة (شي ننغ) ترتفع ألفين وثلاثمائة متر عن سطح البحر، وهذا ما لم تصل إليه أية عاصمة أخرى من عواصم المقاطعات الصينية عدا (لاسا) عاصمة التبت.

فلاح وزوجته على عربة في ريف تشنغ هاي

ثم إن مقاطعة (تشنغ هاي) فيها مجموعة مسلمة كبيرة، رأيت الجهات الرسمية في الصين تبالغ في التقليل العددي من شأنها، حتى تذكر أنها لا تتجاوز ١٢٪ من السكان، ولكنني بعد أن زرتها ورأيت المسلمين في عديد من أنحائها أجزم الآن من دون شك عندي أن المسلمين فيها لا تقل

نسبتهم عن ٣٠٪ من السكان.

وهذا من الأسباب الرئيسية التي دعتني إلى وضعها في برنامج زيارتي للصين الذي وافق عليه المسؤولون الصينيون.

**تسميتها:**

اسمها (تشنغ هاي) معناه: البحيرة الزرقاء، فتشنغ: بحيرة، وهاي: أزرق أو زرقاء.

وهذه البحيرة موجودة بالفعل في هذه المقاطعة، وتسمى بهذا الاسم الذي صار اسماً على المقاطعة كلها.

وكنت رأيت الصينيين الذين يكتبون اسمها بالعربية يكتبونه متصلاً هكذا: (تشنغهاي)، وهذا فيه محذوران: أحدهما: أنه يشتبه باسم (شنغهاي) كبرى مدن الصين التي تقع في موقع مغاير من خريطة الصين لموقع مقاطعة تشنغ هاي، إذ تقع مدينة (شنغهاي) في جنوب الصين الشرقي، بينما تقع مقاطعة تشنغ هاي في الشمال الغربي.

والمحذور الثاني أن بعض العرب الذين لا يعرفون طبيعة اللغة الصينية، ولا طريقة أهلها في نطق كلماتها قد يحركون الغين التي تسبق الهاء في لفظها، مع أن الهاء محركة بفتحة، فيتوالى فيه حرفان متحركان، مما تأباه اللغة الصينية التي تتألف من مقاطع مؤلفة من حرفين أولهما متحرك وآخرهما ساكن.

حتى وإن بدا رسم بعض الكلمات مؤلفاً من ثلاثة حروف فإنه في النطق مؤلف من حرفين فقط، إلا أن أحدهما ليس له مماثل في النطق من الحروف العربية فيرسم بحرفين علامة على لفظ له خاص، مثل المقطع

الأول من اسم هذه المقاطعة (تشنغ)، فإنه مؤلف من صوت له حركتان أولاهما متحركة والثانية ساكنة تتبعها غنة لا تصل إلى أن تسمى صوتاً فضلاً عن أن تكون حرفاً.

يصلون صلاة الجمعة في تشي ننغ في الجامع الكبير

والحرف الأول من هذا المقطع ينطق به كما ينطق بالحرف الأول من اسم (تشارلس) و(تشرشل) بالإنكليزية.

وتقع هذه المقاطعة في المجرى الأعلى لنهر اليانقسي والنهر الأصفر في الجزء الشمالي الشرقي من هضبة تشنغ هاي - التبت في القسم الجنوبي من شمال غرب الصين -. ويتركز الجزء الأكبر من السكان في المنطقة الزراعية في الشرق، التي تشكل ٥٪ فقط من إجمالي مساحة المقاطعة، وتعيش في المقاطعة قوميات من التبت ومنغوليا وخوي وتو وسالا وسالار وقازاق وغيرها من الأقليات القومية.

وتعرف هذه المقاطعة باسم هضبة تشنغ هاي نظراً لتضاريسها المرتفعة، وترتفع جبال آلطون وتشيليان في الشمال بأكثر من ٤٠٠٠م

تقريباً فوق سطح البحر.

**المؤلف يقف على جسر فوق النهر الأصفر في مقاطعة تشنغ هاي**

أما واديا النهر الأصفر وهوانقشوى في الركن الشمالي الشرقي، المرتفعان ٢٠٠٠م تقريباً، فهما أكثر المناطق انخفاضاً في المقاطعة، وأهم منطقة زراعية في تشنغ هاي، وينحدر تسايدام، وهو حوض داخلي كبير تحيط به جبال آلطون وتشيليان وكوناون في الشمال الغربي، من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتنتشر به عدد من البحيرات الملحية والمستنقعات، وتضم الهضبة في الجنوب، التي تشكل أكثر من نصف إجمالي مساحة المقاطعة ويتجاوز ارتفاعها ٤٥٠٠م فوق سطح البحر، جبال كوناون وفروعها، جبال هوهشيل وبايانكالا وآنيماتشين، وهي منابع نهر اليانقسي والنهر الأصفر ونهر لانتسانغ.

وتتوفر في تشنغ هاي طاقة كهرمائية ضخمة نظراً لما فيها من أنهار كبيرة تعد بالعشرات، وتضم أنهارها الخارجية: النهر الأصفر وتونغتيان (المجرى الأعلى لنهر اليانقسي) وتساتشيوى (المجرى الأعلى لنهر لانتسانغ) ونهر هوانغشوي وداتونغ، ومن بحيراتها العديدة: بحيرة تشنغ هاي أكبر

بحيرة داخلية في الصين، وقيارينغ ونغورينغ أكبر بحيرتين عذبتين بالمقاطعة.

**المناخ:**

مناخ تشنغ هاي قاري، والقسم الأعظم منها يطول فيه فصل الجفاف والبرد شتاءً، وصيفه قصير، كثير الرياح، قليل الأمطار، وساعات الشمس طويلة.

والفرق كبير في درجة الحرارة بين النهار والليل، ومعدل درجة الحرارة السنوي ٠-٨ درجات تحت الصفر في جنوب هضبة تشنغ هاي ومنطقة جبال تشيليان ، و ٠-٦ درجات في مناطق أخرى، ومعدل تساقط المطر السنوي أقل من ٣٠٠ملم بشكل عام.

**الزراعة:**

**المراعي الخضر في مقاطعة تشنغ هاي**

تبلغ مساحة المراعي في تشنغ هاي ٦٨٠,٠٠٠ كم مربع، أو ٩٥٪ من

إجمالي مساحة المقاطعة، لذلك تعتبر مركزاً مهماً لتربية الحيوان، إضافة إلى ذلك، يوجد بها مساحات واسعة جداً من المروج ذات آفاق واسعة في الاستفادة منها في مرعى الماشية.

ويضم الحيوان فيها: الأغنام وأبقار الياك و« بيان نيو »: (نوع هجين من البقر والياك) والخيول.

وتنتج هذه المقاطعة كميات كبيرة من صوف الغنم واللحوم والجلود تصدرها لمناطق أخرى بالصين، كما أنها منتج هام للأدوية العشبية مثل: الفطر اليسروعي وقرون الإيل والمسك والراوند.

وتشتهر بحيرة تشنغ هاي بما فيها من أسماك شبوط من غير حراشف.

ويزرع بالمقاطعة القمح الربيعي وشعير الهضاب والفول والبطاطس وبذور اللفت وأغلبها من حوض نهر هوانغشوى ووادي النهر الأصفر والطرف الجنوبي من حوض تسايدام.

**الصناعة:**

تشنغ هاي غنية بالبترول والرصاص والزنك والنحاس والكروم والكوبلت والنيكل والحديد والأسبستوس وكبريتات الصوديوم المائية والجبس وملح البحيرات والبوتاسيوم والبورون والفحم، وتدعى تشيليان باسم ((جبال الكنز) ) وتسايدام ((حوض الكنز) ) ويعمل ٥٨٣,٠٠٠ إنسان أساساً في صناعة الفحم والتعدين والبترول والكيماويات والآلات الميكانيكية والمنسوجات الصوفية والجلود والملح الخام والأطعمة.

**المواصلات:**

تضم خطوط السكك الحديدية في تشنغ هاي: خطى حديد لانتشو- تشنغ هاي، وتشنغ هاي - التبت، والطرق العامة: تشنغ هاي - التبت، وتشنغ هاي - شينجيانغ، وتشينغ هاي - سيتشوان، وكانسو- تشينغ هاي، ويبلغ طول خطوط سكة الحديد ١٢٦٠كم، والطرق العامة ١٥٤٩٥كم.

**منظر من مدينة تشي ننغ عاصمة مقاطعة تشنغ هاي**

وعاصمتها مدينة شي ننغ: حاضرة المقاطعة، وتقع في وادي هوانغشوي في الشمال الشرقي، وهي المركز السياسي والاقتصادي والثقافي ومركز المواصلات بالمقاطعة، وتبلغ مساحة المدينة ٣٥٠كم مربعاً، وعدد سكان المدينة ٧٠٠ ألف نسمة.

## من بكين إلى تشي ننغ:

غادرنا فندق (تشيوان) في بكين قاصدين المطار للسفر إلى مدينة (شي ننغ) عاصمة مقاطة (تشنغ هاي)، وذلك في السابعة والنصف.

ووجدنا شوارع بكين مزدحمة في هذه الساعة المبكرة من الصباح بالدراجات، كما وجدنا أرصفتها مزدحمة بالبضائع الصغيرة التي يعرضها باعة يسمونهم (شخصيين) بمعنى أنهم يبيعون لأنفسهم، وليس للدولة.

والبائع الشخصي في هذه البلد الشيوعية له اعتباره، لأنه يدل على أن الدولة ماضية في التراخي في تطبيق الشيوعية المتشددة التي تقضي بأن تتولى الدولة كل شيء من أمر البيع والشراء والأخذ والعطاء.

ولاحظنا أن بعض راكبي الدراجات معهم أطفالهم الذين لا يزيد عددهم على طفل واحد، وربما كانوا يأخذون الأطفال معهم إلى دور الحضانة، أو إلى المدارس، لأن الوالدين كلاهما يعملان.

أما السيارات فإنها قليلة نسبياً في هذه الشوارع، وأكثرها حافلات للركاب وفيها حافلات صغيرة، وتجاوزنا شارعاً بعد شارع من بكين، وكلها فيها الدراجات الكثيرة، بل التي يصح أن يعبر عنها بفيضان الدراجات لكثرتها وعليها الناس من سائر الأعمار، من رجال ونساء وصغار وكبار.

وقد اتخذت شوارع بكين لها وضعاً خاصاً منذ سنوات بأن تكون عليها الأبنية الضخمة من ذوات الطوابق المتعددة، تحيط بها مساحات من الفراغ، وتكثر الأشجار والعناية بالتشجير على جوانبها.

وفي مثل هذه الساعة، وعلى مثل هذه الحالة تتجلى كثرة السكان في الصين الشعبية التي يبلغ عدد سكانها ما يزيد على ألف مليون وخمسين مليوناً من البشر.

كما تتجلى فيهم الملامح الصينية التي نجعل الغريب يشعر وهو ينظر

إليهم أنهم متشابهون على كثرتهم، حتى قد يبلغ به الأمر إلى أن يشعر أنهم على البعد كالنسخ المتعددة للأصل الواحد، غير أنه ما أن يمعن النظر فيهم حتى يرى الفروق الدقيقة التي تميز الواحد منهم عن الآخر، مع بقائهم داخل الدائرة الصينية العامة ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾.

وتتجلى هنا أيضاً طبيعة الحركة المتأنية في الصين، فترى الناس يسيرون بهدوء ونظام، سواء منهم راكبو السيارات وراكبو الدراجات، وإذا عجب المرء من ذلك فإنه لا بد أن يتذكر أن البلاد تتبع نظاماً اشتراكياً تقل فيه الحوافز، ويستوي عند أكثر الناس فيه الشعور بأنهم سوف يتسلمون رواتبهم المحدودة دون زيادة أو نقص، سواء أأحسنوا العمل أم أبطأوا فيه، إلا من أتى منهم بجهد خارق، فإنه ينال مكافأة عن ذلك من الدولة، وقليل ماهم، وقليلة هي المكافأة التي تمنحها الدولة له.

إن مثل هذا الجو قد يشعر الفرد أنه ضائع الشخصية وذائب في خضم هذا المحيط البشري الضخم، وقد يزيد من شعوره أنه لا يستطيع أن يشكو مما هو فيه، ولا أن يحاول حتى بطريقة سلمية التعبير عن معارضته له.

ولاحظنا أن سيارات الأجرة (التاكسي) قد أصبحت كثيرة ظاهرة في شوارع بكين، بعد أن كانت معدومة عند ما زرناها في السابق.

وأما الملابس التي يراها المرء هنا في هذه الشوارع المزدحمة، فإنها الملابس العالمية التي تسمى الإفرنجية، ولكن بصفة مخففة، لكون الجو صيفياً، وأكثرها قميص خفيف كثيراً ما يكون قصير الكمين وسروال غليظ (بنطلون).

والجامع للباس الرجال والنساء هنا هو النظافة في الثياب والأبدان،

ولا تجد من يكون متسخ الثياب، حتى العمال الذين كثيراً ما تكون ملابسهم في البلدان النامية غير نظيفة هي نظيفة هنا كما رأيناهم اليوم.

وصلنا المطار الداخلي وهو ملاصق للمطار الدولي، وكان القياس أن يكون مطاراً مستقلاً، بل أن يكون مطارات مستقلة لكثرة الناس، واتساع البلاد، وصعوبة الاتصال بين أطرافها إلا بالطائرات، غير أن قلة الدخول، وغلاء أجور الطائرات بالنسبة إلى دخولهم قد حال دون الإكثار من ركوبهم الطائرات، وإن كان ذلك أكثر مما عهدناه عندهم في المرات السالفة.

دخلنا قاعة أولى ليس عليها شرطي يمنع الناس أو ينظر في تذاكرهم، فوجدناها مزدحمة غير مكيفة ضد الصوت، لذلك تتردد في جنباتها أصوات الناس التي تختلط فتصبح ضوضاء.

واسترعى انتباهي فيها منظر كناسة وهي امرأة تعمل في التنظيف، وتدفع بيدها عربة معتادة تسير على عجل، قد وضعت فوقها صندوقاً مفتوحاً وبيدها ملقط، إذا رأت شيئاً في القاعة أخذته بالملقط، ووضعته في ذلك الصندوق الذي أظنه من الورق المقوى فوق العربة.

والمكاتب في القاعة واسعة وعديدة.

وقد خيل إليّ وأنا أستعرض في ذهني المرات السالفة التي زرت فيها بكين، وسافرت خلالها من هذا المطار مرات وكرات أنني أرى الناس، وقد حسنت حالهم، فصاروا أفضل لباساً وأحسن هنداماً، بل حتى إن أثر التغذية الجيدة بالنسبة إلى السكان وهي التغذية المعتادة بالنسبة إلى الواقع هي الآن أكثر ظهوراً في وجوههم وعلى أبدانهم.

ومن هذه القاعة الخارجية دخلنا إلى قاعة الترحيل، وهي قاعة واسعة فيها مكاتب الترحيل، وعليها جندي يمنع غير المسافرين من دخولها إلا إذا كانوا مرافقين، ذوي صفة رسمية، وقليل ما هم.

من أهم المظاهر الجيدة في المطار التي لم أرها فيه في السابق وجود سير كهربائي متحرك، ينقل الناس إلى جهة من المطار وهو مستوٍ.

وهذا أمر صار معتاداً في أكثر مطارات العالم ذات الاستعمال الواسع، ولو لم تكن كبيرة أو غنية، ولكن وجوده في بلد شيوعي أمر يستحق التنويه.

وتقع بوابات الخروج إلى الطائرات في أماكن متسعة من الممر على هيئة دائرة صغيرة، وذلك لكون كثير من الطائرات التي تسافر إلى المدن والأقاليم القريبة هي طائرات صغيرة.

أما نحن فسوف نسافر إلى مقاطعة نائية، لذلك كانت طائرتنا متوسطة السعة.

فقد غادرنا المطار على حافلة ضيقة مليئة بالركاب ذكرتني بالحافلة التي يستعملها الهنود في مطاراتهم.

فدخلنا الطائرة وهي من طراز توبوليف ١٥٤ روسية الصنع، خالية من الدرجة الأولى أو درجة رجال الأعمال، بل كل مقاعدها درجة سياحية، وكانت مقاعدنا في آخرها.

وقد كتبوا عليها اسم المؤسسة التي تتبعها وهو (تشاينا نورث ويست أيرلاين) أي خطوط الطيران لشمال الصين الغربي.

وكان أول ما فعلوه قبل قيام الطائرة أن وزعوا على الركاب مراوح

ورقية يدوية معطرة، فكانت هدية لطيفة خفيفة وفي وقت الحاجة إليها.

## إلى تشي ننغ:

قامت الطائرة عند التاسعة والدقيقة الخمسين متأخرة ٢٠ دقيقة عن الموعد المحدد في الأصل لقيامها وهو التاسعة والنصف.

وأعلنت المضيفة من مكبر الصوت في الطائرة بالصينية ثم الإنكليزية أن المسافة إلى (شيى ننغ) طولها (١٦٠٠) كيلومتراً ستقطعها الطائرة في ساعتين وخمس دقائق.

كانت جيوب المقاعد في الطائرة خالية كالعادة من أية أوراق توضح أمر الطائرة أو خطة سيرها وما تمر فوقه من مدن أو مقاطعات، فلم يكن فيها إلاّ كيس من الورق الذي يستفرغ فيه من أخذه دوار البحر في الطائرة فألجأه إلى القيء.

كما لم تكن فيها جرائد أو مجلات.

وبحثت بهذه المناسبة عن الركاب لأرى ما إذا كانوا كالأوروبيين وبعض الغربيين ومن سار على نهجهم في إزجاء الوقت في الطائرة في مفيد من القراءة في كتاب أو جريدة أو مجلة، فلم أر منهم أي شخص بيده كتاب أو شيء من ذلك، مع كون الطائرة مليئة تماماً بالركاب، بحيث لا يوجد فيها مقعد واحد خالٍ.

والغريب أنهم أعلنوا بعد إقلاع الطائرة أنه ممنوع منعاً باتاً حمل السلاح والمخدرات في الطائرة.

أما الخمور والمشروبات الكحولية فلم أرهم يقدمون شيئاً منها في

الطائرة، ولم أر الركاب يتناولون شيئاً منها، مما قد يكونون أحضروه معهم، ولا أدري أذلك ممنوع عندهم كما هو عليه الحال في أقطار ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي، أم أن ذلك كان بطريق المصادفة.

وكانت الضيافة الأولى في الطائرة مناسبة أيضاً، إذ هي علبة صغيرة من (الآيس كريم) الأبيض صالحة لمثل هذه الأيام الحارة من أيام الصيف.

ثم وزعوا علباً من اللدائن الشفافة الجميلة المصنوعة على هيئة قلب، تعبيراً عن المحبة، وفي داخل هذه العلبة حلوى ربما اعتبروها جيدة، أما نحن فعندما ذقناها لم نستطبها، ولكن العلبة جميلة، والرمز من كينيتها له معنى في نفس الراكب.

كما وزعوا مناديل معطرة مغلفة باللدائن، وهذا كله للركاب الذين كلهم من ركاب الدرجة السياحية.

ومن الطريف في الأمر أن مضيفات الطائرة وزعن على الركاب قبل وصول الطائرة إلى (شيى ننغ) بنصف ساعة، جرائد بالصينية والإنكليزية أخذنا منها واحدة بالإنكليزية، فوجدنا تاريخها قد مضى عليه يومان، مع أنها جريدة صينية تصدر في مدينة بكين التي أقلعنا منها.

## فوق تشنغ هاي:

بعد أن أمضينا ساعتين إلا ربعاً من الطيران بدأت الطائرة في التدني فوق جبال حمر عارية تماماً من الأشجار، تشبه إلى حد كبير جبال السروات في بلادنا، وهي مكومة أكواماً؛ بمعنى أنها ليست سلاسل جبال منقادة مستقيمة الامتداد.

ويكاد بعضها يغلق الطريق على بعض إذ تكون الفرج أو الأماكن

المنخفضة بينها معدومة أو شبه معدومة، ما عدا بعض الوديان الضيقة التي فيها خضرة غير كثيفة تبدو بينها بيوت متفرقة.

التلال الطينية على ضفاف النهر الأصفر في مقاطعة تشنغ هاي

وبعض المنازل تبدو من الطائرة وليس بقربها خضرة.

وبدت في الأفق البعيد جبال أخرى تحتها أماكن عديدة مخضرة، ولكن المنطقة بجبالها المكومة، وألوانها التي تتراوح ما بين أحمر وبني وأرجواني رائعة المنظر، بل رهيبة المنظر.

ثم تدنت الطائرة من علیائها بسرعة، فاتسعت الفرج بين الجبال، وصارت الوديان في نظر العين أكثر انفساحاً، وظهرت فيها المزارع التي تبدو حقلية فيها البيوت الطينية المسطحة السقوف، كما تبدو على البعد من الطائرة.

وبدت سكة من سكك الحديد وهي تحاول اللجوء إلى أقدام الجبال وتتلاقى الوديان التي يبدو أن أرضها غير مستقرة لما ترسله هذه الجبال من مياه أيام الأمطار، ومن ذوب الثلوج في الشتاء الثالج القاسي.

وقربت من المطار فبدا نهر صغير يشق وادياً أخضر ضيقاً، ولكنه متدفق المياه وسط هذه الجبال الحمر الجرد.

**الحشود الضخمة:**

**جموع خارج ساحة وقوف الطائرات في مطار تشي ننغ في انتظار وصول الوفد**

كان هناك منظر آخر غريب في هذه المنطقة، وهو منظر حشود ضخمة من الناس كانت موجودة فوق تلال متطامنة تطل على مدارج المطار.

وقد اجتمعت هذه الحشود من الناس على هيئة صفوف طويلة فيها الرجال والنساء والأطفال.

وتبين بعد ذلك أنهم جاؤوا ليروا الطائرة التي تقل وفدنا، وفد رابطة العالم الإسلامي القادم من مكة المكرمة، فنحن أول وفد يقدم إليهم من البلاد المقدسة كما ذكروا لنا بعد ذلك، وقد كان احتشاد هذه الأعداد الضخمة من البشر المسلمين ناتجاً عن كون المسؤولين في الإدارة قد نشروا

خبر وصول الوفد وموعد وصوله، وأعطوا لذلك اهتماماً أضاف إليه الجمهور المسلم في هذه المقاطعة اهتماماً أكثر من ذلك.

وكنت أظن أنه ستتاح لهذه الجماهير الغفيرة فرصة الاقتراب من وفد البلاد المقدسة إن لم يكن السلام عليهم والتحدث إليهم في المطار، غير أنه اتضح بعد ذلك أن الأمر ليس كذلك، وأن هؤلاء الذين تجشموا عناء الخروج إلى المطار، وانتظار وصول الطائرة لم يمر الوفد بقربهم، ولم تتح لهم فرصة اللقاء بنا، إلا أنهم رأوا الطائرة التي قدمت بنا، ولمحوا أشخاصنا على البعد ونحن ننزل في أرض المطار.

ولو كان لي شيء من العلم بأمرهم، أو من الأمر في تنفيذ برنامج الاستقبال لكنت طلبت الاقتراب منهم والمرور على الأقل من بينهم، حتى تتاح لنا ولهم فرصة الاقتراب والتحية إن لم تكن المصافحة والسلام، وإن كانت مصافحتهم أو حتى مصافحة كبارهم والمقدمين فيهم تحتاج إلى وقت طويل.

## في مطار شي ننغ:

هبطت الطائرة في مطار طويل المدرج بعد أن كنا سمعنا المضيفة تعلن أن درجة الحرارة في المطار هي (١٧) درجة مئوية، هذه درجة جيدة في هذه البلاد الباردة، وإن كانت تبدو متدنية إذْ نحن الآن في شهر يوليو، ودرجة الحرارة في البلدان الباردة مثل موسكو ولندن وباريس أعلى من ذلك.

وقد تبين أن هذا اليوم كان يوم دفء إذ اليومان اللذان تلياه كانا أقل منه دفأً.

عند الخروج من مطار تشي ننغ إلى ما يلي المدينة

ولا نقول كانا أقل منه حراً من هذا الفصل الحار في هذه البلاد الباردة.

وقد عجبت حين رأيت الذين اقتربوا من الطائرة لخدمتها عليهم المعاطف، لا سيما حينما تأملت مدارج المطار وأنها عارية من النبات تماماً، وما شبهتها إلا بمدارج المطار في مدينة الرياض، فهي أقل نباتاً حتى من مطار القصيم المركزي.

وهذا ما أعطانا انطباعاً بطبيعة البلاد الجافة، وهو انطباع صحيح، إلا أننا عرفنا بعد ذلك أن هذه المنطقة الجافة يمر غير بعيد منها النهر الأصفر العظيم الأهمية في الصين، وهو أحد نهرين رئيسين هما هذا النهر الأصفر، ونهر اليانقسي، وكلاهما ينبع من منطقة مرتفعة من هذه المقاطعة مقاطعة (تشنغ هاي) على بعد يتراوح بين خمسمائة وخمسين كيلو متراً وبين ستمائة وخمسين كيلو متراً من عاصمة المقاطعة هذه التي نزلنا بمطارها.

كما أن هناك نهراً صغيراً يمر بالمدينة وتستفيد منه كما تستفيد المنطقة كلها من مياهه، وهو الذي رأيناه من الطائرة، إضافة إلى ما يتحلب من الجبال والهضاب العالية من ذوب الثلوج التي تقع كثيفة عليها في الشتاء.

ترجل الركاب من الطائرة من فوق سلم مضطرب الدرجات، يتمايل براكبه أو النازل منه كأنما هو يرحب به ترحيب النشوان بمن يعشقه.

**مجتمعون في انتظار وفد الرابطة في مطار تشي ننغ**

ورأيت من أرض المطار صفوفاً أخرى من الإخوة المسلمين المستقبلين عليهم شعار المسلمين الظاهر وهو القلانس (الطواقي) البيض فوق رؤوس رجالهم، و(الغداف) وهي أغطية الرأس الساترة لكل شيء فيه إلا مقدمته التي فيها العينان وما تحتهما، ويختلف لون أغطية الرأس عند النساء هنا باختلاف الوضع الاجتماعي للمرأة، كما قديأتي الكلام عليه بإذن الله إن جاءت مناسبة لذلك.

ونظراً إلى أن الرحلة داخلية فلم نمر بأية إجراءات في المطار، حتى

تسلم أمتعتنا الكثيرة تولى مضيفونا أهل البلاد أمرها، فلم نرها إلاّ في الفندق بعد ذلك.

كان على رأس المستقبلين عند سلم الطائرة:

١- الشيخ عبد الله خان شنغ قوي رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة تشنغ هاي ونائب رئيس المجلس الاستشاري السياسي لمقاطعة تشنغ هاي.

٢- الحاج بهاء الدين جاو سينغ يوان رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة تشي ننغ.

٣- الحاج عبد الله ما تشانغ تشينغ نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة تشنغ هاي.

٤- الحاج شعيب ماشنغ لو نائب رئيس مصلحة شؤون الأديان لمقاطعة تشنغ هاي.

٥- الشيخ محمد ماشيانغ تشنغ نائب مدير المعهد الإسلامي وإمام الجامع الكبير.

**السلام الكثيف:**

في ساحة الوصول في مطار تشي ننغ

عند الخروج من مبنى المطار والظهور في الجهة الداخلية مما يلي البلاد وجدنا حشداً ضخماً من المستقبلين المسلمين، وقد اختلط بهم بعض أهل البلاد من غير المسلمين فيما يظهر، وهم غير الذين رأيناهم على التلال الشرقية على مدارج المطار، وغير الذين كانوا قربه، فأقبلوا علينا يريدون المصافحة والسلام في تدافع عجيب وشوق عظيم، ولكن المرافقين صدوهم وردوهم عن ذلك، رغم أعتراضي عليه قائلين: إن الوقت ومقتضيات الأمن يوجبان النفاذ بين هذه الحشود بسرعة.

ولكن المسلمين كانوا من اللهفة على اللقاء والمصافحة، وحتى مس الثياب التي أهمها العبي (المشالح) بمكان عظيم، فكان المرافقون من كبار المسلمين يصيحون بهم بما معناه: يكفي لا حاجة للمصافحة، افسحوا الطريق.

وقالوا بعد أن تنفسنا الصعداء: إنهم كلهم مسلمون مشتاقون إلى رؤيتكم، ورأيت على وجوههم إشراقاً ليس معهوداً على وجوه الصينيين الذين رأيتهم قبل هذه المقاطعة، إلا أن هيئة وجوههم تميل إلى قرب الشبه بالمغول الذي من أهمه أن يتخيل المرء أن الوجه قد (رعص) أي ضغط عليه بقوة حتى صار أكثر اتساعاً، والأنف أقل ارتفاعاً، والجبين أعرض مما كان عليه.

وقد كان الحشد مؤلفاً من الرجال والنساء من شبان وشابات مختلطين، ولم يمكن تفادي الاختلاط فضلاً عن الازدحام في مثل هذا التلاحم والتدافع.

وأكثر النساء من المسلمات اللائي يعرفن بأغطية رؤوسهن التي مر ذكرها قريباً، وهي ذات ألوان مختلفة، فإذا كانت بيضاء كان معنى

ذلك أن المرأة التي ترتديها قد تقدمت بها السن، أو ولد لها أحفاد، وإذا كانت سوداء كان معنى ذلك أنها امرأة متزوجة، أما إذا كان لون غطاء الرأس على المرأة أخضر، فإن معنى ذلك أنها غير متزوجة، بمعنى أنها ليست في عهدة زوج من الأزواج، أي أنها إما أن تكون عذراء أو أن تكون مطلقة.

**حتى النساء شاركن في استقبال وفد الرابطة في مطار تشي ننغ**

أما الرجال فإن غطاء الرأس عندهم هو القلنسوة البيضاء وهي الطاقية ما عدا طلبة العلم ومحبيهم من العامة، فإنهم يضعون على رؤوسهم عمائم ذات ذوائب، وهي أطراف العمامة التي تتدلى خلف الرقبة.

وبعض النساء رأيت فوق رؤوسهن قبعات عريضة من القش كالقبعات التي تلبسها النساء عندنا في الجنوب مثل تهامة وعسير، يتقين بها الشمس، وهؤلاء يتقين بها الشمس رغم كون البلاد باردة، وقد يتقين بها سقوط الثلوج في الشتاء.

## الموقع العجيب:

موقع المطار عجيب حقاً، فهو في ظهر من الأرض مرتفع قاحل عار من النبات تماماً، يطل عليه من جهة الشرق جبال عالية عارية من النبات، ولكن ينفصل بينهما وادٍ منخفض شديد الانخفاض، أخضر بل خصب شديد الخصوبة يجري خلاله النهر الصغير الذي رأيناه من الطائرة، وهو نهر (هوان شوي)، ويغذيه ما تحمله الأمطار من تلك الجبال التي تبين فيما بعد أن بعضها ليست جبالاً صخرية خالصة، وإنما هي تلال عالية من الطين الذي قد يكون خالطه حصى صغار.

وهذا المطار حديث لم يمض على إتمامه إلا نحو أربعة أشهر كما أخبرونا، ولذلك وجدنا قسماً منه لم يرصف بعد.

وقد ذكرني ذلك بما كان أخبرني به الإخوة المسلمون الصينيون عند زيارتي للصين التي سبقت هذه، وقد مضت عليها الآن خمس سنين أن مقاطعة (تشنغ هاي) تستحق الزيارة لكثرة المسلمين فيها، غير أنه لا يوجد فيها مطار، وإنما على من يريد الذهاب إليها أن يطير إلى (لان تشو) عاصمة مقاطعة (كان صو)، ومن هناك يستقل السيارة مع طرق ليست حديثة ولا واسعة كطرق المملكة.

## من المطار إلى المدينة:

لا يبعد المطار عن أول المدينة التي نقصدها وهي مدينة (شي ننغ) عاصمة مقاطعة (تشنغ هاي) إلا بـ ٢٤ كيلو متراً، ومع ذلك فإن هذه المسافة تستحق أن يفرد لها هذا العنوان لغرابة المرئيات التي يشاهدها من يسلك هذا الطريق القصير.

**الطريق بين المطار ومدينة تشي ننغ**

كان أول ما وقعنا فيه من الطريق قطعة قصيرة لم يتم تعبيدها، وفيها جرافات تعمل يغطيها غبارها الذي ما لبث أن غطى سياراتنا، لأن ذلك كان لمسافة قصيرة جداً، وقعنا بعدها في الطريق الإزفلتي الذي هو ضيق ولكنه جيد التزفيت.

وأظهر ما في الطريق بيوت الطين التي تشد أمثالي ممن عايشوا تلك البيوت الطينية، أو لنقل ساكنوها فسكنوها ورأوها تسكن، وقد مضت على ذلك عقود من السنين، وهي تشبه بيوتنا الطينية القوية، إلا أنها أقل ارتفاعاً، وسقوفها وإن كانت مسطحة وليست مسنمة، فإنني رأيتهم يميلونها إمالة خفيفة إلى جهة من الجهات حتى تنزلق عنها مياه الأمطار، وتسهل إزاحة الثلوج عنها في الشتاء.

وحتى البساتين المحوطة هي ذات حوائط من الطين الخالص، إلا أنه قد تشقق بسبب عدم إضافة التبن إلى الطين، لأن التبن يمنع الطين من التشقق.

وقد أعجبني منظر افتقدته في بلادنا منذ سنوات طويلة، وهو منظر اللبن من الطين الذي قد وضع على الأرض ليجف، وصفّ بعضه فوق بعض بعد جفافه، تمهيداً لنقله والبناء به.

أسوار الطين بين المطار ومدينة تشي ننغ

وتحيط بالطريق من جانبيه أشجار من أشجار الظل المغروسة أغلبها غير عال، وربما كان ذلك لحداثة عهدها.

و(أشجار الظل) صار تعبيراً خاصاً عن الأشجار التي لا تغرس من أجل ثمرها فهي لا تثمر، وإنما لكي تجمل الطريق، وقد تحمي من يمر به من المطر إذا لم يكن غزيراً، ومن الثلج إذا لم يكن كثيفاً، وإلا فإنها تكون في البلدان الباردة مثلما تكون في البلدان الحارة، وقد رأيت أهل سيبيريا يحرصون على غرسها في شوارعهم، وعلى حافات طرقهم مع أنها تظل جزءاً كبيراً من السنة وهي هامدة، ذات منظر كئيب، بسبب برد الشتاء الرهيب في تلك البلاد.

أما منطقة (تشنغ هاي) هذه فإنها ليست بالغة البرد، وإنما تنزل درجة

البرودة فيها في المتوسط إلى ١٣ درجة مئوية تحت الصفر.

وقد نوهوا بتجمعات من البيوت الطينية مررنا بها ذاكرين أن أهلها من الإخوة المسلمين، وهذه البيوت ذات مظهر حسن، قد طليت بطين حر مخلوط بتبن يقيها من أن تذوب عند نزول الأمطار.

وقابلنا أناس من الفلاحين قد ركبوا فوق جرارات زراعية، وكلهم قد وضع على رأسه قبعة عريضة من القش، وقد عجبت من زيادة وجود الجرارات الزراعية في الصين التي لاحظتها خلال هذه الزيارة، على حين أنها كانت قليلة في زياراتنا السابقة.

وذلك أن الحكومة لا تمانع في أن يتملك الفلاحون جرارات زراعية يستعملونها للحرث والركوب ونقل الأشياء التي يحتاجونها، بخلاف سيارات الركوب، فإنها لم تسمح لأفراد الشعب بتملكها.

ثم وصلنا إلى مجرى نهر عميق، يجري على حافة وادٍ عميق أيضاً، ضفافه كلها من الطين الصلد، وليست من الحجارة.

وفي هذا الوادي قمح قد أخرج سنبله، ولم يصفر بعد، وذلك رغم كوننا في شهر يوليو وسط القيظ، وعهدنا في بلادنا أن القمح يكون هكذا في شهر مارس، ثم يحصد في شهر إبريل أو مايو، وذلك لتبكير الحر في بلادنا، ثم هجوم القيظ علينا منذ أول مايو.

ولاحظت شيئاً يدل على طبيعة البلاد الجبلية، وهو وجود عربات تجرها البغال، لأن البغال أصبر على صعود الجبال من أنواع الحيوان الأخرى كالخيل والحمير.

وأما الإبل فإنها لا توجد في هذه المنطقة لبرد البلاد في الشتاء،

ووعورة أرضها، وإنما توجد بكثرة في مقاطعة كانسو المجاورة لها، وهي التي كان يخترقها طريق الحرير الذي يمتد من مدينة (شيان) في مقاطعة (شانشي) من وسط الصين حتى البلدان العربية، وتسير عليه الجمال الصينية والتركستانية، وكلها من ذوات السنامين، ولا يعرفون في تلك المقاطعة إبلاً كإبلنا ذات سنام واحد، مثلما أننا لا نعرف في بلادنا إبلاً كإبلهم ذات سنامين.

## نهر المياه العذبة:

ذكرنا هذا النهر الذي رأيناه من الطائرة صغيراً نزر المياه، ثم صار يبارينا مع الطريق إلى المدينة في أكثره، ويسمونه نهر (هوان شوي) بمعنى نهر المياه العذبة.

وقد يتساءل المرء الغريب الذي يسمع اسم هذا النهر لأول مرة عن السر في وصف مياه النهر بأنها عذبة، مع كون الأصل المعروف أنها كذلك، ويعتقد أن تسميته بهذا الاسم هو من تحصيل الحاصل الذي لا فائدة منه.

ولكن الذي يعرف طبيعة مقاطعة (تشنغ هاي) هذه لا يعتقد ذلك، والسبب أن هذه المقاطعة مياهها كثيرة غير عذبة، ففيها مثلاً أكبر بحيرة ملحة في الصين كلها، وفيها مناجم للملح تستطيع أن تسد حاجات مقاطعات كثيرة من الصين بالملح الحجري الصافي، وأن تصدر ما يفيض عن حاجة البلاد منه إلى الخارج.

هذا مع أنها ليست على بحر، بل ليست قريبة من أي بحر، وحتى لو كانت قريبة من البحر فإن ارتفاعها شديد جداً.

صفوف طويلة في انتظار وصول وفد الرابطة إلى الجامع في تشي ننغ

وعندما أبديت لهم استغرابي لقلة مياه هذا النهر بالنسبة إلى سعة مجراه، ذكروا أنه يزيد في بعض الأحيان من مياه الأمطار حتى يملأ المجرى ويصل إلى الضفاف.

والمزروعات التي في هذا الوادي على ضفة النهر متعددة، منها نبات عباد الشمس الذي قد أزهر حتى غدت أزهاره كالبسط الصفر المنشورة وسط الخضرة المحيطة به على ضيق الوادي الأخضر.

ويزرعون عباد الشمس مثل كثير من البلدان الباردة ذات الفصول الدفيئة القصيرة، من أجل الحصول على الزيت الذي يعصر من حبه، ويستعمل إداماً للطعام.

وقد ذكرني منظر هذا الوادي والتلال العارية من الخضرة فوقه بمنظر بعض الأماكن في بلاد الشام، وبخاصة أنني رأيت شجراً ظننته من

أشجار الجوز، فأخبروني أن الجوز هنا موجود بكثرة، وإن كان وجوده في هذا المكان قليلاً.

أما الناس الذين في هذه المناطق الريفية فإنهم يبدون في لون أكثر بياضاً من داخل الصين، ولكن التقاسيم المغولية الشهيرة فيهم أكثر ظهوراً مما عليه في داخل الصين، وإن لم يكن الصينيون أقرب إلى تقاسيم الوجوه العربية منهم.

ثم اتسع مجرى النهر ونحن نقترب من المدينة، ورأيت قطيعاً من الغنم ذات لون أبيض غير ناصع، وهو الذي تسميه العامة باللون السكري، وكنا نسميه في لغتنا العامية باللون الأقمر - نسبة إلى ضوء القمر - أو إلى لون القمر نفسه، فنقول عن بعض الجمال التي تكون في مثل هذا اللون: جمل أقمر، ونقول للناقة: ناقة قمرا.

ولا أرى بأساً - على غرابة ذلك - أن أذكر للقارئ الكريم هنا أنني ألفت كتاباً كبيراً هو «معجم الألفاظ العامية» ، ذكرت فيه مثل هذه الألفاظ العامية التي تركناها الآن، وصرنا نستعمل غيرها في كلامنا.

قاربنا ضواحي المدينة، فأوقفوا سيارتي التي تتقدم الموكب في انتظار إحدى السيارات المرافقة التي تخلفت عن الموكب، فكانت (غلطة بصواب) كما كان القدماء يقولون في الأمثال، إذ انتهزت الفرصة ونزلت فصورت بعض المناظر التي لا يمكن تصويرها والسيارة تسير.

ولو كنت طلبت منهم أن يوقفوا الموكب لأصور ما أريد تصويره لما مانعوا في ذلك، لأنهم إنما يريدون تكريمنا، ولكنني لم أرَ ذلك متفقاً مع مقتضيات اللياقة، أن أوقف الموكب وأصور منظراً ربما لا يرون أن تصويره مناسب، مثل بيوت الطين التي عفا على أمثالها الزمن.

ورأيت على البعد مصنعاً تنفث مداخنه الدخان بقوة، فأخبروني أنه مصنع لغزل الصوف ونسجه، وهو قائم على الأصواف التي تنتجها المواشي في هذه البلاد ذات المراعي الواسعة، والمساحات الشاسعة.

## مدينة شي ننغ:

وصلنا مدينة (شي ننغ) التي يبلغ عدد سكانها ثمانمائة ألف نسمة من مجموع سكان مقاطعة (تشنغ هاي) البالغ عددهم زهاء أربعة ملايين نسمة.

صفوف خارج الجامع في انتظار وفد الرابطة في تشي ننغ

وأول ما استرعى انتباهنا على الشارع الرئيسي فيها وجود أبنية حكومية ذات طوابق متعددة، من التي تبنيها الدولة فتجعلها شققاً سكنية لسائر أبناء الشعب، وغير بعيدة منها أبنية أخرى مثلها تحت البناء.

وقد صارت حوائط الأماكن المهمة فيها من الآجر بديلاً من الطين الذي كان موجوداً في حوائط الأبنية والبساتين الواقعة على الطريق قبل وصوله إلى المدينة.

ومن المشاهد غير المفهومة عندنا أنني رأيت في مدخل المدينة فتاة حسنة المظهر، ترتدي ثياباً نظيفة، تدفع بيدها عربة خشبية، لا يساعدها على دفعها أحد.

وقد أحسسنا بالشمس باردة الآن في هذا الفصل الحار من شهر يوليو، وكأنما هي شمس الشتاء في بلدنا التي لا يهاب المرء أن يجلس فيها.

والمدينة في موقع فريد، تقع على ضفاف وادٍ أخضر ضيق، يجري فيه نهر هوان شوي الذي تقدم ذكره، وتطل عليه جبال عالية حمر، ذات طرائق بنية أو صفر، ولكنها جرداء من النبات.

وأما السيارات فإنها في شوارعها قليلة جداً، وأكثرها من الشاحنات الخشنة الزيتونية اللون في أكثر الأحيان، وهي الشاحنات التقليدية المعروفة في سائر أنحاء الصين، وكلها مملوك للحكومة أو لمؤسسات عامة شبه حكومية، أو جمعيات تعاونية تساندها الحكومة، ولا يمكن للفرد أو للشركات الخاصة تملك واحدة منها.

وسيارات الأجرة موجودة ولكنني لم أرها صفراء اللون، وإنما هي أشبه (بالليموزين) وإن كانت مكتوباً فوقها كلمة (تاكسي) بالصينية إذا رأيتها من الأمام، أما إذا نظرت إليها من الخلف فإن تلك الكتابة عليها بحروف لاتينية معناها (تاكسي).

وفي يمين الطريق ويساره مسارات مخصصة للدراجات، مثلما عليه الحال بالنسبة إلى شوارع المدن الرئيسية الكبيرة.

وهذا التنظيم لسير السيارات والدراجات يكون في الشوارع الرئيسية الكبيرة كما تقدم.

وفي وسط المدينة صارت أغلبية المباني على الشوارع بالآجر والإسمنت، واقتصر منظر الأبنية الطينية على الأحياء القديمة التي تحف بالشوارع الضيقة.

ومررنا بحي من أحياء المدينة اسمه (تونغ وان) أي البوابة الشرقية للمدينة، وهو من أحياء المسلمين المعروفة فيها، رأينا من أظهر ما فيه مسجد له منارة ذات طراز صيني متأخر، وهو المختلط بالطراز العربي المتأخر.

ولم نقف في هذا الحي ولا عند المسجد، وإنما كنا نقصد جامع المدينة الرئيسي، إذ من المقرر أن نذهب إليه، ونصلي فيه صلاة الجمعة قبل الذهاب إلى الفندق.

ولم أرَ الناس يبعدون عن طريق السيارات بسرعة، فكان السائق يطلق بوق سيارته باستمرار.

**الاستقبال الكبير:**

**حتى أطفال المسلمين اصطفوا لاستقبال الوفد**

وصل الموكب إلى الشارع الذي فيه مسجد (دونغ قوان) وهو المسجد الجامع الكبير في مدينة (شي ننغ) ذات الستة والثلاثين مسجداً، فوجدنا صفوفاً من الناس قد اصطفت من زقاق يدخل إلى المسجد من الشارع حتى وسط الشارع إلى مسافة طويلة، وقد أغلق رجال المرور هذا الشارع العام المهم بهذه المناسبة، وقد زينت المنطقة بمظاهر الزينة، وعندما ترجلنا من السيارة بادرنا عدد من الواقفين، وجلهم من أهل الفضل والدين من أئمة المساجد، والعاملين في ميدان الدين، ولكن بنظام شديد، ولم نقف وإنما طلب منا مرافقونا وبخاصة الأخ (عبد الله هان شنغ قوي) رئيس الجمعية الإسلامية في (تشينغ هاي) الذي هو المسؤول بالدرجة الأولى من الناحية النظرية عن تنظيم هذا الاحتفال، وإن كان بلغنا بعد ذلك أن عدة جهات أسهمت فيه.

انطلقنا بين صفين من الوقوف، فكانوا يبادروننا قبل أن نصل إليهم بقولهم: «السلام عليكما»، وقد يحسن أن تكتب (السلام عليكمَ) بفتحة غير مشبعة على الميم، لأنهم هكذا ينطقون ميمها مفتوحة.

عند الباب الخارجي قبل دخول جامع تشي ننغ

ولم يكن من الممكن المصافحة لأن العدد كبير جداً، وإنما كنا نكتفي بإلقاء السلام إليهم باللسان، والإشارة باليد إلى التحية، ولكنهم كانوا يقولون هذه الجملة التي تتضمن التحية الإسلامية «السلام عليكما».

وهم لا يكررونها، وإنما نحن كنا ونحن نسير بين سماطين من الصفوف كل ما وصلنا إلى الواقفين في الصف بادرونا بذلك.

وقد أخذوا زينتهم من الثياب، والتزموا بمظهر المسلمين هنا من لبس القلانس (الطواقي) البيض على الرؤوس، فاليوم هو الجمعة، وقد احتشدوا لغرض الترحيب بوفد رابطة العالم الإسلامي القادم من مكة المكرمة، ثم صلاة الجمعة معه في هذا الجامع الكبير.

هذا وكانوا قد أداروا مسجلاً لديهم يتلو القرآن الكريم بقراءة مجودة، وبصوت مرتفع لا تسمع غيره من الأصوات إلا جملة «السلام عليكما».

وقد بلغ عدد الواقفين في الصفوف الألوف المؤلفة من الإخوة المسلمين الذين رأيتهم يتلهفون لرؤيتنا، ثم رأيتهم منبهرين عندما شاهدونا ونحن نلبس ملابسنا العربية الكاملة.

وأخذ بعضهم يحاول الاندفاع إلينا بغية السلام، أو حتى لمس الملابس، ولكن الشيخ (عبد الله هان شنغ قوي) ومن معه من رجال الأمن كانوا يردونهم عن ذلك، ويصدونهم عن الالتصاق بنا، وإلا فإنه ليس بيننا وبينهم في السير إلا مسافة قليلة، إذ لم يكن بين الصفين من الفراغ إلا ما يكفي لمرور شخصين اثنين.

**الاستقبال قبل الدخول إلى جامع تشي ننغ عند وصول وفد الرابطة**

كان وقت صلاة الجمعة لم يحن بعد، ولم تتح لنا تحية هؤلاء الإخوة، ولا التحدث معهم، واعتقدت أنهم لا يمكنهم أن يصلوا كلهم صلاة الجمعة معنا، لأن الجامع على رحابته واتساعه لا يسعهم إلا إذا صلوا في امتداد الشارع العام الذي أغلقته شرطة المرور دون السيارات، لأنه يصعب عليها أن تجتاز الموجات البشرية المتراصة من الإخوة المسلمين.

إلا أنهم ذهبوا بنا إلى غرفة ملحقة بالمسجد تشبه قاعة الاجتماع، فهي واسعة وقد أحاطوها بمقاعد جيدة، وبها موائد قد وضعوا عليها فاكهة من البطيخ الأخضر (الحبحب) والأصفر (الخربز) والخوخ ومشمش كبير لم أره موجوداً بهذا الحجم في غير بلادهم، وهو في حجم الخوخ الكبير، ومع ذلك نقل من النقل هو بزر البطيخ، وزبيب.

وقد اجتمع في هذه القاعة الصغيرة والغرفة الكبيرة عدد من الأشخاص، تقدم الشيخ (عبد الله هان شنغ قوي) رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة (تشنغ هاي) فأخذ يقدمهم لنا واحداً واحداً بأسمائهم وأسماء

المساجد التي يؤمون الناس بها.

وكان معنى هذا أنهم من رجال العلم والعاملين في الحقل الإسلامي الذين ينحصر عملهم في إمامة الناس في الصلاة، وفي السنين الأخيرة بدأ عنصر المدرسين في الفصول الإسلامية الملحقة بالمساجد ويسمونها معاهد يلتحق بركب العاملين فيه، وبهذه المناسبة ذكر الحاج (عبد الله) أن عدد المساجد في العاصمة (شي ننغ) ٣٦٢ مسجداً، وفي المقاطعة كلها (١١٧٠) مسجداً.

**جانب من الجموع التي استقبلت وفد الرابطة في مدينة تشي ننغ**

كانوا يتحدثون وأنا أفكر في جموع المسلمين التي استقبلتنا عند باب المسجد، وقد راعني كثرة عددها، فسألتهم عن ذلك ؟ فأجابوا بأن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة في المعتاد هو ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً، وأما في هذه الجمعة، فإن العدد تضاعف بسبب كثرة القادمين المرحبين بكم، الذين جاءوا من أنحاء بعيدة.

وقد وجدتني أصدق هذه الأرقام، وسألت بعد ذلك غير المرافقين

الرسميين أو المسؤولين في الجمعية الإسلامية عن عدد المصلين في الجمع المعتادة في هذا المسجد، فأجاب بأن ذلك في حدود عشرة آلاف.

فاقتنعت من صحة الرقم، ومما يجدر ذكره أنه هو الجامع الوحيد الذي يسمح بإقامة صلاة الجمعة فيه في المدينة.

وقلت لهم: إن هؤلاء الإخوة الذين رأيتهم كما رأينا شوقهم إلى رؤية إخوانهم الذين جاءوا في أول وفد يصل إلى بلادهم من مكة المكرمة قد ظللوا كما أراهم الآن من الشرفة التي تقع فيها غرفتنا، وهي في طابق فوق الأرض من رواق في شمال المسجد، قد ظللوا في أماكنهم، وهذه فرصة لنا يجب أن تنتهز في التحدث إليهم عن مشاعرنا نحوهم، وفي توصيتهم بتقوى الله تعالى، وإصلاح أمورهم الدينية والدعوية، فإنهم - بلا شك -ينتظرون أن يسمعوا مثل هذا الكلمات من شخص يحسنون به الظن لكونه قادماً من مكان معظم مشرف.

صفوف المسلمين المتراصة يستمعون إلى كلمة المؤلف في فناء جامع تشي ننغ المكشوف

## الغداء في المسجد:

ذكروا لي بعد أن شرحت لهم ما ذكرت أن البرنامج يتضمن تناول طعام الغداء في المسجد، وقالوا: سوف نتغدى الآن، وبعد ذلك نلقي فيهم كلمة، ثم نصلي الجمعة معهم.

**في غرفة الاستقبال في المسجد الكبير في مدينة تشي ننغ بجواري الشيخ عبد الله هان شنغ قوي رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة تشنغ هاي**

وانتقلنا إلى غرفة أخرى في المسجد وجدناهم قد نصبوا فيها مائدة مستطيلة هي مائدة الغداء، وأجلسونا حولها نحن والوفد الذي كان يرافقنا في الرحلة، وهم الحاج إلياس (شن شيا شي) رئيس الجمعية الإسلامية الصينية، وهو شخصية كبيرة مهمة في محيط المسلمين في الصين، لأنه مقرب من الحكومة، ويشغل مكاناً مرموقاً في عدة مجالس شعبية حكومية، بمعنى أن الحكومة هي التي عينت الأعضاء فيها وهي التي ترعاها. والأخ الأستاذ مصطفى (يانغ بوه) مدير العلاقات الخارجية

بالجمعية الإسلامية الصينية المركزية، وهي التي مقرها في بكين، ولكن لها فروع في سائر مقاطعات الصين، ومنها مقاطعة (شنغ هاي) هذه التي نحن فيها، وهو مترجم الوفد إذ هو من الصينيين القلائل الذي يحسنون اللغة العربية.

وجدناهم وضعوا على المائدة خبزاً ضخماً يشبه خبز التركستانيين الذي يصنعونه في بلادهم وهو غير خبز (التاميز) الذي اشتهروا به، وإنما هو خبز غليظ سميك وبجانبه أكواب الشاي الصيني الثقيلة، ذات الأغطية الثقيلة أيضاً.

وكانت أول أنواع الطعام دجاجاً ضخماً دسماً جاؤوا به حاراً، ذا رائحة عبق بها المكان، ثم جاؤوا بلحم غنم من غنمهم السمين، بحيث إن الشحم فيه أكثر من الهبر، ثم أعقبوا ذلك بأقداح الحساء الدسم من مرق اللحم، وكانت هذه المائدة أشبه بالتركستانية التي نسميها البخارية عندنا منها بالصينية.

## مخاطبة الجموع:

أتممنا الغداء بسرعة وقد قاربت الساعة الواحدة بعد الظهر، والصلاة كما يقولون في الواحدة والنصف في المعتاد، ولكنهم يمكنهم أن يؤخروها قليلاً لأن المصلين موجودون، فألقينا النظر على الجموع المحتشدة عند باب المسجد من الداخل، وذلك من إطلالة من شرفة الطابق الثاني من رواق المسجد، فوجدنا أن المسجد الرئيسي وهو واسع كبير قد امتلأ كله بالمصلين منذ وقت، وأن فناء المسجد قد بدأت الجموع تدخل من الشارع إليه، لأنهم كانوا قد منعوا الدخول فيه.

فلما رأونا أسرعوا يتدافعون للاقتراب من الصفوف الأمامية في فناء المسجد الذي كنا رأيناهم وضعوا في مقدمته منصة للخطابة وعدة كراسٍ ومكبرات للصوت.

وكان ذلك في مكان مرتفع بالنسبة إلى الفناء، لأن المصلى الرئيسي مرتفع يصعد إليه من الفناء المكشوف للمسجد درجاً عدة، وضعوا في أعلاها هذه المنصة.

شيوخ وأناس من جميع الأعمار وقفوا لاستقبال وفد الرابطة في تشي ننغ

بدأ الكلام الحاج (عبد الله هان شنغ قوي) رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة (تشنغ هاي)، فقدمنا للحاضرين الذين كانوا ألوفاً مؤلفة، بل إنهم ومن خلفهم خارج المسجد وإمامهم داخله يبلغون عشرات الألوف.

ثم تقدمت فألقيت فيهم كلمة جامعة كان يترجمها إلى الصينية جملة جملة الأستاذ (مصطفى يانغ بوه).

وقد قلت فيها من بين ما قلته: إنني أحمل إليكم تحيات إخوانكم في بلاد الحرمين الشريفين: مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وتحيات العاملين منهم في رابطة العالم الإسلامي التي لها علاقة بجميع الجمعيات والهيئات الإسلامية في العالم، وأبديت لهم إعجابي بكثرة الحاضرين منهم هنا لهذا المسجد العظيم، وبينت لهم الحكمة من الاجتماعات المشروعة في الإسلام، وهي الاجتماع لأداء الصلوات الخمس في مسجد الحي ثم الاجتماع لصلاة الجمعة مثل اجتماعكم هذا لأنه أوسع وأشمل، وهو يعقد في الأسبوع مرة واحدة، وهذه الاجتماعات السنوية لصلاتي العيدين وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، وأعم من ذلك الاجتماع الكبير الذي يجب على القادر من المسلمين أن يحضره مرة واحدة في عمره، وهو موسم الحج الذي يجمع بين المسلمين من جميع أنحاء العالم.

المؤلف يخطب على المنصة في الجماهير المحتشدة في الجامع في تشي ننغ

ثم وجهت إليهم نصائح عديدة، من أهمها أن يحرصوا على تربية

أولادهم تربية إسلامية، وأن يشمل ذلك تعويدهم على الآداب الإسلامية.

وأخبرتهم بأن المسلم يجب أن يأخذ الإسلام في المعاملات لأنها متعلقة بصلته بالآخرين من البشر، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وقلت لهم: إنهم يجب عليهم أن يساعدوا إخوانهم في الوطن على المصالح العامة فيه، لأن ذلك فيه مصلحة الجميع، مثل المحافظة على الطرق والمستشفيات، والعمل في الخدمة العامة.

وأبديت لهم استعداد رابطة العالم الإسلامي للتعاون معهم على البر والتقوى فيما يتعلق بالشئون الثقافية والتعليمية لهم.

وكانوا يقاطعون بالتصفيق، ولم يكن بالمستطاع في هذه الحالة إفهامهم بأن التصفيق لا ينبغي في المسجد، وإنما ينبغي أن يعبر المسلم فيه عن إعجابه بشيء أعجبه بالتكبير، أي بقوله: الله أكبر، كما أنني عندما انتهيت من إلقاء كلمتي كلها دوى الجو بالتصفيق الحاد.

ثم نهض بعدي الحاج (إلياس شن شيا شي) رئيس الجمعية الإسلامية الصينية فألقى كلمة قال فيها: لقد جئت إلى هذه المقاطعة العزيزة مرافقاً لفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي من أجل الاجتماع بكم والاستماع إلى ما تريدون أن يسمعه فضيلته منكم، وإن سروري بالغ في هذه الساعة الطيبة المباركة، وإنني باسمكم وباسم الجمعية الإسلامية الصينية أقدم شكرنا جميعاً لفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي لقدومه وقدوم وفد الرابطة إلى هذه المقاطعة، التي لم يمنعهم من زيارتها بُعدُها عن العاصمة، فضلاً عن بُعدها عن بلادهم، وذلك للقاء بكم والاطلاع على مشروعاتكم الإسلامية، وإنني أشكر رابطة العالم الإسلامي على ما قدمته من خدمات للحجاج

الصينيين، وبخاصة للبعثة الرسمية من الجمعية الإسلامية الصينية، كما نشكر الرابطة أيضاً على ما قدمته من مساعدات للمشروعات الإسلامية في الصين.

يستمعون إلى كلمة المؤلف في الجامع الكبير في تشي ننغ

## صلاة الجمعة:

بعد هذا المهرجان الخطابي إن صح التعبير، وربما لا يصح لأن عماده كان كلمتي المبسوطة التي انتظرها جمهور المسلمين، انطلقنا إلى داخل المسجد نخوض غمار المصلين الذين كانوا جالسين منذ فترة طويلة.

فهذا المسجد هو الجامع الوحيد في المدينة التي تضم (٣٦) مسجداً، ومن لم يبكر من المصلين لم يحصل على مكان في داخل المسجد.

وهذا في الأحوال المعتادة، وأما في هذا اليوم الذي علم فيه المسلمون بقدوم وفد من رابطة العالم الإسلامي، فإن الحضور كان أشمل، والزحام كان أشد.

وكانت السلطات في البلاد قد أعلنت لهم بوسائل الإعلان المعتادة لهم عن وصول الوفد، وأنه سيؤدي صلاة الجمعة في جامع (دونغ قوان) الكبير هذا، وقد قدر عدد الحاضرين من المسلمين بخمسة عشر ألف رجل.

وجدنا المصلى من الجامع مؤلفاً من ثلاثة أقسام متصل بعضها ببعض، فاخترقنا الصفوف من القسم الأول الذي يلي الفناء المكشوف وهو الشرقي منها، لأن القبلة عندهم في جهة الغرب، ثم الآخر ثم الأخير.

وكان يتقدمنا منهم أناس يفسحون لنا الطريق، يشيرون إلى المصلين بوجودنا، فيفسحون الطريق لمرورنا حتى وصلنا الصف الأول.

وكانت المفاجأة التي وجدت لنا نظائر في شمال الصين فيما بعد أن المنبر ليس في آخر المسجد من جهة القبلة مجاوراً للمحراب، ومسامتاً له، وإنما هو في آخر القسم الثاني من المصلى المسقوف المتصل، بحيث أن الخطيب إذا خطب يكون المصلون الذين هم في الجزء الأول من المسجد وهم أول الصفوف خلفه.

وهكذا كان فقد خطب الإمام الشيخ يحيى (خه إن شي) فكنا نلتفت لكي نراه لأنه خلفنا، وكانت خطبته بالعربية موجزة غاية الإيجاز، لكونه اكتفى بالخطبة التي ألقيتها قبل الصلاة بمثابة الموعظة التي اعتاد الإخوة من المسلمين الذين لايتكلمون العربية أن يجعلوها قبل الصلاة، من غير أن يعتبروها من الخطبة الشرعية، ولكنها هي التي تكون مفهومة للحاضرين لأنها بلغتهم، وتتضمن في أكثر الأحيان، وبخاصة في مثل هذه البلاد التي لا بد من أن يشعر الواعظ والمتكلم الذي يكون في أكثر الأحيان هو الخطيب الرسمي بأنه مراقب، وأن عليه أن يحسب لما يخرج من فمه كل حساب.

وهذا أمر معقول، بل هو الذي ينبغي أن يكون، إذْ ما جدوى أن يطيل الخطيب خطبته العربية وهو يعرف أن لا أحد من المصلين يفهمها، بل ربما كان هو نفسه لا يعرف كثيراً من معانيها، وإنما يعرف ألفاظها لما تعلمه من القراءة بالعربية كما جربت ذلك في حالات قليلة و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

ولا علاج لذلك إلا بنهضة شاملة بالتعليم الإسلامي للمسلمين تتبع أو ترافق نهضة شاملة لهم بالتعليم العام الذي لا بد منه لهم إذا أرادوا أن يشغلوا مناصب مهمة مرموقة في الدولة.

وقد ألقى الخطيب خطبتين موجزتين معتادتين، ولم يكن في خطبته ولا في الصلاة التي أمّ المصلين فيها غيره ما يستحق أن يسجل لغرابته، إلا أنهم بعد الصلاة نهضوا يتنفلون، حتى صلى كل واحد منهم ثماني ركعات، وبعضهم صلى عشر ركعات، أما نحن فقد صلينا ركعتين، وبقينا جالسين وهم يصلون، وكان في هذا بعض الحرج، غير أننا لن نصلي من أجل رفع الحرج، ولاحظنا أن بعضهم كان قد أعاد الصلاة ظهراً بعد صلاة الجمعة، أخذاً بقول بعض الفقهاء من أن ذلك مشروع لكيلا يكون الناس قد صلوا الجمعة قبل أن يصليها الإمام الأعظم، مع أنهم يعلمون أنه ليس للمسلمين إمام أعظم ولا أصغر في هذا الزمان.

وقد دعا الإمام بعد ذلك بدعاء طويل صامت، وقرأ آيات من القرآن.

## ولكن كيف الخروج ؟

انقضت الصلاة بسرعة، وأردنا الخروج مع مرافقينا، ولكن الإخوة المصلين وأغلبهم من كبار السن، وفيهم من هم في متوسط العمر أقبلوا

يصافحون وقابلناهم نحن بمثل ذلك، فنحن نريد أن نصافحهم ونتحدث معهم حديثاً مباشراً، غير أن الحديث المباشر قد حال دونه حاجز اللغة، إذْ يحسنون أن يقولوا (السلام عليكما) أو (عليكمَ) - بفتح الميم وليس بإسكانها - ولكنهم لا يحسنون غير ذلك، حتى كلمة كيف حالك ؟ أو أأنت طيب ؟

ولما كثرت المصافحة ولم نستطع التزحزح من مكاننا، وكنت رغبت إلى المرافقين أن يتيحوا لنا مصافحة هؤلاء الإخوة الذين يبين إشراق الإيمان في وجوههم، فهم من أهل الصفوف الأولى في المسجد، ولكنني لاحظت أن بعضهم لا يكتفي بالمصافحة مرة واحدة، فهو وإن انصرف بعد المصافحة فإن بعضهم يعود ليصافح مرة أخرى، أو ليمس الثوب أو العباءة ثم ينصرف وهو يبتسم، وقد شعر بالغبطة والسعادة.

وأحاط بنا المرافقون ومنعوهم من الوصول إلينا، ولكنهم لم يبتعدوا وطلبوا صوراً تذكارية، فالتقطنا مع بعضهم عدة صور، فسرنا خارجين من المصلى الرئيسي المسقوف في المسجد، ثم نزلنا من الدرج الذي يصل إلى الفناء المكشوف، وقد امتلأ على سعته بالناس، فأقبلوا يريدون المصافحة والتمسح بثياب الوفد، ولكن المرافقين صدوهم وردوهم بأن ضربوا نطاقاً من أجسادهم حولي، ولكنني صرت أشعر أنني وإياهم قد أصبحنا كتلة واحدة تميلها الجماهير المزدحمة ذات اليمين وذات الشمال، من غير أن يكون لنا اختيار، وربما من غير أن يكون للجماهير القريبة منا اختيار في ذلك، لأن الكتل البشرية التي كانت خلفهم هي التي تدفعهم من محاولتها الاقتراب.

ووصلنا السيارات بصعوبة، فأغلقنا الزجاج دونهم، وصار رجال

الأمن يبعدون الناس عن طريق السيارات.

## كلام حكومي عن الجامع:

في ختام الكلام على هذا الجامع العظيم أحببت أن أنقل هنا ما ذكرته نشرة حكومية صينية عنه، وقد تكلمت على ما تريد أن نقرأه نحن وغيرنا من الكلام على الثورة الشيوعية في أثناء الكلام على الجامع، قالت النشرة:

جامع دونغقوان في مدينة شينينغ:

شينينغ هي عاصمة مقاطعة تشينغهاي، حيث يقطن المسلمون بكثافة. وقد بني مَسجد صغير في المدينة في مطلع عهد أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م) على يد الجنرال المسلم موينغ، لكنه دمر على أيدي سلطة أسرة تشينغ (١٦٤٤-١٩١١م)، فقام المسلمون هناك بإعادة بنائه، ثم هدم ثانية... وهلم جراً.

وفي سنة ١٨٩٥م تمادت سلطة أسرة تشينغ في غيها إلى حد استئصال شأفة المسجد، ولم تكتف بذلك بل أرسلت عدداً من العملاء إلى موقع المسجد لمراقبة تحركات المسلمين وتهديدهم بالمعاقبة الشديدة إذا ما تجاسروا على بناء المسجد مرة أخرى.

وهيأ انتصار ثورة ١٩١١ للمسلمين هناك الظروف المواتية لإعادة بناء المسجد، فبعد جهود استغرقت سنتين تم لهم بناء مسجد جديد، ولكنهم فكوه سنة ١٩١٦ م بسبب انحراف قاعة صلاته عن القبلة. ولما تم تحديد القبلة، أعيد بناء المسجد على نطاق واسع، وفي الفترة ما بين ١٩٤٦و١٩٤٧ أضيف إلى المسجد جناحان: جنوبي وشمالي، مكونان من طابقين، كما

أضيف له بوابتان ومئذنتان وأكثر من ثمانين غرفة إضافية حتى أصبح جامعاً على الصورة التي نراها اليوم.

ويغطي جامع دونغقوان مساحة تربو على ١٣,٦٠٠ متر مربع. وتبلغ مساحتها المبنية أكثر من ٤,٦٠٠ متر مربع. لذلك لا يعتبر أكبر جامع في مقاطعة تشينغهاي فحسب، بل هو غالباً ما يقرن اسمه مع جامع عيد كاه بمدينة كاشغر في شينجيانغ، وجامع هواجيويه بمدينة شيآن. إنه جدير بأن يعد من أكبر الجوامع في الصين. ويبدو هذا الجامع مهيباً وجميلاً للغاية لفخامة مبانيه، وجمعه بين فن العمارة الصيني التقليدي وأسلوب العمارة الإسلامي.

أما مدخل الجامع الأول فهو مبنى يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار وعرضه خمسة عشر متراً، وعلى عقده العلوي الكلمات التالية المذهبة: «جامع دونغقوان في شينينغ» . ولو دلفت من المدخل الأول إلى الداخل مسافة ثلاثين متراً لألفيت نفسك أمام المدخل الثاني المسطح المكون من خمسة عقود إسلامية الطراز، ويبلغ ارتفاع هذا المدخل الجميل التخطيط عشرة أمتار، ويبلغ عرضه واحداً وعشرين متراً، ويشكل مع مئذنتين ناطحتين للسحاب على جانبيه منظراً فريداً من نوعه.

ولدى دخولك من المدخل الثاني تجد نفسك أمام صحن تبلغ مساحته ٤,٥٠٠ متر مربع، وعلى جانبيه جناحان: جنوبي وشمالي، مكونان من طابقين، أما الجناح الشمالي، فمخصص للاستقبال وخزن الكتب الإسلامية والاجتماع العام، بينما الجناح الجنوبي مخصص لسكن طلاب العلم والبحوث التعليمية. وتنتصب في غربي صحن الجامع قاعة صلاة تغطي مساحة قدرها ١,١٣٦ متراً مربعاً، ونظراً إلى أنها مبنى مماثل لإحدى

القاعات الإمبراطورية المشيدة في عهد أسرة مينغ، مع وقوعها على قاعدة مرتفعة، فإنها تبدو مهيبة ورائعة إلى حد لا يوصف، وقد زينت واجهات القاعة المسقوفة بنقوش دقيقة من الأزهار المتنوعة، وهي جميلة جمال مثيلاتها الطبيعية، ويكسو سطح القاعة قرميد مطلي بالزجاج الملون، وتظهر في وسط تسنيمة سقفها ثلاث أوانٍ زخرفية مذهبة تبهر الأبصار لشدة لمعانها وتألقها.

وحيث إن هذا الجامع معروف بروعة مبانيه وضخامة حجمه، فما من أحد أتى إلى شينينغ إلا استمتع بزيارته، وكان الكثير من كبار المسؤولين الحكوميين قد تركوا آثار أقدامهم في الجامع، ومن الجدير بالذكر أنه عندما قام المارشال الراحل تشن يى بزيارة الجامع سنة ١٩٥٦ تبرع له بمبلغ قدره ألف يوان. وقد أصبح هذا الأمر حكاية مشوقة تتناقلها ألسنة المسلمين هناك حتى يومنا هذا. وقد تم ترميم الجامع على نطاق واسع سنة ١٩٨١، ويشهد هذا الجامع عادة آلاف المصلين في أيام الجمعة والأعياد، وهذا المشهد لم يكن له مثيل في تاريخ المسجد.

## بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩م:

إن تأسيس جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ يرمز إلى أن أبناء مختلف القوميات الصينية قد دخلوا مرحلة تاريخية من التغيرات العظمى، فقد أصبح أبناء القوميات المسلمة سادة أنفسهم بكل معنى الكلمة، شأنهم شأن بقية أبناء وطنهم، إذْ لم ينهضوا اقتصادياً وثقافياً فحسب، بل حظيت عقيدتهم الدينية بالحماية قانونياً، وفي ظل ذلك خصصت الحكومة الشعبية الأموال لترميم بعض المساجد القديمة التي تداعى بنيانها بسبب حرمانها من الإصلاح أعواماً طوالاً، وإن كان الاقتصاد

الوطني آنذاك يمر بمرحلة في غاية الصعوبة. والهدف من ذلك تسهيل ممارسة المسلمين عباداتهم، وجدير بالذكر أن الكثير من المساجد قد استعادت ملامحها الأصلية اعتماداً على معونات الحكومة الشعبية.

وخلال «الثورة الثقافية» (١٩٦٦-١٩٧٦) كانت سياسة حرية العقيدة الدينية التي وضعت بعد تأسيس الصين الجديدة قد ديست بالأقدام، فهدمت أعداداً كبيرة من المساجد، أو استخدمت لأغراض أخرى. وكانت الجموع الغفيرة من المسلمين متألمة غاية الألم لما تعرضت له المساجد من تخريب وتعطيل على أيدي المجرمين، وبعد إزالة «عصابة الأربعة» أعيد افتتاح أكثر من ثلاثة وعشرين ألف مسجد في كافة أنحاء البلاد تدريجياً، بفضل تطبيق سياسة حرية العقيدة الدينية من جديد.

ومما يجدر ذكره أن «عصابة الأربعة» جملة صارت تتكرر كثيراً في الصين، وهي تعني الأربعة الذين نفذوا ماأسموه بالثورة الثقافية، وهي التي تستهدف بناء الشيوعية في الصين على أساس خالٍ من تأثير أية ثقافة أخرى حتى الثقافة الصينية القديمة والديانات القديمة في الصين. سارعت «عصابة الأربعة» إلى تخريبها، فبالنسبة للمسلمين قتل أو أهين مئات من أئمة المساجد، وأحرقت مصاحف وكتب إسلامية، وفعل بأبناء الديانات الأخرى مثل ذلك.

وعصابة الأربعة هم:

١- جنياى تشين: زوجة الرئيس ماوتسى‌تونغ، عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزية.

٢-وانغ هون ون: نائب رئيس لجنة الحزب الشيوعي المركزية.

٣- شانغ شون بياو: عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزيـــة، ونائب رئيس مجلس الدولة.

٤- ناو ون يوان: عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشـــيوعي المركزيـة ونائب رئيس مجلس الدولة.

**فندق شي ننغ:**

**الجماهير المحتشدة أمام الفندق في تشي ننغ**

قصدنا الفندق الذي أعد لنزولنا في هذه المقاطعة، وهو فندق (شي ننغ)، وهو أفخر الفنادق فيها، ويعتبر من فنادق الدرجة الأولى؛ سواء في مداخله وأبهائه وممراته أو في غرفه.

وقد وجدناهم قد أحيطوا علماً بوصولنا، فمثلاً كان عند المصعد فتيات من المسلمات الجميلات العاملات في الفندق، يحيين في أيديهن باقات الزهور يهدينها إلى الوفد، وعند الوصول إلى الطابق الذي فيه غرفنا، وهو الخامس عشر وجدنا فتيات أخريات من العاملات في الفندق،

وقيل لنا إنهن مسؤولات عن هذا الطابق فقط، وبعضهن مسلمات، وبعضهن من قومية (الخان) غير المسلمة، وقد أعدت كل واحدة منهن معها المناشف الحارة المعطرة تحية لوصول الوفد النازل عندهن.

وعندما أزحت ستارة النافذة عن غرفتي في الفندق أسفرت عن منظر جميل، بل بديع الجمال، إذ أعدوا الفندق أمام شارع رئيسي مستقيم يشق المدينة حتى يكاد يصل إلى طرفها الذي يقف عند الوادي الذي يجري فيه نهر (هوان شوي)، ولكن الوادي والنهر فيه لا يريان، لأن الأبنية تحجبهما عن الأنظار، وإنما يبين جبل أحمر اللون، جميل المنظر للونه الطبيعي لا لخضرة فيه، وقد انتصب شامخاً يغلق الأفق أمام الناظر من النافذة بغلق جميل.

فأسرعت ألتقط له صوراً كان منها ما تراه الآن.

**صورة من نافذة الفندق للقسم الجيد من مدينة تشي ننغ**

**(التقطها المؤلف من نافذة الفندق)**

## جولة في مدينة تشي ننغ:

منذ أن وصلت واطلعت على أن برنامج الزيارة ليست فيه فقرة للجولة على معالم المدينة، وكذلك للجولة على المساجد فيها التي أعرف أنها عديدة، وأنا أحاول أن أجعلهم يستجيبون لجولة لنا على المدينة، وهم لا يسرعون إلى ذلك، ولا يأبونه اتباعاً لمقتضيات اللباقة في الضيافة، ولكنهم مقيدون أيضاً بتعليمات الحكومة التي وضعت البرنامج.

ومع ذلك فقد استجابوا مشكورين لرجائي ولكن بطريقة مختزلة.

وينبغي أولاً أن نذكر معنى اسم المدينة جرياً على العادة التي سرنا عليها في التعريف بمعنى أسامي المدن التي نجول فيها.

معنى اسمها: الأمن الغربي، أو الغرب الآمن.

وأصله أن المناطق القريبة من وسط الصين كانت تتعرض كثيراً لغزوات ملوك وسط الصين وملاحقات جنودهم، حيث يغيرون على ما يليهم من البلاد.

أما هذه المنطقة التي هي منطقة (تشي ننغ) فإنها بعيدة عن متناول غزواتهم، معتصمة بموقعها المرتفع البارد، لذلك صارت آمنة من وصول أولئك الغزاة إليها فسميت (تشي ننغ) بمعنى الأمن الغربي أو الغرب الآمن.

ومما يجدر ذكره هنا أن ننوه بأنها ترتفع عن سطح البحر ألفين وثلثمائة متر، أي بمقدار ارتفاع مدينة الطائف أكثر من ثلاث مرات، ويبلغ عدد سكان (تشي ننغ) (٧٠٠) ألف نسمة، منهم (١٠٠) ألف مسلمون أي بنسبة ١٢٪ من سكانها، وقال بعضهم: إن عدد سكانها ٨٠٠ ألف نسمة.

وتؤوي مدينة (تشي ننغ) حوالي ٢٠٪ من سكان مقاطعة (تشنغ هاي)

البالغ عددهم زهاء ٤ ملايين نسمة، ويبعد النهر الأصفر عنها بـ ١٥٠ كيلو متراً، أما نهر اليانغسي فيبعد ٦٠٠ كم.

لم يكن المرافقون يريدون من الجولة إلا تلبية إلحاحي لذلك صاروا يشيرون إشارة سريعة إلى الأشياء التي نمر بها.

بدأنا الجوّلة في الخامسة والنصف عصراً، وكنا نسير وسط المدينة في موكب تتقدمه سيارة الشرطة بعدها سيارة رئيس الوفد، وهو كاتب هذه السطور، ثم اثنتان للإخوة المرافقين.

مررنا بحديقة للأطفال أشاروا إليها ولم ندخلها، ثم أشاروا إلى جبل يقع جنوب المدينة وقالوا: هنا حديقة الجبل الجنوبي، ولم يكن بالإمكان الذهاب إليها لكونها تقع عالياً في الجبل، والطريق إليها ليس على ما يرام.

كما مررنا بمركز تجاري حكومي كبير، ذكروا أنه من طابقين تحت الأرض.

## الحي الغربي:

وهو الحي الغربي من المدينة القديمة، لا يزال يسمى بذلك رغم اتساع المدينة وخروجها عن النطاق القديم حتى صارت التسمية بالغربي هنا لا معنى لها.

وقد سلكنا الشارع الغربي في جهة منه مقر حكومة مقاطعة (تشنغ هاي) وهو شارع مهم مستقيم تقاطع معه شارعان، أحدهما ذاهب جنوباً ويسمونه الشارع الجنوبي، والثاني ذاهب شمالاً ويسمونه الشمالي، هكذا يسمون الشوارع بأسماء الجهات.

شارع شي وا في مدينة تشي ننغ

واخترقنا وسط المدينة التجاري، وهذا اصطلاح عالمي وإن لم يكن دقيقاً في البلدان الشيوعية مثل هذه البلاد الصينية، إذ هو كان كذلك قبل الشيوعية، واستمرت التسمية والاصطلاح عليه، وإن لم يكن الآن تجارياً إلا بالنسبة إلى الحكومة، لأن الحوانيت والمحلات الكبيرة فيه هي مملوكة للدولة، وجميع العاملين فيها هم موظفون للدولة مهمتهم بالدرجة الأولى أن يبيعوا على الناس، ولا يشتروا منهم، لأن هذه المحلات هي أشبه بمراكز توزيع البضائع.

وهناك أسواق أخرى وحوانيت صغيرة يملكها أشخاص، ولكن بضائعها محدودة، وإمكانات أهلها قليلة.

وتتألف الأبنية والمتاجر في الوسط التجاري هذا في قلب المدينة من أبنية إسمنتية جيدة متعددة الطوابق.

والناس في أرصفة هذا الوسط التجاري كثير، حتى إنهم يكادون يملأونها، والدراجات التي تسير فيه كثيرة أيضاً، بخلاف السيارات التي

أعدادها ليست كثيرة.

## حي البوابة الشرقية:

يسمونه (تونغ وانغ) بمعنى البوابة الشرقية، ولا شك في أن هذه التسمية تقابل التسمية السابقة (الحي الغربي) وهو في أغلبية سكانه من المسلمين، وكان معتبراً في القديم من أحياء المسلمين في المدينة، ويكاد يكون خاصاً بهم، ولهم فيه الآن عدة مساجد.

مررنا مع شارعه الرئيسي الذي فيه المسجد الكبير ويسمونه (تونغ وانغ) على اسم الحي، ولا حظنا فيه وجوداً ظاهراً للمسلمين يتمثل في كثرة الذين يلبسون القلانس وهي الطواقي - جمع طاقية - حتى الصبيان رأينا طائفة منهم عليهم القلانس البيض. ولاحظنا إشراقاً في وجوه المسلمين أكثر من السكان غير المسلمين، ولا شك في أن مرجع ذلك إلى كون المسلمين لا يأكلون لحوم الخنزير ولا يشربون الخمر، إضافة إلى الإشراق في الوجه الذي يسببه الإيمان بالله.

## الجبل الذي يمنع البرد:

اتجهنا جهة الشمال مع شارع مهم يغلق النظر فيه ذلك الجبل الأحمر الذي يقع إلى الشمال من المدينة أشاروا إليه وقالوا: إنه يمنع البرد عن المدينة، ويريدون بذلك إنه يرد عنها الريح الباردة الشمالية.

وينتهي هذا الشارع بمحطة القطار ويساراً منه أي في جهة الغرب رأينا بناء مبنياً على الطراز العربي نوهوا بأن الحكومة هي التي بنته، ولا شك أن ذلك لا يحتاج إلى تنويه لأنه لا أحد يستطيع أن يقيم هذا المبنى الكبير غير الحكومة؛ بسبب عدم وجود الوسائل الكافية، وحتى إذا وجدت أو

استوردت من خارج البلاد ، فإن الحكومة تمنع عملها ، ولا ترخص لها بذلك.

ولاحظنا أن المدينة متسعة كبيرة رغم الانطباع الأول عنها بأنها ليست كذلك، بسبب محاصرة الجبال العالية لها في جهتي الشمال والجنوب.

وقدامنا الجبال وهي هكذا تبدو في رأي العين، وإن لم تكن كلها من الصخور، وإنما بعضها من الطين الذي تتألف منه التلال أو الجبال الطينية المشهورة في الشمال الغربي من الصين.

## تاريخ إنشاء المدينة:

أعجبنا موقع المدينة واستقامة شوارعها رغم كونها ممتدة جهة الشرق والغرب من غير اتساع في الشمال والجنوب، وأخبرونا أن ابتداء عمارة المدينة كان في عام ١٣٨٠م هكذا حددوا السنة.

وحسناً فعلوا حينما أنشؤوا حديقتين إحداهما على الجبل الشمالي والثانية على الجبل الجنوبي، وكل واحدة منهما تطل من جهتها على المدينة.

وأخبرونا أن محافظة المدينة أي المناطق الإدارية التي تتبعها مباشرة تمتد لمسافة ٨٠ كيلو متراً ، ويشمل ذلك الامتداد شرقاً وغرباً داخل المدينة.

وعندما استكملنا الذهاب في المدينة جهة الشمال عطفنا جهة الجنوب مع غربي المدينة فوصلنا إلى ضواحٍ مزدحمة بالأناسي وبالدراجات.

## مصرف المسلمين:

مررنا ونحن نعود إلى وسط المدينة بمصرف أشار إليه مرافقونا باهتمام وقالوا: إنه مصرف المسلمين، أي بنكهم يضعون فيه ما يزيد من النقود عندهم ولو كانت قليلة، ولكنهم لا يتقاضون فائدة على ذلك، لأن المقصد الأول منه ليس الربح فقط، وإنما نفع المسلمين بالإنفاق على المشروعات النافعة الصغيرة أو التي أكبر منها إذا أذنت بها الحكومة، وهي تأذن غالباً إذا كان ذلك مماثلاً لعمل الجمعيات التعاونية.

ومن الغريب أنهم أخبرونا أنه فرع من المصرف التجاري الصناعي الحكومي، وأنه مخصص للاستثمارات مع المسلمين.

وبهذه المناسبة أخبرونا أن المسلمين رغم كثرتهم النسبية في هذه المقاطعة ليست لهم علاقات تجارية بالخارج، لا مع البلدان الإسلامية ولا مع غيرها، مع أنهم يتوقون إلى ذلك وأن حكومة المقاطعة والحكومة المركزية تشجعان على ذلك من أجل النفع الذي يعود على المواطنين والبلاد من تلك العلاقات التجارية والاقتصادية.

وقد طلبوا منهم أن نسعى لهم لدى أرباب رؤوس الأموال المسلمين لكي ينشأوا علاقات اقتصادية نافعة مع الإخوة المسلمين في هذه البلاد، فأخبرناهم أننا سنفعل ذلك، ولكن العلاقات التجارية لا بد أن تكون بين جهات كلها تريد الاستفادة، لذلك يمكنهم أن يرسلوا وفداً إلى بلدان الخليج العربي، ونحن سوف نصلهم بالغرف التجارية والمؤسسات الكبرى التي قد تؤسس معهم علاقات تجارية مهمة. ويمكن لهم أن يرسلوا معنا رسائل تتضمن المجالات التي يريدون التعاون فيها مع إخوانهم المسلمين في بلادنا وبلاد الخليج حتى يمكن النظر فيها، وإجراء الاتصال بهم على

ضوء ذلك.

وقد نوهوا بأن مدير هذا المصرف هو أخ مسلم اسمه الإسلامي (إسماعيل) ولم أحفظ اسمه الصيني، وذكروا أن من أعمال هذا المصرف ادخار ما يتوفر لديه من أموال لمصلحة المسلمين مما ينتج عن استثمار أمواله، وكذلك لتوفير العملة الصعبة للحجاج من أهل البلاد.

ومررنا بمدرسة حكومية للبنات، نوهوا بأنها مدرسة (خوي) أي أنها مخصصة للطائفة الإسلامية التي يقولون لها قومية (خْوِي) وهي أكبر طائفة إسلامية في الصين كلها، وتسميها الحكومة هنا (قومية خْوِي) مما يشعر بأنها كلها من أصل واحد يسمى (خْوِي) أو أنها من قومية واحدة قديمة تسمى بهذا الاسم، وإن كان الأمر بخلاف ذلك مما بسطت القول فيه في كتاب «داخل أسوار الصين» المطبوع في مجلدين.

وهم ينوهون بأن أصل طائفة (خوي) هذه هو من أنسال المسلمين الذين جاؤوا إلى الصين تجاراً ومحاربين أو موظفين لدى حكوماتها في القديم، فتزوجوا بصينيات كن كافرات ولكنهن أسلمن، فنشأت من ذلك هذه الطائفة التي يسمونها قومية (خوي).

وقد سألت طائفة منهم من الرسميين ومن يقلدونهم، عما إذا كانوا يعتقدون أن بين الطائفة من هم من ذرية جماعة من الصينيين الأصلاء دخلت في الإسلام فنفوا ذلك اعتماداً على ما يعرفونه الآن من قلة عدد الصينيين الذين يدخلون في الإسلام في الوقت الحاضر.

### مركز الخدمات للمسلمين:

عدنا إلى وسط المدينة لاستئناف البرنامج المقرر. وكانت الفقرة

التالية فيه زيارة (مركز الخدمات للمسلمين) فوجدناه في حانوت صغير بداخله غرفة جلسنا فيها، ذكروا أن مهمته أن يبيع الكتب الدينية باللغة الصينية والعربية.

وذكر مديره والعاملون فيه على صغره أن هدفه الأساسي هو تقديم الخدمات الثقافية للمسلمين في المقاطعة كلها، وهذا الهدف وإن كان بعيد التحقيق في الوقت الحاضر بالنسبة إلى إمكاناتهم المتاحة، فإنهم يأملون أن يصلوا إليه في المستقبل، وذلك مثل تشجيع التعليم الإسلامي، والمنح الدراسية للمسلمين. ويقع على شارع (شي دا).

هذا وقد تجمهر علينا طائفة من الفضوليين ومن المتتبعين الذين استرعت انتباههم ملابسنا العربية، إلى جانب الموكب الذي تتقدمه سيارة للشرطة.

وكثيرون من الذين تبعونا والتفوا حولنا هم من الإخوة المسلمين وحتى الذين لم يحضروا إلينا وإنما رأيناهم في الشوارع عرفنا أنهم من المسلمين بسبب وضع القلانس (الطواقي) على رؤوسهم، حتى الأخوات المسلمات رأينا على رؤوسهن الغطاء المميز للمسلمات في شمال الصين الغربي، وهو غطاء خاص للرأس ربما يأتي الكلام عليه فيما بعد.

ولا يسع من يراهم بهذه الكثرة إلا أن يجزم بأن نسبة المسلمين في هذه العاصمة الإقليمية (تشي ننغ) هي أكثر مما ذكره لنا الموظفون الرسميون من مسلمين وغير مسلمين، وإن كان كل احتكاكنا الآن هو مع المسلمين الذين هم في الوقت نفسه رسميون من العاملين في الدولة.

## الاجتماع بأئمة المساجد:

عدنا إلى المسجد الجامع في (تشي ننغ) وهو المسمى جامع (دونغ قوان) من أجل عقد جلسة مقررة في البرنامج مع أئمة المساجد في المقاطعة وعدد الأئمة في المقاطعة كثير، وحتى في العاصمة (تشي ننغ)عددهم أكثر من عدد المساجد بكثير، لأنهم يعينون في الغالب إماماً للمسجد، له نائبان فأكثر، ولكن حضور الأئمة في هذا الاجتماع هو حضور منتقى ضم من يرون أنه من المفيد للزيارة أن يحضروا هذا الاجتماع.

وكثير من الأئمة الذين حضروا هم من الشيوخ المسنين، وفيهم شبان وكلهم لبس الملابس المميزة لرجال العلم والدين من جبة وعمامة.

وفد الرابطة مع الأئمة عند البوابة الخارجية في مسجد دونغقوان بمدينة تشي ننغ

كان الاجتماع في قاعة واسعة ملحقة بالمسجد، رأيناهم وضعوا فيها الموائد عليها الفاكهة والمكسرات قبل وصولنا، ومن ذلك مشمش كبير ضخم يكاد يصل إلى حجم البرتقال، وما رأيت مثيلاً لهذا المشمش في أي

مكان من العالم يوجد فيه مشمش، وهناك خوخ طازج قطف لتوه من شجره، أحضر إلى هنا من سحره، وهنالك المكسرات كالزبيب وبزر البطيخ، ومع الجميع أقداح الشاي قد صنت فوقها أغطيتها الثقيلة، وقد وضعوا فيها ورق الشاي، فأتى شخص معه (زمزمية) وهو الوعاء الذي يحتفظ بحرارة الماء فسكبوا منها على الأقداح، وتركوها هنيهة ثم صاروا يشربونه، ويميل أحدهم غطاء القدح وهو الفنجان الصيني السميك الشهير ويرتشف منه حتى يمنع خروج ورق الشاي مع ارتشافه من القدح.

## المسلمون في تشنغ هاي:

بدأ الشيخ الحاج عبد الله (هان شينغ قوي) رئيس الجمعية الإسلامية الصينية في مقاطعة (تشنغ هاي) الكلام مرحباً بوفد الرابطة وبرئيسه بصفة خاصة، ثم تكلم عن المسلمين في هذه المقاطعة، وأدلى بمعلومات مهمة عامة فيها:

### اسم المقاطعة:

قال مما قاله: إن اسم المقاطعة مأخوذ من اسم بحيرة شهيرة موجودة فيها، كانت وما تزال تسمى (تشنغ هاي) ومعناه البحيرة الزرقاء، فتشنغ: بحيرة، وهاي: أزرق أو زرقاء، وقد اكتسبت هذه المقاطعة الاسم من البحيرة، دون أن يذهب اسم البحيرة عنها.

قال: ويقطن في المقاطعة أناس من ٣٦ قومية يؤلفون ٤٠ ٪ من سكانها، والبقية من قومية الخان الكبيرة التي يتألف منها أغلب سكان الصين.

**المسلمون في المقاطعة:**

قال: وفي المقاطعة (٧٠٠) ألف مسلم منهم، ٦٠٠ ألف مسلم ينتمون إلى قومية (خُوِي) ، و(٧٠) ألفاً من قومية (سالا)، والبقية من قومية (تشيانغ) و (باوآن).

وفيها ١٦جمعية إسلامية فرعية أي فروع للجمعية الإسلامية التي مقرها في العاصمة (شي ننغ)، وهذه الجمعيات الفرعية منتشرة في محافظات المقاطعة.

ويبلغ عدد المساجد في المقاطعة (١١٠٠) مسجد يعمل فيها أكثر من ألف إمام، وأربعة آلاف طالب علم. ومع ذلك لا تكفي المسلمين في الوقت الحاضر.

والمسجد هذا الذي نحن فيه هو أكبر المساجد في مقاطعة (تشنغ هاي) ومع ذلك لا يكفي لجميع المسلمين الذين يقصدونه لصلاة الجمعة ولصلاة العيدين، لأن المسلمين يزيدون.

فمثلاً يبلغ عدد المصلين يوم الجمعة في المسجد عشرة آلاف مصلٍ، كما يصل عددهم في العيدين إلى أربعين ألفاً. لذلك نريد توسعة المسجد من أرض موجودة بجانبه.

ثم قال: وفي هذا المسجد ٥٠ طالباً من طلبة العلم، والمعهد الإسلامي في بدايته.

ويرجع تاريخ هذا المسجد إلى أسرة (مينغ) وقد ابتدأ البناء فيه عام ١٣٨٠م على معمار صيني أصيل أعمدته من الخشب القوي، وقد صادرته عصابة الثورة الثقافية، وجعلوه قصراً للثقافة التي هي ثقافتهم المنحرفة،

وذلك في عام ١٩٦٩م. وقد استعاده المسلمون في عام ١٩٧٩م أي بعد مصادرته بعشر سنوات، ظل فيها معطلاً عن العبادة، بل إن أنصار عصابة الأربعة من شبان الثورة الثقافية وكبارها جعلوها مقراً للدعاية لأفكارهم المنحرفة، وغيروا طبيعته.

قال: وعندما تسلمناه في ذلك التاريخ كان قد أصابه التدمير، فتبرعت حكومة المقاطعة بثلاثمائة ألف (يان) لترميمه وإعادته إلى حالته الأولى.

**دخول الإسلام إلى المقاطعة:**

قال: يرجع دخول الإسلام إلى هذه المقاطعة أول مرة في عهد أسرة (تانغ) الملكية منذ ١٣٠٠سنة، وقد دخلها من طريق الجنوب على أيدي التجارة والدعاة من المسلمين الذين وصلوا الصين عن طريق ميناء مدينة (كانتون)، ومن طريق الحرير البري الذي يربط بين الصين، وبين بلاد المسلمين، وكان المسلمون في أول الأمر من العرب والفرس، وقد ألفوا الطائفة الإسلامية قبل وجود قومية (خُوِي) كان في عهد أسرة (مينغ).

وقال: المسلمون في هذه المقاطعة عاطفتهم مع إخوانهم المسلمين العرب، ومما يسرنا أن نخبركم أن عدد الحجاج الذين يحجون إلى مكة المكرمة من هذه المقاطعة يبلغ أكثر من مائتي حاج في السنة.

والمسلمون يزيدون زيادتهم من كونهم - في العادة - أكثر أولاداً من غير المسلمين، ولوجود مسلمين جدد يدخلون في الإسلام، وإن كان هذا بصفة قليلة، نظراً لقوة الديانة البوذية وتأصلها في هذه المقاطعة. هذا وكان الحاج (عبد الله هان شنغ قوي) يتحدث والقوم يشربون الشاي ويأكلون من بزر البطيخ ونحن معهم.

وقد علقت على كلمتته بكلمة قصيرة شكرته فيها على هذه المعلومات القيمة عن أحوال هذه المقاطعة بعامة وعن أحوال المسلمين فيها خاصة. وقلت: إن توسعة المسجد مشروع مهم لكثرة رواد المسجد في الجمعة، وقلت: إننا نرجو أن تتقدموا بوساطة الجمعية الإسلامية في بكين بكامل المشروع إذا عزمتم عليه وأزمعتم إلبدء به من أجل أن تنظر الرابطة في الإسهام في نفقاته.

وأخبرتهم أننا لاحظنا قلة المصاحف في المسجد، وإننا على استعداد لإرسال العدد المطلوب منها لكم عن طريق السفارة السعودية.

ثم تباحثنا في كيفية الاتصال بين رابطة العالم الإسلامي وبين الجمعية الإسلامية في هذه المقاطعة، فأكدوا أن ذلك ينبغي أن يكون عن طريق الجمعية الإسلامية الرئيسية التي يرأسها مرافقنا الحاضر الآن معنا الحاج إلياس شن شيا شي.

وكنت أتأمل وجوه الحاضرين من الأئمة وأقارنها بوجوه الصينيين الأصلاء من سكان هذه المقاطعة وغيرهم فأجد أن هناك اختلافاً بين الجنسين، فالمسلمون أكثر بياضاً وإشراقاً في اللون، ووجوههم أكثر استطالة مما يجعلهم أقرب إلى الفرس والعرب من أولئك، مما يؤكد ما قيل عن أن أصولهم منحدرة من الفرس والعرب والترك الذين جاؤوا إلى الصين، ولكن هذا هو على الغالب، وإلا فإنه لا بد أن تكون فيهم دماء صينية خالصة عن طريق الاختلاط بمن أسلم من الصين الأصلاء.

ثم إنني أفكر في هذه الأرقام التي ذكرها الحاج عبد الله رئيس الجمعية الإسلامية وهي جمعية شبه رسمية، إذ تساعدها الحكومة، إن لم نقل عنها هي التي تدفع لها مرتبات الموظفين ومصارف تشغيلها، فأجد

أن فيها غمطاً من قدر المسلمين في العدد، نتيجة لما كنا سمعناه من قبل، وما سمعناه من غير الرسميين في هذه البلاد، وما استنتجناه مما لاحظناه أن عدد المسلمين في المقاطعة هو أكثر مما ذكر بكثير.

أما ما ذكره عن كثرة المصلين في هذا المسجد الجامع وأنهم قد يصلون إلى عشرة آلاف مصلٍ يوم الجمعة، فإن ذلك صحيح حسبما عرفناه، والسبب في ذلك ظاهر، وهو لكون المسلمين كثراً في هذه المدينة، ولهم فيها (١٦) مسجداً، ومع ذلك لا يسمح بإقامة صلاة الجمعة فيها إلا في هذا الجامع وحده.

وختام هذه المحادثات التي لم يتكلم فيها كلاماً متصلاً مفيداً إلا الحاج عبد الله رئيس الجمعية الإسلامية، فلم يتكلم الباقون مع أن فيهم شيوخاً كباراً وأئمة أجلة.

وبعد ذلك انتقلنا إلى داخل المصلى في المسجد حيث صلينا العصر قصراً لأننا لم نصلها مع الجمعة.

وقد أعجبت ببناء هذا الجامع العظيم الذي تدل الأعمدة فيه التي هي من الخشب الصلب الضخم على أنه مبنى على مثال ما بنيت عليه القصور الملكية التي هي تبنى بأغلى المواد، وحتى النقوش الملونة بألوان صارخة، والأثاث فيه هو على الطريقة الصينية التقليدية العريقة.

وقد كتبوا على محراب المسجد الآية الكريمة: ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ بخط عربي على الطريقة الصينية الفنية، كما كتبوا في المسجد لوحات إسلامية عديدة.

واسترعى انتباهي أن السجاد الذي فرش به المسجد هو من النوع

الصيني السميك، وربما كان ذلك بسبب وفرة الأصواف من المواشي الكثيرة التي اشتهرت بها هذه المقاطعة، وصارت من أجلها تصدر الماشية، واللحوم والأصواف وما يصنع منها إلى غيرها من مقاطعات الصين.

وقد استهواني المنظر في هذا الجامع العريق، وما اتبع في تزيينه وأثاثه من محافظة على الطراز الصيني العريق، مع كونه لم يخلُ من نقوش عربية الطراز أيضاً، وذلك في أفاريز دائرة مع حيطانه حيث دارت.

والمسجد ذو مرافق عديدة واسعة على مثال المساجد العريقة في الصين و(بلاد التركستان)، حيث يكون المسجد الجامع أشبه بمركز إسلامي واسع منه بمسجد منفرد خاص لأداء الصلاة ليس غير.

**مأدبة الجمعية الإسلامية:**

**عاملة مسلمة في مطعم فندق تشنغ هاي**

خرجنا من المسجد في الثامنة والربع والشمس حية، وقد قل المشاة في الشوارع خلاف ما كان عليه الحال عندما رأيناها في الظهر، واسترحنا في الفندق الذي نسكن فيه وهو (فندق تشنغ هاي) حتى التاسعة حيث انتقلنا

إلى غرفة خاصة ملحقة بمطعم الفندق في الطابق الأرضي، فوجدنا الموائد الصينية الأصيلة المعتادة جاهزة، عليها مقدمات الطعام التي تكون في الغلب باردة أو يكون بعضها بارداً، وقد وضعوها على القرص المستدير في وسط المائدة بحيث يستطيع كل من يجلس على المائدة من الآكلين أن يدير هذا القرص بإصبعه ليكون الطبق الذي يريد الأخذ منه أمامه من دون أن يحركه إليه أو يقربه منه.

وعلى ذكر اليد، أقول: إنهم كلهم يتناولون الطعام بالأعواد الملس، المعروفة التي لا يكاد الإصبعان يمسكان بها لملاستها، ثم يطلب من الآكل بها أن يمسك بها الطعام، وأحياناً يحتاج إلى تقطيعه بها وهذا أمر صعب، ولكنهم تعودوا عليه، أما بالنسبة لنا فإنهم يأتون بشوك وسكاكين، وأما الملاعق فإنها ملاعقهم الصينية الخاصة التي تكون من الخزف وتكون قصيرة ملساء.

وتتناوت المقبلات أو المقدمات للمائدة مثلما تتناوت الأطعمة التي تقدم عليها، وإن كانت كلها داخلة تحت دائرة الطعام الصيني العام الذي يتسم بالغرابة والتعقيد، حتى إن الصينيين أنفسهم لا يعرفون أطعمتهم إلا بتعريف، لذلك تقول خادمة المائدة إذا قدمت النوع من الطعام: إنه كذا وكذا، تعرفهم به.

وعلى هذه المائدة وجدنا من المقدمات سمكاً حلواً، ونوعاً آخر من السمك معتاداً ولكنه ذو مذاق غريب.

وشرائح دقيقة جداً من لحم البقر المخلوط بشيء دقيق يشبه الحبة السوداء التي هي (حبة البركة) ولكنه ليس هي، وبعض الإربيان، وهو الجمبري بقشره، وهو مطبوخ مع أشياء جعلت طعمه غريباً يجمع بين المرارة

والحموضة والملوحة مما يجعله مقبولاً بل لذيذاً في الفم، وقطعاً صغيرة من لحم البط، وبعض الخضرات التي لا يوجد لها مثيل في بلادنا.

**تذكارية مع أعضاء الجمعية الإسلامية في فندق تشنغ هاي**

**يميني الشيخ إلياس، فالأستاذ رحمة الله بن عناية الله عضو الوفد، ويساري الشيخ عبد الله خه، فالدكتور سعيد باديب، ثم رئيس الجمعية الإسلامية في تشنغ هاي**

**الطعام العجيب:**

كل ما ذكرته كان من مقدمات المائدة، وأحضروه بمقادير قليلة لأنه مجرد مقدمات للطعام، أما الأطعمة الرئيسية فإنهم يحضرونها بمقادير أكثر، ومع ذلك لا بد من ألا تكون كثيرة، لأن أصناف الطعام عديدة، ولا بد من الإفساح لكل نوع في المائدة.

فكان من ذلك صحن أسموه (بطن السمك) وهو يبدو كالعصب في شكله، إلا أنه أبيض لذيذ ليس بالشحم ولا بالهبر، وشيء كالمنتو الذي

نعرفه يصنعه البخاريون في بلادنا وهو كالعجين الأبيض المحشو بدقيق اللحم إلا أنه أقل دسماً من (المانتو) الذي نعرفه عندنا، وقد طبخوه بأنواع من التوابل الغريبة، ثم أحضروا نوعاً من السمك الرخو ذكروا أنه سمك نهري ومعه بعض الفطر.

## الحساء في وسط الطعام:

أحضروا نوعاً من الحساء وهو الشربة في وسط الطعام وليس كما نفعله نحن والغربيون من إحضار الشربة في أول المائدة، وهي من مرق اللحم قد أسقطوا فيه بيضاً مخلوطاً بنوع من الخضار البري يسمونه الشعري لأنه أسود دقيق يشبه شعر الإنسان، يذكرون أنه لا يزرع في المزارع، وإنما يوجد في الغابات، ثم الأرز المطحون المعجون على هيئة كرات صغيرة مطبوخة مع توابل لا نستطيع معرفتها، وإن كنا نستطيع وصفها بأنها لذيذة لطيفة.

ثم جاؤوا بنوع آخر من الحساء أي الشربة، ذكروا أنها من شربة السمك وفيها كرات من السمك المطحون، وأنواع من الخضرات القليلة الحارة الطعم.

## والحلوى أيضا ...

والحلوى يقدمونها أيضاً في وسط الطعام وليس في آخره كما نفعل نحن، وقد جاؤوا بها حلوى لا نعرفها، إلا أنهم ذكروا أن أصلها من الأرز المطحون المعالج بمواد حلوة.

جاؤوا بعدها باليغمش الذي نعرفه في بلادنا يشبه السمبوسك وما هو بالسمبوسك.

وكل نوع من الطعام تأتي به عاملة المائدة، وعلى مائدتنا عاملتان تنادي عليه باسمه ليعرفه الحاضرون فتقول لهم: إنه كذا وكذا، ولا يكفي أن يترجموا ما تقوله لنا من التعريف به، بل لا بد من شرح أمره، لأنها تقول مثلاً (شربة سمك) وهذا وحده لا يكفي بالتعريف بها، بل لا بد من شرح كيفية طبخها، وكيفية وضع السمك فيها، لأنه ليس مجرد سمك يوضع في ماء، إنما يخضع لعمليات عديدة، وتضاف إليه بهارات متنوعة، وأحياناً يكون طبخه مختلفاً ما بين الطبخ على النار مباشرة وما بين الطبخ بالبخار، والصلي بالنار، والصلي بالنار هو أن يقرب الشيء من النار فينضج من حرارتها من دون أن يمسه مباشرة شيء منها.

وغالباً ما تأتي عاملة المائدة بالطعام في صحن كبير، ثم تبدأ هي بالتوزيع منه على الآكلين بصحون صغيرة تكون أمامهم، تتناوب مع العاملة الأخرى في رفع ما يمسه الطعام منها ووضع صحن بديل منه.

مع العلم بأن من عادتهم أن يضعوا على المائدة أنواعاً منوعة من المشهيات من الحوازق والموالح والأشياء الحارة، كل ذلك في جرار من الزجاج صغيرة أو في صحون أصغر، ويستعملون لكل نوع من الطعام نوعاً من هذه المشهيات التي يستعملونها لما يستعمل الغربيون له الصلصة والخل ونحوهما.

ومن بين هذه المشهيات نوع حلو يعجب المرء لكونه يعتبر مشهياً وهو في الحقيقة صاد عن الطعام، إذ كيف يكون أثر اللحم الذي يوضع عليه شيء أسود حلو - مثلاً - ؟

ثم جاؤوا بلحم من لحم الغنم سمين ذكروا أنه ينبغي أن يوضع عليه شيء من هذه المشهيات التي يصح أن يسمى بعضها بالهواضم، لأنهم

يذكرون أنه يساعد على الهضم.

## شواء القضبان:

وهذه التسمية كنت استفدتها من إخواننا المغاربة، إذ يسمون الشواء الذي شوي بقضبان الحديد الصغيرة (قضبان) وهذه تسمية عربية فصيحة، وإن كان بعضنا أو بعض الذين يختلطون بالأتراك يسمونه (شيش كباب) بمعنى كباب القضيب.

وعادتهم في أكله أن ينتزعوا القطعة من القضيب، ويكون عادة صغير القطع بالأسنان يرفع الآكل القضيب بيده إلى فمه، ثم ينتزع القطعة منه بأسنانه ويأكلها، أما نحن الذين لدينا شوك فإننا نخرط القطع في الصحن، ثم نتناوله بالشوكة كما هو المعتاد.

## الحساء الرابع:

جاؤوا بحساء (شربة) رابع وفي أثناء الطعام أيضاً وهو - هذه المرة - حساء لحم الدجاج قد أضافوا إليه نوعاً من الأعشاب لا نعرفه، وأسقطوا فيه حبوباً حمراً تشبه حبوب الهيل لولا أنها حمراء اللون، وهي معروفة عندهم بأنها مفيدة للجسم، خافضة لضغط الدم المرتفع، وقد أشادوا بها كما كنت سمعت إخواننا المسلمين في مقاطعة (نن تشا) يشيدون بها، وأهدتنا حكومتها علبتين منها، لم أجد من يستطيب أكلها عندنا.

وبعد حساء الدجاج هذا أحضروا سمكاً كبيراً ذكروا أنه من بحيرة (تشنغ هاي) خاصة تلك البحيرة الزرقاء التي سميت المقاطعة كلها على اسمها.

ومن الطريف في الأمر أنهم أحضروا أشربة على المائدة، منها شراب بزر المشمش وذلك لكثرة المشمش عندهم، ذكروا أنهم يسحقون اللب الذي يكون في ثمار المشمش ويصنعون منه هذا الشراب.

ومنها ما هو معروف مثل الكوكا كولا والماء المعدني، وشراب الخوخ أيضاً.

وأتبعوا ذلك بخضرات مطبوخة لذيذة الطعم، ولا أدري ما الذي طبخ معها، ومعها فلفل ليس حاراً مع أنه صغير أحمر اللون، ومعها ذرة خضراء لذيذة أيضاً، وأتبعوا ذلك بفطر قد طبخوا معه فلفلاً حاراً وبصلاً أخضر.

أما الآسكريم والبطيخ فقد جاؤوا بها قبل نهاية المأدبة، وأما النهاية التي لم أجد بعدها مساغاً لأي طعام، فإنها الفطر مع بصل مشوي ومسلوق.

وهكذا انتهت هذه المأدبة الصينية العجيبة التي جمعت ما بين غرابة الأنواع، ولذتها، ولو لم يكن فيها إلا الغرابة لكانت كافية للحرص على الاستجابة لها.

وقد عرفت بعد ذلك وقبل ذلك موائد الصينيين وطعامهم المتنوع منذ أول مرة وصلت فيها إلى الصين في عام ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م وقلت من بين ما قلته: إن المآدب التي تقام في الصين هي التي تستحق أن تسمى دعوة تستحق أن يستجاب لها، لأن المرء يجد فيها من أنواع الطعام ذات المذاق الجيد، ما لا يجده في بيته، أما مآدبنا المعتادة التي نخسر كثيراً بما ننفقه عليها فإنها يصدق عليها المثل العامي القائل: (عندنا عيش، وعندكم عيش، تعزمونا على إيش ؟...) فهي تكون كثيرة الطعام، ولكنها تشبه إن لم تماثل ما يصنعه المرء في بيته من طعام.

وفي نهاية هذه المأدبة التي أقامتها الجمعية الإسلامية لمقاطعة (شنغ هاي) طلب أعضاء الجمعية التقاط صورة لهم مع أعضاء وفد الرابطة فكانت هذه الصورة.

ومنذ نهاية اللقاء وقبل الانصراف طلبت امرأة مسؤولة في الفندق كلمة من رئيس الوفد مكتوبة بالعربية لتكون تذكاراً لزيارة الفندق.

وقد تضمنت الكلمة شكر الجمعية الإسلامية على دعوتها، وشكر القائمين على مطعم الفندق على حسن الإعداد والتقديم للطعام، وشكر المسؤولين في الفندق على وجه العموم على ما وفروه للوفد من وسائل الراحة في الفندق.

والحقيقة أن خدمتهم للوفد، وعنايتهم به تستحق الشكر والتقدير منا، فقد كانت العاملات في الطابق الذي نقيم فيه يسارعن بإحضار المصعد وفتحه لنا، وإذا قدمنا من خارج الفندق أسرعن بتقديم المناديل الحارة المعطرة، ويقفن مصطفات عند ما يرين علامة الاحترام والتوقير.

وقبل النوم تناولنا من الفاكهة التي كانت إدارة الفندق قد وضعتها في غرفنا بمثابة الهدية منها، وهي خوخ ومشمش ونوع آخر من الفاكهة مما نسميه في بلادنا (بخارَى) بفتح الراء، وكل ذلك مما أنتجته مقاطعتهم.

والشيء الذي لم نرتح له في هذه الزيارة هو عدم تهيئتهم زيارات لنا لمساجد المدينة الكثيرة التعداد التي لا شك في أن بعضها يحتاج لمساعدة من ترميم أو نحوه، كما أنه لا بد من وجود كتاتيب أو فصول دراسية فيها تحتاج إلى تشجيع، إضافة إلى ما لاحظناه من حرصهم الشديد على أن يكون عدد الأشخاص الذين يتصلون بنا محدوداً، وعدم السماح لأناس خارج أولئك بالاقتراب منا أو الحديث معنا. مما أعاد إلى أذهاننا صورة

الزيارة الأولى التي قمنا بها للاتحاد السوفييتي في زمن التزمت الشيوعي عام ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م، وذلك في أعقاب العهد البريبجنيفي المتزمت - نسبة إلى ليونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي - وإن كان الرئيس السابق ميخائيل جورباتشوف قد تولى قبل مدة قليلة، ولكنه لم يكن غير شيئاً من سياسة بريجنيف المتزمتة بعد، ولم يكن أعلن سياسة البروستريكا بمعنى إعادة البناء، ولا الجلو سنوست بمعنى المصارحة والمكاشفة.

فكان المسؤولون في الاتحاد السوفيتي في تلك الزيارة يبالغون في إكرامنا، ويظهرون الاستجابة لما نطلبه منهم بلطف إذا لم يتعارض مع السياسة المرسومة، أما إذا رأوا أنه يتعارض مع ذلك فإنهم يمتنعون عنه بلطف أيضاً، وقد يكون ذلك بإبراز عذر أو أعذار لا تقنعنا، ولكنها تجعلنا نقتنع بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.

## يوم السبت ١٤١٣/١/١١ هـ ١٩٩٢/٧/١١ م.

### إفطار صيني:

والإفطار الصيني في المآدب والدعوات الرسمية يشبه الغداء أو العشاء في مآدب الأقوام الآخرين، بل إنه يتفوق عليها بكثرته وتعدد أطعمته.

وهذا الإفطار تناولناه اليوم مبكرين في القاعة الخاصة في مطعم (فندق تشنغ هاي) الذي نسكن فيه.

بدأنا طعام الإفطار في السادسة والنصف بالمقدمات التي وجدناهم وضعوها على المائدة الصينية المعتادة. ومنها الحلوى ولحم من لحم البقر في قطع صغيرة قد أكثروا عليها من البهارات، وسمك صغير وكرنب محشو.

وجاؤوا بالحساء وهو الشربة نوعين أحدهما (شربة) الأرز ذكروا انها الطعام الصيني التقليدي الذي يحرص عليه أهل المقاطعة في طعام الصباح، وبيض مقلو، وحليب بالملح وليس بالسكر، حتى الشاي المخلوط بالحليب وضعوا فيه الملح بديلاً من السكر، وعلق أحد الصينيين الحاضرين على ذلك من غير أهل المقاطعة بأن ذلك ربما كان مرجعه إلى أن مقاطعة (تشنغ هاي) هذه هي تصدر الملح إلى مقاطعات الصين الأخرى.

وقد استغربنا ذلك مع كونها مقاطعة مغلقة ليس لها منفذ على البحر، بل ليس بقربها بحر من البحار، ولكننا عرفنا أن فيها أكبر بحيرة من الماء الملح في الصين، وأن فيها ملاّحات عديدة تنتج الملح الجيد.

وقد أحضروا أيضاً القهوة على غير عادتهم، إذْ نادراً ما يقدمون القهوة ويشربونها، وإنما يكثرون من شرب الشاي، وقهوتهم خفيفة جداً ويضعون عليها قليلاً من السكر بخلاف الشاي عندهم، فإنهم لا يضعون

فيه أي سكر أو أية مادة حلوة، بل لا يضيفون إليه في العادة أي شيء آخر حتى الحليب ليس من عادتهم أن يضعوه على الشاي.

وأما الخبز فإنه نوعان هما خبز إفرنجي من المسمى (التويست) وخبز صيني أبيض كروي الشكل.

هذا وقد حضر طعام الإفطار معنا رئيس الجمعية الإسلامية في المقاطعة الحاج (عبد الله هان شنغ قوي) وعدد من العاملين في الجمعية الإسلامية ومن الرسميين المسلمين.

## إلى محافظة سن هوا:

وقد يصح أن تكتب (سنغ هوا) غير أنني تتبعت نطقهم بها فإذا بهم ينطقون بها مما هو أقرب إلى ما كتبته.

والمحافظة عندهم هي الوحدة الإدارية الصغيرة ضمن المقاطعة التي هي الوحدة الإدارية الكبيرة كالولاية في الولايات المتحدة الأمريكية، أو كالولاية من ولايات الهند مثلاً.

وليس الهدف من زيارتنا لهذه المحافظة هو مجرد رؤية محافظة من محافظات هذه المقاطعة، فمحافظاتها كثيرة، ورؤيتها كلها لمجرد الرؤية ليس من هدفنا، وإنما ذلك لكون أهل هذه المحافظة هم من إخواننا المسلمين من فئة يسمونها قومية (سالا) هكذا ينطق باسمها الصينيون (سالا) بسين فألف بعدها لام فألف ليس غير، أما هم أنفسهم أي أهل هذه المحافظة الذين ينتمون إلى تلك الفئة التي يطلقون عليها رسمياً اسم قومية فإنهم يلفظون بأنفسهم (سلار) بقصر السين وزيادة راء في آخر الاسم.

ويقولون: إن الصينيين يحذفون الراء من آخر الاسم تحريفاً، هكذا

قالوه، ولم يوضحوا السبب فيه، وظننت أن ذلك لثقل النطق بالراء على ألسنة الصينيين، ولذلك يقلبونها في أكثر الأحيان وبخاصة أسماء الأعلام الأجنبية إلى (لام) كما يقولون في اسم العرب (الابو) أي عربوا، أصلها: عرب.

لذلك لا يكاد المرء يفهم من فحوى المتكلم منهم أنه يتكلم عن العرب إذا كان يفعل ذلك حقيقة، إذ من أين له أن يفهم أن (الأبو) هي العرب.

والأدهى من ذلك أو قل: إنه الأبعد من ذلك هو نطقهم بالاسم الرسمي للمملكة العربية السعودية بلفظ: (ساتي الأبو) فساتي: تحريف لسعودي أو السعودية، و(الابو) عرب أو عربي.

ومع ذلك فإن العارفين بأصل تسمية هذه القبيلة أو الطائفة من المسلمين يقولون: إن التسمية حتى على لسان أهل الطائفة أصابها التحريف على مر القرون إذ كانت في الأصل (سري أو يغور) فتحولت إلى هذا الاسم، وسوف يأتي ذكر كينية تكون هذه الطائفة ووصولها إلى تلك المنطقة من الصين فيما بعد بإذن الله.

تقع مدينة (سن هوا) وبعضهم يسميها (جي شي) عاصمة محافظة (سن هوا) هذه على مسافة مائتي كيلو إلا كيلوين اثنين من تشي ننغ.

وهذه مسافة ليست بعيدة بالنسبة إلى مقاييس المسافات في بلادنا ولحالة الطرق عندنا، ولكنها عندهم تعتبر بعيدة وشاقة، لأنهم نوهوا بأن السيارة تقطعها في أربع ساعات، لأن الطريق إليها ليس كله على ما يرام.

غادرنا مدينة (تشي ننغ) في السابعة والنصف صباحاً قاصدين (سن

هوا) فرأينا أعداداً من طلبة المدارس في شوارع المدينة، ولكنني لاحظت انهم ليسوا بأعداد كثيرة، فقيل لي: إن عدد الأطفال قلّ منذ أن تبنت الحكومة الصينية سياسة تحديد النسل قبل نحو عشر سنين، إضافة إلى أن بعض المدارس يختلف وقت الدراسة فيها عن المدارس الأخرى من أجل عدم اكتظاظ الشوارع بالمارة في آن واحد.

وقد رأينا طوائف الموظفين ذاهبين إلى أعمالهم على دراجاتهم المعتادة، كما هو عليه الحال في أكثر مدن الصين، وأكثر ما يسترعي الانتباه من ذلك الموظفات الذاهبات إلى أعمالهن، وقد بذلن جهودهن في التأنق في المظهر واللباس وهن على ظهور هذه الدراجات التي أكثر ما يتعب فيها أن راكبها إذا أراد أن يتمهل فإنه يضطر إلى أن يترجل عنها كما هو معروف.

وقد تكررت الملاحظة التي لاحظتها من قبل، وهو أن المسلمين هنا أكثر بياضاً، أو لنقل إن وجوههم أكثر إشراقاً من غير المسلمين فيها.

سار موكبنا تتقدمه سيارة الشرطة الرسمية فوقها الإشارة الحمراء المميزة، وتطلق بوقها الذي تطلقه السيارات العسكرية في العادة.

وتتبعها سيارتي التي ركب فيها معي رئيس الجمعية الإسلامية في (تشنغ هاي) الحاج عبد الله هان تشنغ قوي، وقد طلبت أن يركب معي من أجل أن يفيدني عندما أحتاج إلى الاستفسار عن أمر من أمورها، وركب أيضاً معي الأستاذ (مصطفى يانغ بوه) المترجم الذي لا غنى عنه، وقد قلت له بحق: إنك لساننا الناطق، وسمعنا اللاقط ...

والحاج عبد الله شنغ يتمتع بعقلية نيرة، وذكاء ممتاز، ولكنه يعتبر من رجال السلطة الذين لا يتكلمون إلا بما يعرفون أنه يتفق مع سياستها،

ونحن لا نريد منه ولا من غيره من أمثاله أن يتحدثوا إلينا بخلاف ذلك، لأننا لا نتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة أخرى، وإنما كان الأمرء مهماً لنا إذا ذكرنا شيئاً عن أحوال المسلمين نريد أن نعرف الحقيقة المجردة فيه دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى. ومع ذلك فإنه لا يسعنا إلا أن نشكر أخانا الحاج عبد الله (هان شنغ قوي) على حسن ترتيبه لزيارتنا و كريم صحبته طيلة إقامتنا في مقاطعة (تشنغ هاي) التي يسميها الصينيون (سقف الصين).

خرجنا من المدينة من جهة الشرق مع أن محافظة (سن هوا) التي نحن ذاهبون إليها تقع في الجنوب الشرقي، وذلك لكوننا سنسلك طريقاً إزفلتياً جيداً يذهب من (تشي ننغ) إلى (لان تشو) عاصمة مقاطعة (كان صو).

فكانت سيارة الشرطة التي أمامنا توقف السيارات التي يلحق بها موكبنا من أجل إفساح الطريق لنا، ولكن تبين أن بعض السائقين لا يسرع إلى امتثال هذا الأمر، مع أنه أمر صادر من جهة رسمية، وقد قارنت فعلهم هذا بمثيل له، رأينا أهل الاتحاد السوفيتي يفعلونه عندما زرته لأول مرة على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في عام ١٤٠٦هـ فكان السائقون الروس، أو لنقل: السوفييت ينصاعون بسرعة دون تردد إلى أوامر السيارة العسكرية التي كانت تتقدم موكبنا آنذاك.

وفي ضاحية المدينة التي مررنا بها رأينا الكناسات وهن النساء يكنسن الشوارع بمكانس من القش طويلة الأيدي بمعنى المقابض، وقد تلثمن اتقاء للغبار، ولم أر معهن كناسين من الرجال.

وقد التقطت صورة للضاحية والسيارة تسير لأن سيارة الشرطة التي كانت تتقدم الموكب كانت تمنع من وضوح الصورة إلى أمد بعيد لقربها

في بعض الأحيان من سيارتنا.

وعلى ذكر الغبار يجدر أن نذكر أنه قد نزل مطر كثير البارحة، فسألتهم عن موسم الأمطار فأخبروني أن ذلك يكون في شهري أغسطس وسبتمبر، وإن المطر لا ينزل في الشتاء وإنما تنزل عليهم الثلوج.

## المضيق الصغير:

ضاق الوادي الذي كنا نسير فيه فنوه المرافقون بأننا وصلنا إلى (تشاوتشا) وفسروا ذلك بأن معناه: (المضيق الصغير) فتشاو: صغير، وتشا: مضيق.

وهو مضيق بين الجبال التي هي من تلال الطين التي تخالطها الصخور، وتحف الجبال بالطريق من جهة اليمين، والنهر الذي هو ( نهر هوان شوي) الذي يمر بالعاصمة من جهة اليسار، وهو مضيق من ثلاثة مضائق مشهورة عندهم في هذه المنطقة لمن يمر بها كلها.

وقرب هذا المضيق قرية صغيرة للمسلمين من قومية (خُوِي) وهم الطائفة الرئيسية، أو لنقل إنها أكبر الطوائف المسلمة في الصين، وإن كانوا يسمونها قومية، مع أنها صينية من حيث الموطن واللغة والانتماء، فأفراد هذه الطائفة وجماعاتها منتشرون في كل أنحاء الصين، وليست لهم لغة غير اللغة الصينية العامة.

وتسمى القرية باسم (تشاو تشا) أيضاً وهي صغيرة، منازلها مبنية بالطين والآجر، وأطفالها ذوو وجوه مشرقة، أما تقاسيم وجوههم فإنها الصينية الشائعة المألوفة.

## مع الوادي الخصيب:

امتد الطريق في الوادي الخصيب الذي رأيته من الطائرة أخضر وسط هذه الجبال والتلال التي تبدو جرداء عارية من النبات.

منظر ريف محافظة سن هوا

ولقد تبادر إلى ذهني ما سمعته عن الفيضانات العارمة التي وقعت في جنوب الصين، وتأثرت منها في ولاية (خنان) خاصة بعض المساجد، وبين مظاهر الجفاف السائدة في هذه المنطقة، ما عدا هذا الوادي الخصيب الذي يجري فيه نهر (هوان شوي) غير المفعم بالمياه، وما زرعوه على ضفتيه من مساحات خضر.

وأكثر المركبات التي رأيناها تسير في هذا الجزء من الطريق هي الجرارات الزراعية التي يستعملها المزارعون للزراعة وللحمل والانتقال، وذلك أنه غير مسموح للأفراد في الصين بحيازة السيارات الخاصة حتى الآن كما سبق، بخلاف هذه الجرارات الزراعية فإنها يسمح للفلاحين باقتنائها.

وهناك أيضاً أعداد من سيارات النقل الخشنة ذات اللون الزيتوني والأزرق وهي من صنع الصين نفسها ومهمة للنقل في هذه البلاد، والحافلات العامة التي تملكها الحكومة وتسير بأعداد لا بأس بها من حيث الكثرة.

وقد كثرت رؤية البيوت المبنية من الطين التي شدت انتباهي وأعادتني إلى عهود في بلادنا مضت عليها عقود من السنين، عندما كنا لا نعرف بناء البيوت بغير الطين، بل لم نكن نتصور أن البيوت يمكن أن تبنى من غير الطين.

أما الآن فإن الجيل الجديد من أبنائنا لا يتصور تلك البيوت الطينية مجرد التصور، لأنه لم يعد يرى شيئاً منها قائماً، إلا في مناطق معينة وعلى هيئة توحي بأنها قد دثرت وبارت، أو أنها قد سقطت وانهارت.

ولا شك في أن تطلب الطين الذي تبنى منه البيوت لن يعجزهم، لأن الأرض بطبيعتها طينية لسببين، أولهما وهو الأهم أن التلال الطينية التي تكثر في هذه المنطقة ترسل إلى هذا الوادي مقادير كبيرة من الطين، والثاني ما يجلبه النهر من الطين على مدى السنين.

ومن المناظر التي رأيناها في الطريق منظر غنم كغنم منغوليا، وهي التي تكون ألوانها بيضاً بياضاً غير ناصع، ورؤوسها سود أو فيها سواد، فهي عكس غنمنا النجدية الأصيلة التي تكون أجسادها سوداً ورؤوسها تكون بيضاً.

وحمار يجر عربة معها صبي من أبناء الفلاحين، ورجل راكب على بغل.

والملاحظ أن القرويين والريفيين يبدون في نظافة ملابسهم، بل في طبيعة ثيابهم كأهل الحضر لا يكادون يختلفون عنهم، فلا ترى فيهم من عليه ملابس زرية، أو من يرتدي ثياباً متسخة، مثلما أن المرء لا يرى من عليه مظاهر البؤس والعوز كالذي يراه من ذلك في القرية والأرياف الهندية على سبيل المثال.

وقفة عند قرية مسلمة في الطريق بين تشي ننغ وسن هوا

## قرية بي آن:

ومعنى اسمها (الآمنة)، والقرية الآمنة هي مختلطة السكان ففيها مسلمون وكفار من الصينيين من قومية (خان) التي تتألف منها أغلبية الصينيين، ومن قومية التبت الذين يسكن منهم طائفة في هذه المقاطعة، لقربها من بلاد التبت.

وقد استرعى انتباهنا لباس النساء التبتيات السابغ الذي هو كالجبة السوداء الطويلة يشدها إلى الجسم حزام غير شديد الشد، وعلى الرأس غطاء خاص ساتر.

هذا وقد اتسع الوادي قليلاً واستمر سير الطريق على شفيره المزروع الذي تحف به التلال الطينية، وتتألف المزروعات فيه من حقول القمح الضيقة، لأن بعض هذه الحقول هي مملوكة لأفراد الناس، وليست حقولاً حكومية واسعة، كما أن هناك خضرات عديدة ولكنها أقل تنوعاً مما هو عندنا حسبما رأيناه، فمثلاً رأينا منها الكرنب والبطاطس، ولكننا لم نر الخضرات الشائعة في بلادنا كالباميا والملوخية، ولم نرها في موائدهم.

وقد رأيناهم حرصوا على زراعة كل الأرض الصالحة للزراعة في هذا الوادي حتى (المطينة) وهي الحفرة التي يأخذون منها الطين لبناء البيوت، وربما كانوا زرعوها لكون ماء المطر يتجمع فيها فيكسبها الري، وكذلك زرعوا مجرى السيل الذي يأتي من الأماكن المرتفعة بالخضرات.

ومن المناظر الجميلة تعاقب اللون الأخضر الذي هو اللون الطبيعي للمزروعات النضرة مع اللون الأصفر الذي هو لون زهور (عباد الشمس) الذي رأيناهم زرعوه في عدة أماكن ابتغاء الزينة وإداماً للطعام.

## قرية مسلمة:

مررنا بقرية للمسلمين من قومية (خُوِي) تسمى (شين جوان)، ومعناه: القرية الجديدة، لأن شين: جديد، وجوان: قرية.

من ألطف المناظر في هذه القرية منظر الأخوات المسلمات اللاتي يسترن رؤوسهن بالغطاء المعتاد للمسلمات في هذه البلاد، بل في بلاد الشمال الغربي من الصين كله الذي لا يكاد المرء يرى فيه امرأة مسلمة واحدة لم تغط رأسها بغطاء ساتر، ولكنهن هنا زدن على الغطاء المعتاد

بقبعة عريضة من القش لا أدري السبب في لبسها ، وإن كان من الواضح أنها تقي الشمس في الصيف والثلج في الشتاء.

## قرية التمثال الحجري:

وصل الطريق إلى قرية للمسلمين اسمها (بي شي) ومعناه: التمثال الحجري: لأن (بي): تعني التمثال، وشي: الحجر، وذلك باللغة الصينية بطبيعة الحال.

وقد طلبت إيقاف الموكب في هذه القرية من أجل المناظر حولها ، فهي في موقع جميل إذ يطل عليها جبل أحمر اللون، أخضر الجلد من عشب الربيع الذي بدأ بالظهور قبل قليل، وذلك لارتفاع المنطقة ، وبالتالي لوفرة الندى فيها ، وعدم حرارة الشمس، وقد رأيت غنماً من غنمهم البيض ترعى في سفح هذا الجبل فما شبهتها إلا بالودع الأبيض منثوراً على البساط الأخضر.

شارع قرية لين تان بين تشي ننغ وسن هوا

وكانت وقفة مفيدة إذ التف علينا من أهلها من صبيان ونساء ورجال

فالتقطنا صوراً لهم ولهذا الجبل الجميل ولجبل آخر مقابل له، ولكنه أبعد عن القرية منه.

## المنطقة الخضراء:

منذ أن غادرنا (تشيننغ) ونحن نسير في منطقة ذات جبال جرد عارية من النبات، وإن كان الوادي الذي يجري فيه نهر هوان شوي، وكذلك بعض الوديان التي تشرب من مياه السيل فيها خضرة، ثم بدأت الجبال منذ هنيهة تكتسي خضرة لم أرها في الجبال التي قبلها، والمراد بالجبال هنا، هذه الجبال التي ليست كلها جبالاً صخرية، وإنما بعضها تلال طينية من التلال الطينية الضخمة التي تبدو كالجبال في ارتفاعها ووقوفها، وتكاد تغطي منطقة الشمال الغربي من الصين كلها، فقد رأيتها في مقاطعة (كان صو) وذكرت ذلك في كتاب «داخل أسوار الصين» المطبوع، كما رأيتها في هذه المقاطعة.

ولا شك في أن من أسباب خضرة هذه الجبال والتلال المتصلة بها هو موقعها المرتفع الذي يجعلها عرضة لرياح ندية، إذ صار الطريق يرتفع شيئاً فشيئاً حتى القرى التي فيه مثل قرية (بي شي) هذه واقعة في مرتفع من الأرض وليست في مكان مستو.

وهذا صحيح، كما أن الصحيح أيضاً أنها واقعة في وادٍ ضيق أيضاً، ولكن التلال والجبال حوله خضر. تستفيد القرية من الأعشاب والرَّعْي الذي يكون فيها خلال فصل الربيع هذا الذي هو فصل القيظ عندنا.

غادرنا قرية (بي شي) أو «التمثال الحجري» مع طريق يصعد في الجبال متساهلاً أي متتبعاً لما سهل منها، فوصلنا إلى منطقة خضراء، قد

شملتها الخضرة كلها، حتى غدت كأنها الأرض الاستوائية المطيرة ذات جبال واقفة وتلال تطل على الوديان من علٍ.

## جبل الرمل الأزرق:

وصلنا منطقة جبلية يسمونها جبال (تشنغ شا) ومعناه كما ترجموه لنا (الرمل الأزرق) ولا شك في أن الترجمة غير دقيقة، لأنه لا رمل في هذه الجبال حسبما رأيناه، بل حسبما أرونا إياه، وإنما هي تربة زرقاء يصح أن تكون الترجمة (التربة الزرقاء) أو التراب الأزرق.

**وفد الرابطة فوق جبل الرمل الأزرق في الطريق إلى محافظة سون هوا لقومية سالار**

**(من اليمين: الدكتور سعيد باديب، فالمؤلف، فالأستاذ رحمة الله بن عناية الله)**

وهذا الجبل وما حوله من الجبال والتلال لا تبدو زرقاء، وإنما تبدو خضراء كثيفة الخضرة، وقد استغل القوم ذلك فزرعوا سفوحها، بل

جعلوها مدرجات تتدرج بتدرج ارتفاعها، وزرعوها بزراعة أكثرها قمح و(عباد الشمس)، وحتى ظهور التلال فيها زرعوها، لأنها تزرع بعلاً دون سقي، ولا يكلفهم زرعها إلا مساواة الأرض وما يتصل من عمل بالزرع، أما الري فإنه من المطر والندى، لكونها أرضاً عالية باردة.

## منطقة للمسلمين:

تحت جبال (تشنغ شا) من جهة الشرق قرية صغيرة للمسلمين بيوتها مبنية من الآجر والطين، وفيها بغال كثيرة مما يؤكد الطبيعة الجبلية الوعرة لها، لأن البغال هي أقدر حيوان الحمل لتحمل السير في الأراضي الجبلية والأراضي المرتفعة الوعرة، فهي أصبر من الخيل وأقوى من الحمير على ذلك.

أما الإبل فإنه لا محل لها هنا من الإعراب - بكسر الهمزة - ولا من الأعراب - بفتحها -، لأنه لا أعراب هنا، ولا جواً مناسباً لها، إذ لا تحتمل الإبل العيش في هذه الأماكن المرتفعة العالية.

ومن أجمل ما تقع عليه العين هنا منظران، أولهما تجاور اللون الأخضر هنا، المتمثل بالمزروعات وأعشاب الربيع النضرة مع اللون الأصفر لون زهور (عباد الشمس) ولون زهور برية، والثاني منظر قلانس الإخوة المسلمين البيض التي يضعونها على رؤوسهم علامة فارقة لهم في هذه البلاد، فقد اعتادوا على ذلك فكان منظرها من أجمل المناظر في عين المسلم الغريب عن هذه البلاد.

أما الجو فإنه يشبه أول الربيع عندنا أو آخر الشتاء إذا كان ذلك غب مطر في روضة من الرياض المعشبة.

أوقفت الموكب في مكان مرتفع تبين بعد ذلك أنه ليس قمة الارتفاع في المنطقة، ولكنني أشفقت من أن لا أجد مكاناً أصلح منه لتصوير المنطقة، فاستجليت هذه المنطقة التي ذكر المرافقون أنها من مناطق الإخوة المسلمين في هذه المقاطعة.

ويطل المكان الذي وقفنا فيه على منظر جميل كما ترى في هذه الصور.

ومع ذلك أكد القوم أن المكان الذي سنذهب إليه هو أكثر منه ارتفاعاً، وأحسن منه أناقة في المنظر.

يتألف موكبنا من خمس سيارات إلى جانب سيارة الشرطة التي تتقدمه، ولذلك كان وقوفه لافتاً للنظر، غير أنه لا يكاد يوجد سكان في هذا المكان المرتفع الواقع على شفير الوادي السحيق ما عدا بعض الرعاة، وبعض القرى البعيدة التي هي من قرى المسلمين كما قدمت.

ثم وصلنا المنطقة من الجبل التي سمي الجبل من أجلها بجبل الرمل الآزرق، وقد تجلى ذلك في التربة التي أخرجتها الآلات عند بناء الطريق في هذا الجبل المرتفع، فتبين أنها بالفعل تربة زرقاء غريبة المنظر، وهي تبدو على البعد كأنها الرمل، لأنها دقيقة دقة التراب، وليست قطعاً من الحجارة مع أنها في جبل عالٍ، ولكن هذه هي طبيعة الجبال، أو لنقل التلال أو الأماكن العالية في المناطق التي رأيناها من هذه المقاطعة، مثلما هي عليه الحال في جارتها مقاطعة (كان صو).

ولذلك استفاد السكان من طبيعتها التي هي ليست جبالاً من الحجر الأصم، وإنما هي مختلطة من الطين والحجارة، وأحياناً من حجارة رملية هشة، فزرعوها واستغلوها، وما لا يصل ماء الري لارتفاعه زرعوه بما ينمو

بعلاً بدون سقي إذا كان في منطقة عالية ندية.

## سقف الصين:

وصلنا قمة المنطقة المرتفعة العالية هذه، فوقفنا في ساحة ممهدة معدة لوقوف السيارات فيها ترفرف عليها علامة مميزة فيها لافتة باللغة الصينية تقول: هنا قمة الارتفاع في المنطقة، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٣٢٠٠ متر.

هذا ما كتبوه في اللوحة وهي كتابة موثقة يدل عليها واقع الحال، إذ كنا نرتفع منذ فترة عن الطريق مع أننا خارجون من منطقة مرتفعة في الأصل، وهي مدينة تشيننغ التي ترتفع ٢٣٠٠ متر عن سطح البحر.

ولهذا السبب أسمى الصينيون مقاطعة (تشنغ هاي) هذه (سقف الصين).

وطبيعي أن هذه المنطقة التي نحن فيها الآن وارتفاعها هو (٣٢٠٠) متر عن سطح البحر ليست هي أعلى المناطق في هذه المقاطعة، وإنما توجد فيها مناطق واسعة ترتفع أربعة آلآف متر عن سطح البحر، ومن ذلك تلك المنطقة التي ينبع منها النهران الكبيران في الصين، بل هما أكبر نهرين فيها، وهما النهر الأصفر، ونهر يانقسي، ويقع أبعدها عن مدينة (تشيننغ) بحوالي ستمائة كيلو متر مربع.

وقفنا في هذه المنطقة المرتفعة التي هي قمة الجبال التي يبدأ بعدها الطريق بالانحدار وسط جو ندي بليل قد جادهُ الغيث البارحة، وتهب عليه الآن نسمات باردة ولكنها حالمة، لأنها تهب رخاءً كأنها عتاب الحبيب، أومداعبة الطفل الجميل.

في قمة جبل الرمل الأزرق في طريق إلى محافظة شيون هوا مع رئيس الجمعية الإسلامية في تشنغ هاي

وقد صورنا من المنطقة ما راق لنا تصويره، وأخذ الرفاق يلتقطون الصور التذكارية فيها.

وقد تمنيت مما تمنيته فيها أن يحضر أحد (النشامى) حطباً يابساً ويوقد ناراً (يعمّد) دخاناً أي يرتفع في الجو كأنه العمود، وسوف يذهب بعيداً في هذا الجو الندي الخالي من الريح القوية، ثم (يسوون) القهوة العربية التي يكثرون فيها من الهيل، ويصبونها مع صحن تمر السكري اللين.

وتمنيت شيئاً آخر، وهو أن تكون هذه المنطقة بالذات من أرض الصين قريبة من بلادنا حتى يستطيع المرء منا أن يذهب إليها في (نزهة) قصيرة.

مع العلم بأن هذا الجو البديع في هذا المكان الرفيع هو قصير العمر كعمر الربيع، لا يلبث أن يعاوده الشتاء القارص الذي يأتي معه الثلج

الشامل الذي يجلل المنطقة بأردية بيض بعد أرديتها هذه الخضر، ويومذاك لا نغبط أهلها كما غبطناهم الآن، وربما نقول ما قلناه بأن صحراءنا العربية - على قشفها وغبارها - هي أرحم من كثير من البلدان التي تبدو في فصلها الربيعي زاهية ناضرة.

هذا وتبعد هذه القمة (٩٠) كيلومتراً عن مدينة (شي ننغ) قطعناها حتى الآن، وبقيت علينا للوصول إلى هدفنا وهو مدينة (سن هوا) ١٠٧ كيلومترات.

ومن المناظر التي رأيناها في هذه غير مناظر معتادة من السيارات القليلة التي ذكرتها منظر جرار زراعي يصعد إلى هذه المنطقة المرتفعة وعليه سبعة ركاب كلهم من المسلمين، لأنهم كلهم يلبسون (الطواقي) البيض. ولا يرى المرء غير المسلمين في هذه المناطق إلا على قلة، وأهم ما يميز الكفار عن المسلمين على البعد قبعاتهم العريضة المتخذة من القش، ولا يراهم المرء إلا قلة لا يزيد في منظر العين على ٥ ٪، وهذا هو ما رأيناه الآن، وإن كان الإخوة المرافقون قد أخبرونا أن هذه هي من مناطق المسلمين المعروفة، ولم يتطرقوا إلى نسبتهم فيها.

## قرية زابا:

بدأ الطريق في الانحدار المتدرج الطويل، فمررنا بقرية اسمها (زابا) لم يعرف المرافقون الصينيون معناه، لأنه اسم تيبتي، وذلك لوجود بعض أهل التيبت في هذه المنطقة، والمراد بذلك الذين هم من أصل تيبتي، وهم قدماء هنا.

ومع ذلك فإن نسبة كبيرة من سكان القرية هم من المسلمين، بل

هم أكثر السكان فيها، لذلك يقال فيها إنها قرية للمسلمين، وتحفل هذه القرية بمناظر لافتة للنظر، فعدا بيوت الطين لا يخطئ النظر فيها (طواقي) الإخوة المسلمين البيض على رؤوسهم، كأنها أعلام السلام البيض النقية.

وأغطية الرأس على نسائهم التي هي مثل (الغداف) النجدية، والغداف جمع غدفة وهي غطاء الرأس الأسود عند النجديات.

وهناك من الحيوان بغال سود، وسواد البغال مثل سواد الحمير ليس بحالك، وعدد كبير من الحمير، وللحمار مقام كبير عند الفلاحين في الصين، لأنه لا توجد سيارات من سيارات الحمل الصغيرة لديهم، والحمير تتغذى على الأعشاب والحشائش المتوفرة في بلادهم، سواء منها ما كان مزروعاً وما كان عشباً أو شجراً برياً نامياً على المطر.

وامرأة وحيدة ترعى شاة وحيدة في جانب القرية خارجاً عنها.

والجامع بين الوجوه على البعد هنا هو الحمرة الظاهرة فيها التي لا شك أن للجو المرتفع وعدم وجود السَّموم دخلاً في احمرارها.

وأناس ينخلون طيناً أو حجارة رملية دقوها لكي يستخرجوا منها رملاً يخلطونه بالاسمنت للبناء، فالرمل لا يوجد عندهم طبيعياً.

وقد ضاق الطريق بعد القرية وكثرت الأشجار المغروسة على جانبيه، وعمت الزراعة أنحاءه، ومع ذلك ذكروا أنها مزارع شخصية، مما وزعت الدولة أرضه على المزارعين، فزرعوها لأنفسهم، ولذلك هي صغيرة ولكنها مزروعة كلها.

## زلق الحمار...

فسدت عجلة سيارة الشرطة التي تتقدم الموكب، فوقفنا لوقوفها في مرتفع ضيق عليه أشجار الظل ويشرف على قرية مسلمة من قرى هذه المنطقة المسلمة في واد غير بالغ الاتساع، ورأيت أخاً مسلماً من الفلاحين جاء مصادفة وعليه ملابس العمل، فالتقطت له هذه الصورة كما صورت كل المنطقة، وذكرت في نفسي مثلاً قديماً كنت قرأته من أمثال العصر العباسي الأول: «زلق الحمار وكان من شهوة المكاري».

**عندما انفجر إطار السيارة في الطريق بين شي ننغ وسن هوا مع أحد المسلمين**

والمكاري: هو الحمَّار - بتشديد الميم - وهو الرجل الذي يؤجر حماره للناس وينقلهم عليه بالأجرة، وليس لنا مثل السوء، فقد سررت عندما وقف الموكب لأنه يمكنني من ذلك.

وقد غيروا العجلة الفاسدة التي تسرب منها الهواء بسرعة، لأنهم تعاونوا عليه، ولم يستغرق ذلك إلا عشرين دقيقة واصل الموكب بعدها

سيره في هذه المنطقة العجيبة.

وكنت ونحن في قمة هذه الجبال على ارتفاع (٣٢٠٠) متر عن سطح البحر أتلمس أي أثر لنقص الأوكسجين من الهواء من أجل أن أعرف أثر ذلك علي إذا وصلت إلى (التبت) التي من المقرر أن نسافر إليها بعد انتهاء زيارتنا لمقاطعة (تشنغ هاي) هذه، لأنها بلاد مرتفعة يقل الأوكسجين في هوائها، ولم ألمس أي أثر لذلك هنا إلا في حالة واحدة. وهي ما إذا أغلقنا كل زجاج السيارة، ونحن نحتاج إلى ذلك من أجل برودة الهواء إذا كانت السيارة ماشية، ولكننا كنا نشعر بالضيق من إغلاق الزجاج، فكنا نسارع إلى فتحه خلاف العادة.

وهذا بلا شك مظهر من مظاهر نقص الأوكسجين في الهواء هنا.

**وقرية مسلمة اخرى:**

**عندما انفجر إطار السيارة في الطريق بين تشي ننغ وسن هوا**

وصل الطريق إلى قرية أخرى من قرى المسلمين اسمها: (جيو دا لين) لاحظت كثرة المسلمين في شوارعها حتى الأطفال كانت أعدادهم كبيرة

خلاف المعتاد، والأطفال مثل الكبار على رؤوسهم القلانس - الطواقي - البيض.

ومن طريف المناظر التي غابت عن عيني عقوداً من السنين منظر صبي معه (نباطة) وهي التي تسميها العامة في مصر (نبّيلة) بتشديد الباء على لفظ تصغير (نبلة) لأنها يرمى بها كما يرمى بالنبال.

وهي محجن صغير، أي عود ذو شعبتين قد عقد فيهما حبلان من المطاط تجمع بينهما رقعة يضع فيها الصبي حصاة صغيرة ويطلقها على العصافير ونحوها من الطيور الصغيرة يصيدها بها.

لم نقف عند هذه القرية، وإنما حاذينا مكاناً في الجبال أشاروا إليه بأن هناك مناجم للذهب، لا يمكن لنا أن نراها مباشرة لأنها ليست على الطريق، وإنما رأينا على البعد قرية أخرى من قرى المسلمين أكثر الأشياء ظهوراً فيها غنم من غنمهم البيض وإن كان بياضها غير ناصع، وأخوات مسلمات قد لبسن القبعات فوق غطاء الرأس المعتاد، وبيوت طين متفرقة.

وتعددت القرى الطينية الصغيرة على الطريق، ووصلنا إلى مزارع كبيرة عليها أسوار طويلة من الطين، وكثرت العربات التي تجرها الدواب عليها الراكبون والأمتعة، فعرفت أننا نقترب من بلدة كبيرة.

ثم مررنا بمصنع للفخار تنفث مدخنته الدخان كثيفاً مرتفعاً في الجو لأنها هي مرتفعة، ثم صار الطريق يزداد نزولاً فشعرنا بدفء لم نشعر به عندما كنا في المنطقة المرتفعة.

## بلدة جاهو:

وصلنا بالفعل إلى بلدة كبيرة اسمها (جاهو) وهي من بلدان المسلمين

في هذه المنطقة، وأكثرهم من قومية (خُوِي) فلم نصل بعد إلى (سن هوا) التي ترجع أصول المسلمين فيها إلى قومية أخرى هي قومية (سلار).

وقد كثرت في هذه البلدة الجرارات الزراعية، والعربات التي تجرها الدواب، ومنها عربة يجرها بغل قد ركبت فيها امرأة مسلمة تسوق بها مسلمة أخرى أي تتبع العربة وهي ماشية.

## مدينة بايا لنغ:

وهي مدينة مهمة لأنها عاصمة محافظة (خوا لنغ) التي هي محافظة ذات حكم ذاتي للمسلمين من قومية خُوِي وكونها كذلك مما يدل بداهة على أنها منطقة إسلامية.

وقفة في مدينة بايا لنغ

وقفنا في سوق المدينة الذي رأيناه مكتظاً بالناس، بعضهم عليهم الطواقي، وبعضهم يضعون القبعات على رؤوسهم مع كونهم من المسلمين، فليس كل المسلمين يضعون (الطواقي) على رؤوسهم، ولكن كل من يفعل ذلك يعرف أنه من المسلمين، وبخاصة في الأماكن التي يكونون فيها

أقلية، أما في هذه المحافظة التي يؤلفون الأكثرية من سكانها فإن أكثرهم عليهم القبعات كما أخبرونا، وقد سألت بعضهم عن ذلك أي بعض لابسي القبعات فأخبروني أنهم مسلمون.

تجمهر علينا أهل السوق حتى أغلقوا الطريق الذي هو الطريق العام الذي كنا نسير فيه، جذبهم إلى ذلك منظر هذا الموكب من السيارات الصغيرة تتقدمه سيارة عسكرية، وملابسنا العربية التي كنا نرتديها، وفرحنا لمشاهدة المسلمين واستجلاء منظر البلدة.

وقد التفوا حولنا حتى صعب عليَّ تصوير السوق إلى مدى بعيد، إلا أنني علوت على إحدى الدرج وفعلت ذلك، كما صورت جميع المسلمين الذين التفوا حولنا.

وقد أسفت على عدم وضع التوقف في هذه المدينة وزيارة مساجدها ومساجد القرى القريبة منها إذْ كنا نرى في بعض المناطق مساجد لا نقف عندها، لأن الوقوف عندها ليس موضوعاً في برنامج الزيارة، كما أنني لا أريد من الزيارة أن تكون لمبنى المسجد، وإنما لأهل المسجد الذين نحب أن نخبرهم بأننا قدمنا إليهم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ونبلغهم تحيات إخوانهم المسلمين في بلاد الحرمين الشريفين.

ولكن البرنامج لم يكن مشتملاً إلا على زيارة الإخوة المسلمين في محافظة (سن هوا) ذات الحكم الذاتي لقومية (سلار) التي نحن ذاهبون إليها.

وتشترك مع المسلمين في سكن هذه المقاطعة أقلية من أهل التبت الذين هم يعتنقون البوذية، أو (الدالامية)، وهي مذهب متفرع من الديانة البوذية التبتية نشأت في القرن السابع عشر الميلادي.

## المضيق:

شفينا النفس من الوقوف في مدينة (بايا لنغ) المسلمة وواصلنا السير فانحدرنا إلى وادٍ ضيق فيه نبع ماء يماشي الطريق، وتحيط به جبال عالية من الطين والحجارة تغلق النظر أمام من ينظر إلى الأمام، وقد فسد الطريق فصار ترابياً مغبراً، وزاد ضيق الطريق حتى كادت الجبال الصخرية تغلقه، وخلا من أية خضرة إلا خضرة أعشاب برية.

ورأيت حصى ساقطاً في الطريق من الجبال الواقفة وهو خطر على السيارات التي تسلك الطريق، لأنها لا تستطيع تفاديه بسبب ضيق الوادي.

والسيارات هنا قليلة، ورأيت سيارة شحن قد ركب في ظهرها ركاب نظيفو الثياب لم نعتد على رؤية أمثالهم راكبين في مثلها.

والجبال متعددة الألوان، وقد صورت قمة حمراء قانية الاحمرار.

## بلدة لامو:

انحدرنا مع هذا المضيق بين الجبال الصخرية، وانحدر ماء النبع الشحيح معنا أيضاً حتى وصلنا إلى مكان صار يتسع شيئاً فشيئاً، وتكثر المزروعات على جانبي الوادي الضيق، وشاهدنا قطيعاً من ماعزهم البيض الألوان وإن لم تكن ألوانها ناصعة، ووصلنا إلى بلدة للمسلمين من قومية (خُوِي) يسمونها (لامو).

وشاهدنا فيها أخوات مسلمات بعضهن جالسات على الطريق وأخريات يسرن وقد غطين رؤوسهن بأغطية متعددة الألوان وإن كانت هيئاتها واحدة.

## غطاء الرأس والوضع الاجتماعي للمرأة:

رأينا الأخوات المسلمات هنا يختلف لون غطاء الرأس عندهن وأخبرونا بما أخبرنا به إخوتنا المسلمون في محافظة (لن تشا) ذات الحكم الذاتي للمسلمين وهي تابعة لمقاطعة (كان صو) حيث ذكروا أن لون غطاء الرأس إذا كان أبيض، فإن ذلك يدل على أن المرأة قد أصبحت ذات أحفاد، وإذا كان اللون أخضر فإنه يدل على أن المرأة غير ذات زوج الآن، حتى ولو كانت قد تزوجت من قبل وطلقت، أما إذا كان غطاء الرأس أسود فإنه يدل على أنها ذات زوج، أي في عصمة زوج في الوقت الحاضر.

ولذلك ليس على من يرى امرأة فيحتاج إلى معرفة ما إذا كانت متزوجة أو خلية إلاّ أن ينظر إلى الغطاء الذي يغطي رأسها فيعرف ذلك عنها من دون سؤال.

ومع أن بلدة (لامو) في مكان متسع من الوادي نسبياً وإن جانبي الوادي مزروعان فإن البلدة تطل عليها هضاب حمر من الطين عالية.

تجاوزنا البلدة من دون أن نقف فيها وانحدرنا مع الوادي الذي لا يزال يتسع تباريه القمم الطينية العالية التي هي من أعجب ما رأيت من المناظر الجغرافية في العالم.

وقد رفدت مياه النبع الذي كان يماشي الطريق بمياه نبع آخر قادم من المرتفعات وكثرت أشجار الفاكهة من الخوخ والمشمش في هذا الوادي.

ومن الغريب أننا شاهدنا القمح هنا قد إصفرت سنابله مع أننا كنا نراه في ضواحي مدينة (تشي ننغ) وما حولها أخضر لم تصبه الصفرة بعد، وذلك لكون هذه المنطقة أكثر دفأً من تشي ننغ وما حولها بالنظر إلى انخفاض موقعها، ولكون التلال المرتفعة تحيط بالوادي المتعرج، وتمنع

وصول الرياح الشمالية الباردة إليه.

**وقفة في الطريق قبل محافظة خالونغ من سن هوا**

بل إنني شاهدت في أسافل الوادي قمحاً حصيداً.

## وبلدة قادو:

رأينا النساء في سوقها الذي هو الطريق العام أكثر من الرجال، وأغلبهن معهن الفاكهة الطازجة من الخوخ والمشمش الذي قطف لتوه من شجره في قفاف صغيرة.

وخيل إلينا أن ألوان أهل هذه المنطقة هي أكثر صفاءً من ألوان من سبقهم.

وعلل المرافقون وجود هذه الفاكهة القليلة التي تبيعها النساء بكون كثير من المزارع هنا هي مزارع شخصية، أي غير حكومية. وإن كانت الأرض التي أعطتها الحكومة للمزارعين تظل من الناحية القانونية مملوكة للحكومة إلا أنها لا تنزعها من الذين يقومون على زراعتها ما

داموا يعمرونها.

فهي من هذه الناحية الشكلية لهم.

امرأة مسلمة في مدخل محافظة خالونغ معها طعام

واستمر الطريق عليه بيوت طينية بعضها ساقط ومتروك، وبعضها صالح للسكن، وذلك لكون بعضها بيوتاً للفلاحين الذين يسكنون فيها إذا زرعوا الأرض، ويهجرونها إذا لم تزرع الأرض القريبة منها.

ورأيت جماعة من النساء والبنيات الصغار حول صنبور ماء يأخذن منه لبيوتهن، مما يؤكد أن المنطقة هي منطقة ريفية ذات بيوت متفرقة لم تدخلها أنابيب المياه.

وتقع بعض البيوت على الطريق العام هذا مباشرة على ضيقه، وعدم وجود أكتاف في جانبيه مما يشكل خطراً على الأطفال الذين رأيناهم عند أبواب بيوتهم.

وقد كثرت (الطواقي) البيض على رؤوس الرجال من أهله.

## مستقبلون من سون هوا:

وصلنا إلى حدود محافظة (سن هوا) التي نقصدها، فوجدنا في الاستقبال طائفة من أهلها جاؤوا إلى حدود محافظتهم لاستقبالنا واصطحابنا لبلدتهم، وعلى رأسهم حاكم المحافظة الأخ سليمان خه إن شن يانغ، ونائبه أيوب خه أن شن ون، ورئيس فرع الجمعية الإسلامية في المحافظة الأخ محمد منصور خان.

وتقع حدود المحافظة (سن هوا) هذه غير بعيدة من:

استقبال وفد الرابطة في عاصمة محافظة سلار

## النهر الأصفر:

إذْ صحبنا الإخوة المستقبلون فوصلنا بسرعة إلى النهر الأصفر العظيم الذي ينبع من منطقة في مقاطعة (تشنغ هاي) هذه لا تبعد عن هذه النقطة، ومع ذلك رأيناه هنا ضخماً جم المياه، تحيط به التلال الطينية العالية التي تبدوا أركانها وكأنها أركان الجبال الصخرية الشامخة.

وقفنا عند الضفة الجنوبية لجسر على النهر الأصفر لالتقاط صور

تذكارية مع الإخوة هنا، وجعلت استجلى مياه هذا النهر العظيم الذي يروي ظمأ مساحات واسعة شاسعة من بلاد الصين المختلفة، وقد رأيته في عدد من الأماكن المهمة فيها، وبخاصة في موطن من مواطن المسلمين، منها مقاطعة (كان صو) ومقاطعة (نن تشا).

وقد ارتبط تاريخ النهر بتاريخ الصين القديمة والحديثة حتى كون ركناً هاماً من المأثورات الشعبية الصينية على مر العصور وهو مع النهر الثاني الذي ينبع أيضاً من هذه المقاطعة وهو نهر اليانقسي يؤلفان أعظم الأنهار في الصين كلها كما سبق.

والقوم الذين استقبلونا هم من قومية (سلار) التي ذكرتها، وتتميز ملامح وجوههم بشيء من العلامات عن غيرهم من سكان المنطقة المجاورة لهم، وبخاصة عن الصينيين الأصلاء من قومية (الخان) الكافرة التي تؤلف الجزء الأكبر من سكان الصين، وفيها تظهر الملامح الصينية المميزة للشعب الصيني عن غيره، أما ملابس (السلاريين) هؤلاء فإنها تشبه ملابس إخوانهم المسلمين من قومية (خُوِي) لا تكاد تفترق عنها بشيء جوهري.

## مدينة سون هوا:

تركنا النهر الأصفر وضفته الخضراء التي تطل عليها التلال الحمر قاصدين - في موكب طويل - مدينة (سون هوا) عاصمة محافظة (سن هوا) ذات الحكم الذاتي لقومية (سلار).

فوصلنا بسرعة إلى المدينة التي تقع في جو خصب، بل بالغ الخصوبة إذ فضلاً عن كونها واقعة على ضفة النهر الأصفر العظيم فإنها تشرب أيضاً من عيون وينابيع تأتيها من بعض الأماكن المرتفعة، ولذلك لا تشكو

شحاً في المياه أو مشكلة في الزراعة تتعلق بذلك.

واخترقنا سوقها الذي رأينا فيه لحماً كثيراً من لحم الغنم والبقر وفاكهة من أكثرها البطيخ الأخضر (الحبحب) وهو الجح، فقد رأيناه في أكوام مكومة ضخمة، وأخبرونا أنه بالغ الرخص في هذا الوقت من الصيف.

ورأينا أكواماً من التبن مكومة قد وضعوها في الطريق من أجل أن تسير عليها السيارات والمركبات حتى تتكسر وتصبح علفاً للماشية، مع أنهم أخبرونا أن الأعلاف هنا كثيرة، ولذلك كثرت المواشي في هذه المحافظة، وبعضهم سمى هذا الجزء من (سن هوا) باسم (جي تشي) إلا أن مضيفينا لم يذكروا ذلك.

**الاستقبال العظيم:**

**المستقبلون من النساء والأطفال عند مدخل بلدة سون هوا**

سلك الموكب شارعاً مظللاً بأشجار باسقة، إلا أنه غير واسع ثم انعطفنا منه جهة اليسار وهي جهة الشرق، فدخلنا فجأة إلى زقاق طويل لا

يتسع لأكثر من سيارة واحدة، فرأينا الاستقبال العظيم الذي استعد به أهالي مدينة (سون هوا) وكأنما حضروا كلهم من رجال ونساء وأطفال لاستقبال وفدنا.

فقد صرنا نسير بين صفين منتظمين من المستقبلين، وكل من مررنا به منهم وهم متراصون بادرونا بقولهم: (السلام عليكما).

وتجاوزنا صفوفاً بعد صفوف، وقد أخذ الجميع زينتهم وكأنهم في عرس أو في يوم عيد، ولا شك أن كثيراً منهم قد حرصوا على حضور هذا الاستقبال، ومشاهدة إخوانهم القادمين من الحرمين الشريفين أكثر مما يحرصون على حضور حفلة العرس أو حتى الاحتفال بالأعياد بعد أداء الصلاة.

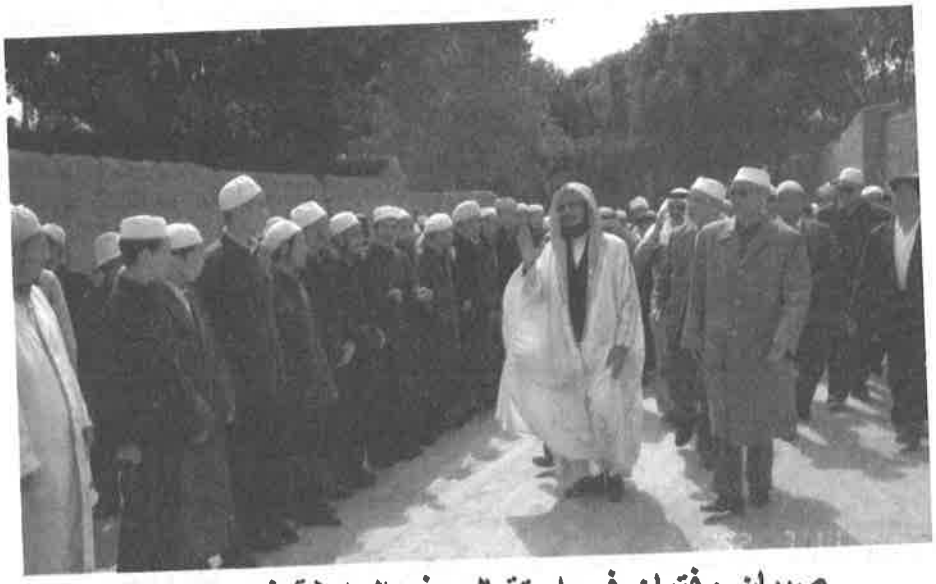

صبيان وفتيان في استقبال وفد الرابطة في عاصمة محافظة سون هوا

وقد بحثت عن كلمة أصف بها هذا الاستقبال فلم أجد كلمة مناسبة له إلا كلمة (عظيم)، فهو عظيم حقاً بمظهره المادي المحسوس،

وبمعناه العميق.

وقد استنفرت الشرطة رجالها من ضباط وجنود للاشتراك في الإشراف على حفظ النظام في هذا الاحتفال، فكان رجال الشرطة والقائمون على الاحتفال يمنعون الواقفين في الصفوف الذين نمر بهم من مصافحتنا حرصاً على الوقت وحفظاً للنظام، لأنه لا تمكن مصافحتهم كلهم لكثرتهم، مع ذلك كان بعضهم يغلب عليه التأثر فيندفع إلينا مصافحاً ناسياً كل هذه الأوامر التي أصدرها القائمون على الاحتفال.

واخترقنا الصفوف التي كانت متراصة من الشارع العام حتى الزقاق المتصل به، ثم ترجلنا قبل الدخول إلى المسجد الجامع الذي تقرر أن يكون مركز الاجتماع بالمسلمين، واستمرت الصفوف على اليمين واليسار حتى دخلنا فناء المسجد المكشوف، ويسمونه مسجد كي سي جن داسي، ثم دخلنا قاعة ملحقة به فاقتصر الدخول إليها على كبار المسؤولين والأعيان وأئمة المساجد في المحافظة.

## مائدة المكسرات:

وكدت أن أقول مائدة النقل، ولكنني خشية ألا يعرف بعض القراء الكرام معرفة النقل بسرعة، والنقل هو الذي نسميه الآن بالمكسرات كاللوز والجوز والفستق والبندق.

وعادة أهل الصين أن لا يكون الجلوس مع الضيف على مائدة فارغة حتى ولو كان قد قام لتوه من مائدة رسمية، أو كان في طريقه إليها.

وقد وجدناهم أعدوا على هذه المائدة المكسرات والحلوى وبزر البطيخ والفاكهة وأكواب الشاي الصيني التقليدي الذي يشرب بدون

سكر، بل بدون إضافة أي شيء آخر إليه.

**الجموع المحتشدة من المسلمين عند باب المسجد الجامع في مركز محافظة سلار لاستقبال الوفد**

## تاريخ الإسلام في المحافظة:

تكلم الشيخ نور الدين بن إسماعيل إمام المسجد الجامع الذي نحن فيه فرحب بوفدنا ترحيباً حاراً، وذكر أننا أول وفد إسلامي يقدم إلى محافظتهم، وقال: نحن نعلم أنكم تحملتم مشاق الطريق حتى وصلتم إلينا، فنحن نشكركم ونرحب بكم أجمل ترحيب.

ثم أخذ يتكلم عن تاريخ دخول الإسلام إلى هذه المنطقة الذي هو في الحقيقة تاريخ هذه القومية التي تسكنها وهي قومية (سلار) فقال: إن أصل قوميتنا جاءت من رجلين من المسلمين أحدهما يسمى قهرمان والآخر يسمى أحمد، جاءا من سمرقند ومعهما مصحف كريم مخطوط، وذلك في عام ١٣٨٤م، وكان يسكن في هذه المنطقة سكان قليل من المغول، فسألوا عن المكان المناسب للسكنى هنا، فقيل لهما: إذا وقف الجمل،

وكانا يحملان المصحف عليه مع بعض الأمتعة، وشرب الجمل الماء فهو المكان الأحسن.

قال: فتجاوزا ثلاثين جبلاً من جبال المنطقة، وبعد ذلك ضاع الجمل منهما، فاحتارا كف يتصرفإن، وأخذا يبحثان عن الجمل إلى أن وجدا هذه الأرض الواسعة قرب النهر الأصفر، ثم وجدا الجمل عند عين يجري ماؤها، قد انقلب الجمل إلى حجر، وعلى ظهره المصحف لم يصبه أي ضرر، فأخذا المصحف، فسكنا هنا، واستقرت ذريتهم التي كونت قومية (سلار) حتى الآن في هذه المنطقة. فقلت لهم: إنه إذا صحت حكاية الجمل هذه، وإن لم تصح حكاية انقلابه إلى الحجر، فإنه يكون جملاً مباركاً، لأنه دلهم على هذه الأرض الخصبة، بل البالغة الخصب، والحسنة الموقع بالنسبة إلى ما حولها من البلاد.

تذكارية مع المسلمين في الجامع في عاصمة (سون هوا)

وإذا صحت قصته - أيضاً - فإنها يكون فيها شبه من قصة ناقة الرسول ﷺ التي قال لمستقبليه من الأنصار عند وصوله المدينة عندما أرادت كل طائفة منهم أن ينزل في دورها: (دعوها فإنها مأمورة)، فبركت في

موضع المسجد النبوي الشريف في الوقت الحاضر عند دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

ومن الأشياء اللطيفة في هذا الأمر أن محدثنا الشيخ نور الدين بن إسماعيل ليس له اسم صيني، لأنهم يرجعون إلى أصل تركي مثلهم في ذلك مثل سكان تركستان الشرقية التابعة للصين في القرن الحاضر، ويسميها الصينيون (شنجاك) فهؤلاء يرجعون إلى أصل تركي، بل إن الترك يرجعون إليهم، لأن بلادهم هي البلاد الأصلية للجنس التركي الأصيل، ولذلك جعلت عنوان كتابي الذي كتبته عن تلك البلاد: «في مهد الترك».

أما الإخوة المسلمون الصينيون الذي هم من قومية (خُوِي) وهي أكبر الطوائف الصينية المسلمة في الصين، فيكون للواحد منهم اسم إسلامي يعرف به بين المسلمين إلى جانب اسم صيني يكتب في الأوراق والوثائق الرسمية ويعرف به بين الصينيين. ويعلل الصينيون ذلك بأنه يصعب عليهم التلفظ بالأسماء الإسلامية التي هي في الحقيقة أسماء عربية أو ترجع إلى أصل عربي.

إن هذه القاعة اعتبرنا الوصول إليها بمثابة الراحة بعد سير طويل استمر أكثر من أربع ساعات لاسيما أننا كنا نسمع أشياء غريبة، ونرى أشياء غريبة أيضاً من أحوال هؤلاء الإخوة المسلمين في الحاضر والغابر.

ونحتسي الشاي الصيني الخفيف الذي يروي من ظمأ، لأنه خال من السكر، وينشط من خمول، لأنهم ينقعون أوراق الشاي في الماء الحار فترة قبل أن يشربوه.

## المصحف التاريخي:

خرجنا من قاعة الاستقبال هذه إلى فناء المسجد المكشوف حيث وجدناهم أحضروا مائدة وضعوا فوقها المصحف الكريم التاريخي الذي ذكروا أن أسلافهم أحضروه معهم في هجرتهم من سمرقند إلى هذه المنطقة من الصين.

**المؤلف والدكتور سعيد باديب ومعهم جماعة يتأملون المصحف التاريخي في جامع سون هوا**

فوجدناه مخطوطاً قديماً كبير الحجم، كل جزء من الأجزاء القرآنية منه مجلد وحده، ولذلك كبر حجمه فقسموه إلى قسمين وضعوا كل قسم منها في صندوق من الخشب.

وقد فتشته فوجدتني على ضوء معرفتي بالمخطوطات الموجودة في مكتبتي الخاصة وفي غيرها يرجع تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن الهجري، فهو بخط نسخ جميل مذهب، سقطت الصفحة الأولى منه، فكتبت بخط متأخر على الطريقة الصينية.

أما عن تاريخه فإنني قدرته حسبما ذكرته، وأظن معرفتي بالمخطوطات كافية لتقدير زمن كتابته، لأن مكتبتي الخاصة تضم أكبر مخطوطات من حيث العدد تضمها مكتبة خاصة أعرفها في بلادنا.

وكنت بدأت بكتابة قوائم لها، فبلغ ما كتبته منها في القوائم مبلغاً كبيراً من المخطوطات الأصلية أي غير المصورة.

المؤلف والأستاذ رحمة الله بن عناية الله وآخرون يتأملون المصحف المخطوط في جامع جي شي في محافظة سون هوا (منطقة سلار)

هذا وقد ذكروا لنا كيفية هجرة أسلافهم إلى هذه المنطقة من سمرقند، ولكنهم لم يذكروا السبب الذي أجله هاجروا، والذي فهمته من بعض المصادر أن سبب ذلك هو الخوف من سلطان أو نحوه، بدليل أنهم حملوا معهم ما هو ضروري لهم حتى هذا المصحف الشريف الكبير الحجم الموضوع الآن في صندوقين من الخشب.

## الخال الأسود والخال الأبيض:

لعلك تذكرت ما نقلته لك قريباً من حديث الأخ الشيخ نور الدين إسماعيل عن الأخوين الذين وصلا إلى هذه البلاد على جمل يحمل هذا المصحف الكريم، وكيف ذكر أن أحدهما اسمه قهرمان، والآخر اسمه أحمد، فقد أرونا قبر كل واحد منهما فوجدت عليه كتابة عربية تخالف ما ذكره، مع أن كبار القوم كانوا يستمعون إلى كلامه.

مسجد جي شي في عاصمة سون هوا

إذ وجدت اسم كل واحد منهما مكتوباً باللغة العربية على قبره، أحدهما اسمه (قره من) والثاني اسمه (آق من) و (قره مين) تعني الخال الأسود، و(آق من) تعني الخال الأبيض باللغة التركية، التي هي لغتهم الأصلية، فإما أن يكون الاسمان اللذان ذكروهما لهما حقيقة والاسمان المكتوبان بالعربية على قبرهما هما لقبان وليسا اسمين، أو أن يكونوا أخطأوا في حكاية الاسمين من الناحية التاريخية.

وقفنا على قبر (قره من) وعليه حائط له باب فيه شباك يرى منه

باطن القبر، ولكن ليس عليه سقف أو قبة، فوجدنا عليه كتابة عربية قديمة لفظها: (السلام عليك الشيخ قرى من).

وهي بخط واضح لا شك في أنه مضت على كتابته قرون، إذ هو ليس بالخط العربي على النمط الصيني الذي صار الإخوة من أهل الصين يكتبون به النصوص العربية في العصور المتأخرة.

وقد نمت على جانب القبر شجرة كبيرة ظللته ذكروا أنها لم تغرس لأنها نابتة على القبر الذي رأيناه من الداخل مرفوعاً عن الأرض بمقدار الشبر.

وأما الباب فإنه يظهر عليه أنه لا يفتح.

أطفال المسلمين وكبارهم حول الوفد في المسجد الجامع في عاصمة سون هوا

ويقابل قبر الشيخ (قرى من) أو الخال الأسود قبر الشيخ (آق من) وهو الخال الأبيض من جهة الشمال، فالأسود هو الجنوبي والأبيض هو الشمالي، وقد كتبت فوق قبره الجملة التالية بعربية واضحة: (السلام

عليك يا شيخ آقمن).

ويظهر من نوع الخط أيضاً أنه قديم، وأنه معاصر للكتابة على القبر الأول.

ويقع القبران متقابلين بينهما نحو عشرة أمتار، وهما جهة الشرق من الجامع بينهما وبينه فناء مكشوف.

وعلى قبر (الخال الأبيض) - آق من - أيضاً شجرة نامية فوق القبر مباشرة، ذكروا أيضاً لنا أنها لم تغرس، وإنما نبتت من تلقاء نفسها، وأنهم لا يعرفون متى نبتت وإنما أخبرهم أهلوهم بذلك.

وهي كالشجرة الثانية فوق قبر الخال الأسود عالية شامخة تظلل القبر.

أعجبت لهذا التوافق العجيب بين قبري الشيخين المذكورين، وبالنسبة إلى وجود حائط يغلق بباب حديدي فيه كرة مغلقة بقضبان من الحديد لا تمنع من النظر إلى الداخل، وكون القبر ذاته غير مرفوع عن الأرض أكثر من شبر، وكون القبرين كليهما ليس عليهما سقف.

وقد سألت بعض الذين أثق بهم من أهل الصين عما إذا كان الأهالي يصنعون عند القبرين شيئاً من المحرمات كأن يتبركوا بزيارتهما، أو النذر لهما فنفوا ذلك، وقالوا: إنهم لا يعرفون أن شيئاً من ذلك أو شبيهاً به يفعل عندهما.

## عين الجمل:

بعد انقضاء زيارة الخالين الأسود والأبيض اللذين وجدنا اسميهما

موثقين بهذه الكتابة العربية القديمة، ذهبوا بنا مشياً على الأقدام إلى عين الماء التي ذكروا أن الجمل الذي كان يحمل المصحف الشريف قد برك عندها من تلقاء نفسه، ومن دون أن يبركه أحد منهما بذلك كما تقول روايتهم الشعبية، ولذلك أهمية كبيرة بالنسبة لهم، لأنه يتعلق بأصل وصول أجدادهم إلى هذه المنطقة، فدخلنا إلى العين مع باب حديدي على بوابة ضخمة لم تفتح منذ دهر، وإنما فتحوها لمناسبة قدومنا، وقد أقاموا بركة ماء واسعة تتوسطها صخرة غير مرتفعة قد غمر الماء جزءاً منها وهي بيضاء على هيئة جمل بارك، زعموا أن هذه الصخرة هي الجمل الشهير الذي حمل أوائلهم إلى هذه المنطقة.

فبرك عند عين الماء هذه وانقلب إلى صخرة جامدة.

**طلب المسلمون التقاط صورة تذكارية مع الأطفال المسلمين من قومية سلار في محافظة سون هوا، والتقطوا لهم هذه الصورة مع وفد الرابطة**

وهناك في الأمر سؤالان يتبادران إلى الذهن أولهما: لماذا صار للعين

أهمية في موقع كثير المياه بحيث لا يبعد عن ضفة النهر الأصفر العظيم أكثر من كيلو مترات سبعة ؟

والثاني: لماذا جعلت الأسطورة الجمل ينقلب إلى صخرة وهو جمل في بادئ الرأي مبارك ؟

ولعل الجواب على السؤال الثاني يصلح أن يكون جواباً على السؤالين كليهما.

وهو أن الذين رووا الأسطورة أرادوا لها أن تبقى في الأذهان، وأن يثبتوا أن وصول الجمل من دون من يكون معه من يقوده أو يسوقه إلى هذه النطقة، وبروكه عند عين الماء إنما هو معجزة أو كرامة يجب أن تكون ذا شاهد محسوس في تحول الجمل إلى صخرة.

ولذلك رأيناهم أقاموا منذ سنوات قريبة تمثالاً لهذا الجمل خارج البركة يمثله وهو بارك ولكن بطريقة رمزية ساذجة.

وتبين من ذلك أنه من إبلهم المعروفة في المنطقة، التي هي من ذوات السنامين، وليست من ذوات السنام الواحد.

وهذه الإبل هي المعروفة الآن في شمال الصين وشماله الغربي، وأما في سمرقند ولا تزال في منطقتها إبل، فقد رأيت الإبل في بخارى وخوارزم القريبة منها ذات سنام واحد وليست ذات سنامين، مما يدل على أن رواية الجمل هذه إنما نشأت متأخرة بعد أن استقروا في الصين واحتاجوا إلى أن يعرفوا كيفية قدوم أوائلهم إليها فاختلطت الرواية التاريخية بالأسطورة الشعبية، فكانت من ذلك قصة هذا الجمل.

وفي هذا المكان عند العين التي ذكروا أن هذه الصخرة كانت

جملاً حمل المصحف الشريف إلى المنطقة تبادر إلى ذهني ما إذا كان المسلمون يفعلون عندها شيئاً من المحظورات شرعاً، مثل التبرك بها، والدعاء عندها، فذكروا لي أن ذلك غير موجود وأن الباب الضخم المقام على العين وتمثال الجمل لا يفتح إلا في بعض المناسبات المهمة مثل مناسبة زيارتنا لمنطقتهم.

تمثال الجمل في سن هوا

ولم يكن هذا هو جواب الإمام الذي يؤم الناس في الجامع القريب، ولا بجواب رئيس الجمعية الإسلامية الفرعية في المنطقة، فأولئك هم من المسؤولين الذين قد يكون في إجاباتهم شيء من المجاملة، ولكنها إجابات أناس من أهل البلاد العارفين بها أكثر من غيرهم.

## اللغة السلارية:

نحب قبل أن ننتقل إلى الكلام على الفقرة التالية في البرنامج أن نذكر شيئاً عن اللغة السلارية لمناسبة الحديث عن اسمي الرجلين (قره من) و(آق من) وأنهما من اللغة التركية، فنقول: إن السلاريين يقولون: إن

لهم لغة سلارية، وبعضهم يسميها لهجة سلارية، كان أوائلهم يتكلمون بها قبل وصولهم إلى هذه البلاد.

وقد طلبت من رفيقنا في الوفد الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وهو تركستاني الأصل، ويعرف اللغة التركية واللهجات أو اللغات المتفرعة عنها أن يخبرني عن لغة القوم وإلى أية لغة ترجع ؟ فذكر أنه تحدث مع شيوخهم وكبار السن فيهم، وقد سمعته يتكلم معهم، وأنه فهم كثيراً منها بصعوبة، وأنها هي اللغة البخارية، ولكنها محرفة ومغيرة بفعل الوقت، مما يؤكد ما قالوه من كون أجدادهم جاؤوا من جهة سمرقند.

مع الأطفال في محافظة سون هوا

وقد التقطوا هذه الصورة لهم مع وفد الرابطة

أما أن يكونوا جاؤوا من مدينة سمرقند بالذات، فإن هذا غير مؤكد، إذ توجد الآن في سمرقند لغتان، إحداهما اللغة الأوزبكية التي هي البخارية الغربية، وهي مشتقة من اللغة التركية القديمة، والثانية هي الفارسية، والأولى أكثر شيوعاً، وهي الرسمية في المنطقة.

ولغة سلار هذه لا تكتب، فهم يتكلمون بها من دون أن يكتبوها، وإنما يكتبون باللغة الصينية وليس بلغتهم هجاء معروف عندهم.

## مأدبة سلارية:

حان وقت الغداء، فصحبنا القوم على رأسهم حاكم المحافظة الأخ سليمان (خه ان شن يانغ) ورئيس الجمعية الإسلامية وأئمة المساجد وأعيان القوم، فسرنا معهم مشياً إلى بيت قريب، وهو بيت الأخ عبد القاسم بن حسن، هكذا اسمه، وليس له اسم صيني، لأن القوم من قبيلة سلار مثل القوم من طائفة الأويغور – الذين لهم أسماء إسلامية وليس لهم أسماء صينية إلا بعض العاملين منهم في المؤسسات الحكومية كما تقدم.

ومررنا ببيوت من الطين فدخلنا بيته الذي وجدناه مبنياً على طراز (سلاري)، وهو طراز البيوت الشائعة الآن في تركستان الغربية التي منها جمهورية أوزبكستان.

**فتيات مسلمات من قومية سلار في سون هوا في زقاق بين البيوت الطينية**

وأهم ما يميز هذه البيوت عقود إسلامية الطراز، يدخل منها إلى إيوان، وهو الرواق كثيراً ما يكون عريضاً، بعده تكون غرفة الجلوس أو غرفة الضيوف.

وجدنا المكسرات التي يقدمها التركستانيون عادة موضوعة على المائدة ومعها سكر النبات، يسقطون القطعة منه في إبريق الشاي، وهذه عادة تركستانية، وإن شئت التعريف قلت إنها عادة بخارية. أما الصينيون فإنهم لا يضعون في الشاي أي نوع من السكر أو غيره.

وعلى المائدة الجوز، وهو المسمى بالقعقع أو عين الجمل، فكانوا يكسرونه بأيديهم بطريقة خاصة عجزت عن تقليدهم بها، لأنهم يعرفون نقطة الضعف في الجوزة فيكسرونها من تلقائها.

كما أحضروا أيضاً زبيباً وحلوى وبزراً من بزر البطيخ، وملبّساً وهو الحمص الملبس بالسكر.

## أحوال المسلمين في المنطقة:

بعد الاطمئنان في المجلس وشرب الشاي المحلى بسكر النبات، بدأ حاكم محافظة (سن هوا) الأخ سليمان (خه ان شن يانغ)، وهو من القومية نفسها أي قومية سلار، الحديث بالترحيب المعاد بقدومنا إلى هذه المحافظة، وأبدى شكره لوفدنا على ذلك وللجمعية الإسلامية الصينية التي أعدت الزيارة، ثم قال: إنني باسم جميع أبناء محافظة (سن هوا) ذات الحكم الذاتي لقومية سلار التي يبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة أرحب بكم وأحييكم.

وإن محافظتنا فيها عدة قوميات، القومية الرئيسية منها هي قومية

(سلار) وعدد أفرادها (٨٧) ألفاً في كل أنحاء الصين، وكلهم مسلمون، منهم في هذه المحافظة ٦١ ألف نسمة يؤلفون ٦٠٪ من مجموع سكانها، وفي المحافظة ٢٤ ألف نسمة من قومية التبت، وهنا في هذه المحافظة مسقط رأس زعيم التبت (فلان)، وذكر شخصاً لم أتبين اسمه.

المؤلف على يمينه حاكم منطقة سلار الأخ سليمان في منطقة سون هوا

أما عدد أفراد القوميات الأخرى في المحافظة فهو ٨٨٠٠ نسمة، منهم ٦٩٠٠ نسمة من قومية (الخان).

وفي المحافظة دينان هما الإسلام والبوذية، ويؤلف المسلمون من سكانها ٧٠ ألف نسمة من سلار وخوي وغيرهم، ولهم في المحافظة (١٠٧) مساجد، و قبل التحرير - يريد قبل الثورة الشيوعية - لم يكن فيها إلا ٥٤ مسجداً.

ثم قال: وعند المسلمين الآن ٢٨٢ إماماً من أئمة المساجد، وفي المساجد ٤٨٥ طالب علم.

وعدد من حج من محافظتنا من عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٩٢م ٢٨٠ حاجاً، أي على مدى سنوات عشر، منهم ٣٥ إماماً، وقبل التحرير لم يزد عدد الحجاج منها على عشرة.

قال: وعند المسلمين طرق صوفية، منها الأخونية والجهرية والخفتية، ويتعاونون فيما بينهم، وذكر أن أماكن العبادة فيها كافية.

وينبغي أن نتذكر أن هذا الرجل وإن كان مسلماً فإنه يتكلم بلغته الرسمية التي هي (حاكم المحافظة) ولذلك قال:

أما من الناحية الثقافية، فإن في المحافظة ١٠٨ مدارس، ٩ منها مدارس ثانوية، و ٩٨ ابتدائية، ومعهد واحد للمعلمين، ومدرسة من المدارس الثانوية التسع هي للبنات، وفي المدارس هذه من الطلاب: (١٥٧٠٠) طالب.

أما الزراعة، فإنها القمح والفول السوداني والبطاطس والتفاح والخوخ والمشمش والفلفل الأحمر، وترتفع المحافظة ١٨٧٠ متراً فوق مستوى سطح البحر.

وقد رددت على كلمته بالشكر على الترحيب وعلى هذه المعلومات الدقيقة المفصلة عن أحوال محافظة (سن هوا) بعامة، وعن أحوال الإخوة المسلمين خاصة، وقلت لهم: إننا جئنا إلى هنا للالتقاء بالإخوة المسلمين وتجديد الاتصال بهم، وإننا نرجو أن تتوثق العلاقات ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الجمعيات الإسلامية في الصين.

وأوضحت لهم أن رابطة العالم الإسلامي يمكن أن تتعاون معهم في ترميم المساجد، وفي المنح الدراسية، والكتب الإسلامية، وإرسال المصاحف وترجمات معنى القرآن الكريم إلى اللغة الصينية.

## المائدة:

جاؤوا بالأواني التي تحمل طعام المائدة أنواعاً منوعة مختلطة مابين الصينية والتركستانية، مثل ما أنهم مختلطون في عاداتهم كذلك.

فجاؤوا بالخبز على هيئة خيوط طويلة متعرجة، وذكروا أن المسلمين مختصون بعمله هكذا، وأنهم يصنعونه في الأعياد والأعراس والمناسبات المهمة، وأن أصله من دقيق القمح.

**الخبز على هيئة خيوط في المائدة التي أقيمت لوفد الرابطة في عاصمة سون هوا**

وبعد أن تناولنا منه شيئاً رفعوه ليفسحوا المجال لغيره من الصحاف والأطباق، وجاؤوا بالفعل بنوع آخر من الخبز، ثم بنوع من العجين المقلي في مادة دسمة مضافاً إليها مواد مشهية، وأحضروا معه السكر يغمطونه في السكر ثم يأكلونه، وهم يستعملون الأعواد الصينية، وأما نحن فإنهم أحضروا لنا ملاعق وسكاكين عوضاً عنها.

ثم أحضروا نوعاً أسموه (تمر الصين)، وكنت رأيته في بعض الموائد

في الصين، وهو أشبه بالفاكهة الحلوة لكنه ليس بطلع نخلة من النخل، وقد لفوه بدقيق وغلوه في مادة زيتية، وكرروا القول بأنهم يسمونه (تمر الصين)، وذلك أنه صار كالتمر بعد أن صنعوا به ما ذكرته.

ثم أحضروا الحلوى في وسط الطعام، وأسموها (حلوى سلار) إضافة إليهم أنفسهم لكونهم يصنعونها ولا يصنعها غيرهم، ولم نأكل منها كثيراً، لأن كون الحلوى في وسط الطعام قبلها دسم، وبعدها طعام دسم أمر لم نعتد عليه.

ورفعوا صحون الحلوى السلارية وجاؤوا بحلوى أخرى على هيئة الكرات الدسمة.

ثم جاؤوا بالطعام الذي نعرفه في بلادنا وهو (المانتو) الذي يصنعه عندنا أبناء عمومتهم من البخاريين، وهو نوع من العجين اللين الذي يكاد يكون نشا خالصاً يصنع على هيئة السمبوسك، ويحشى بالخضرات واللحم المطحون أو المقطع قطعاً صغيرة.

والغريب أنهم أحضروا الحساء وهو الشربة فيها حبال المكرونة الدقيقة جداً واللحم والفلفل الحار، فصاروا يأكلون هذه الأشياء التي فيها بالأعواد الملس، ولم أستطع أن أفعل فعلهم فصرت أتناول ذلك بالملعقة.

ثم جاءت أطباق أخرى تحوي لحم الدجاج السمين الذي له رائحة تدخل الأنف بدون استئذان، لأنه مطبوخ مع أفاويه وأبازير ذكية الرائحة.

وبعده أحضروا لحم خروف سمين، وأحضروا معه ما يسهل هضم الشحم الذي فيه، وهو الثوم الطازج، فكانوا يأخذون من هذا الثوم أثناء أكل اللحم الدسم رأساً بالأعواد ويأكلونه.

وهذا أمر صحيح مجرب أن الثوم يساعد على هضم الشحوم.

والشيء الغريب هو نوع من الحساء أو المرق أحضروه بقدور تغلي على (سَمَوَّر)، ووضعوه على الموائد، وهوكذلك يغلي وفيه أنواع من الخضرات المطبوخة، فكان الآكلون يغرفون منه بملعقة كبيرة ويضعونه في سلطانيات أمامهم ويشربونه.

ثم جاؤوا بنوع من الطعام ذكروا أنه مصنوع من دقيق الفول، يريدون به الفول السوداني، لأنهم لا يعرفون الفول المعتاد الذي اعتدنا على أكله في طعام الإفطار.

وبعده (شربة) ثالثة فيها فطر الغابات الأسود اللذيذ، وهو فطر يجعلونه رقائق ويطبخونه فيكون لذيذاً متماسكاً تحت الأضراس، وليس كالفطر المعتاد الذي يكون ليناً رخواً.

وهذا الفطر يسمونه (فطر الغابات) لأنهم يجنونه من الأماكن الخلوية، ولا أدري أكلّه كذلك أم أنهم قد صاروا يستنبتونه، لأنني رأيته كثير الاستعمال في شمال الصين وشمالها الغربي.

وهناك أنواع من الطعام تركت ذكرها من باب الاختصار، وكلها بمقادير كثيرة لأن الذين أكلوا معنا كان عددهم كبيراً، وكانوا جالسين على عدة موائد.

والجامع بين هذه الأطعمة هو الكثرة في المقادير، والوفرة في الطعام، والدسم الأكثر في الإدام أكثر مما يكون عادة في الموائد الصينية الخالصة، وإن كانت أنواع الطعام تكون أكثر في العادة على الموائد الصينية، وإعداد بعض الأطعمة أكثر غرابة كما ذكرت شاهدة

لذلك عند الكلام على المأدبة التي أقامتها الجمعية الإسلامية في (تشنغ هاي) لوفدنا أمس، وفي نهاية الاجتماع قدمتُ هدايا لحاكم المحافظة سليمان (قن سن بال) ولصاحب البيت الأخ (عبد القاسم).

## عود إلى المسجد الجامع:

مائدة الشاي في غرفة الاستقبال في المسجد الجامع في عاصمة محافظة سون هوا.

إمام المسجد محمد حسن على يسار المؤلف

عدنا بعد مائدة الغداء إلى المسجد الجامع الذي كنا في فنائه وفي غرفة ملحقة به، ولكننا لم ندخل المصلى وغرضنا من العودة هو أداء الصلاة فيه والاطلاع عليه، ويسمونه (المسجد الجامع).

فسرنا على أقدامنا مع الشارع الذي قدمنا منه أول مرة تظلله أشجار الظل الباسقة، ثم دخلنا محلات الوضوء في المسجد فلاحظنا أنها نظيفة، ولكنها مثل مرحاض في بيت مضيفنا على الغداء تدل على أن البلدة لم تعرف المجاري، إذ تسقط فضلات المتوضئ أو غيره في حفرة محفورة في الأرض، ويذهب الماء إلى جهة أخرى.

وأعجبنا بسعة المسجد الجامع المسقوف، والعناية به من حيث الفراش والنظافة.

ووجدناهم قد تأنقوا في محرابه على عادة مسلمي الصين في تزيين محاريب مساجدهم وتحليتها بآيات قرآنية يكتبونها بطريقة الكتابة الصينية التي تظهر فيها الكلمات العربية في بعض الأحيان وكأنها الكلمات الصينية المكتوبة، لأنهم يكتبون الكلمات أو الجمل منفردة، تفصل بين الكلمة والأخرى أو الجملة والأخرى فاصلة.

وهنا كتبوا على أعلى المحراب الآية الكريمة ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ بخط صيني، تحتها الشهادتان: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

**في محراب الجامع في مدينة جي شي عاصمة محافظة (سون هوا) مع إمام المسجد الشيخ محمد حسن**

كما كتبوا في إطار دائر بالمحراب من أعلاه إلى جانبيه هذه العبارة بالعربية ونصها: ( صلوا خمسكم، وزكوا مالكم، وصوموا شهركم، وحجوا بيت ربكم، فادخلوا الجنة بلاحساب ولاعذاب) هكذا كتبوا: (فادخلوا الجنة) مع أن الأفصح أن تكون (تدخلوا الجنة) لأنها واقعة في جواب الشرط.

وقد جعلوا طلاء المحراب باللون الذهبي على عادة تكاد تكون عامة في أكثر محاريب المساجد في الصين.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في هذا المسجد أن المنبر الذي يلقي منه الخطيب خطبة الجمعة ليس في مقدمة المسجد بجانب المحراب، أو في الصف الذي فيه المحراب، وإنما هو متأخر عن ذلك، فهو يكاد يجعل ثلث مساحة المسجد خلفه وثلثيها أمامه، مثله في ذلك مثل جامع مدينة (تشيننغ).

المؤلف يدعو وأئمة المساجد يؤمنون في جامع محافظة سون هوا

وربما كان ذلك من أجل أن يسمع الجميع صوت الخطيب في خطبة الجمعة، لأنه بذلك يكون أقرب إلى من يكونون من المصلين في الصفوف الأخيرة، ويسمعه من يكونون متقدمين في الصفوف الأولى لقربه منهم ولو

كانوا خلفه.

وقد ألقيت كلمة بعد الصلاة في المسجد حييت فيها الإخوة المصلين بتحية الإسلام من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وشرحت لهم مهمة رابطة العالم الإسلامي والغرض من زيارتنا لبلادهم، وبينت لهم فيها قوة الإخوة الإسلامية وأهميتها بالنسبة إلى جميع المسلمين.

كما ناصحتهم فيها بالتمسك بما يأمر به الله ورسوله من الأمور المتعلقة بالعبادات والمعاملات، ومن أهم ذلك تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة، وأن يتعاونوا بينهم ويتضامنوا، لأنهم أقلية عددية قليلة وإذا تفرقوا نقصت أقليتهم، وازدادت متاعبهم، إضافة إلى أن ذلك فيه مخالفة لما أمر به المسلمون من التعاون والتضامن على البر والتقوى في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وما نهاهم عنه من الاختلاف والتنازع بقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

وقد أهديناهم للجامع مصاحف وترجمة لمعاني القرآن بالصينية، وشرائط تسجيل القرآن الكريم مع جهاز تسجيل، وهذه أشياء لا توجد عندهم في العادة، ثم تحدث إمام المسجد محمد حسن عن تاريخ المسجد فذكر أن تاريخه يعود إلى قدوم أجداد السلار إلى هذا المكان منذ ستمائة سنة، ثم تطور مع الزمن، وقد أعيد بناؤه عام ١٩٨٤م وتبلغ مساحته ١٨٠٠ متر مربع مع أفنيته الخارجية.

كما أهدينا هدايا رمزية لإمام المسجد ونائبه وبعض العاملين في الجمعية الإسلامية.

## مغادرة العاصمة:

غادرنا مدينة (سن هوا) ولكننا لم نغادر محافظة (سن هوا)، لأنه لا تزال في برنامج زيارتنا لها بقية. فاخترقنا في خروجنا منها شارعاً آخر غير الذي قدمنا منه، وهو كالأول مليء بأكوام البطيخ الأخضر (الحبحب) وأنواع الخضرات الأخرى.

ومن المناظر الطريفة بالنسبة لي لأنني كنت عايشتها في صغري وشبابي، وفقدتها منذ عقود من السنين، منظر رجل في أحد الشوارع وهو يخلط الطين أمام بيته يريد أن يرممه به، أو أن يبني فيه زيادة منازل، وبيته من الطين بطبيعة الحال.

وهو مماثل لما كنا نفعله من قبل عندما كنا نسكن في بيوت الطين.

وقد استرعى الموكب أنظار السكان، لأن عدد السيارات التي فيه زاد كما أنه صارت تتقدمه أيضاً عربة نارية من ذوات العجلات الثلاث، عليها ثلاثة من العسكريين العاملين في هذه المحافظة يتقدمون الموكب من باب التكريم.

وكان هذا أمراً مقصوداً من الإخوة المسلمين لأنهم يريدون إبراز زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي إلى محافظتهم رغم الأعداد الهائلة من الناس التي اشتركت في الاستقبال.

ولاحظنا أن جميع اللافتات المكتوبة على الأبنية والمحلات هي باللغة

الصينية وحدها، وليس فيها شيء باللغة السلارية التي هي لغة القوم في هذه المحافظة، وذلك لكونها لغة غير مكتوبة وإنما يتكلمون بها فيما بينهم.

وصلنا النهر الأصفر ورأيت التلال الحمر أو الذهبية تطل عليه شامخة، وقد اكتسب تسميته بالأصفر من الطمي الذي ترسله إليه فتجعل لون مياهه صفراء.

فتصورت خشيتي من انهيارها وإلحاق الأضرار بالسكان بسبب ذلك، فسألت حاكم المحافظة الأخ سليمان عن ذلك فأجاب: أنها ثابتة ولا ضرر منها.

وهذا صحيح بالجملة لأنها كانت هكذا منذ قرون، وربما منذ عهود أقدم من ذلك، ولكنها تتآكل على الزمان، وربما ضعفت جوانب منها من جراء أمطار غزيرة أو سيول جارفة، أو زيادة حادة في مياه النهر، فانهار بعضها وأصاب بالضرر من يكونون قريباً منها.

ثم صعدنا تلالاً من هذه التلال الطينية حولها مزارع وقرى أهلها من المسلمين بدليل أن النساء كلهن يسترن رؤوسهن بالغطاء السابغ المعتاد.

ونحن في سيرنا مع هذه التلال نباري النهر الأصفر، إلا أننا لا نسير على ضفته مباشرة، وإنما نصعد تلة ثم نهبط بعدها مع مكان منخفض فيه المزارع ويرى منه النهر الأصفر، ثم نصعد تلة طينية أخرى فيغيب النهر، ولكن القرى والبيوت الطينية لا تغيب، لأنهم يبنونها في الأماكن المرتفعة.

## قرية تشين شوي:

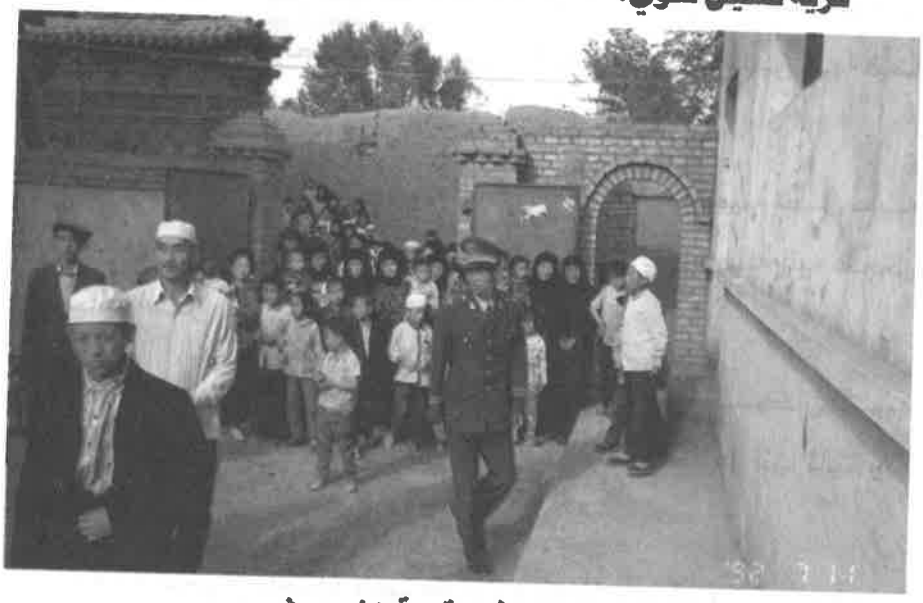

مدخل مسجد في قرية تشين شوي

وجدنا أهل القرية من الإخوة المسلمين التي هي ليست كبيرة قد اصطفوا كلهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، وانضاف إليهم من المسلمين الذين يسكنون القرى والأرياف القريبة ما زاد جمعهم، وأضفى على الاستقبال طابعاً غير معتاد في مثل هذه القرى.

فترجلنا من السيارات بعد أن سرنا لفترة بين صفوف واقفة تحيي مندهشة من هذا الاستقبال الفريد بالنسبة إليهم، لأنها أول مرة يصل إليها فيها وفد من بلاد الحرمين الشريفين التي يكنون لها المحبة والإكبار من دون أن يكونوا استطاعوا الذهاب إليها أو رؤيتها إلا قلة قليلة جداً كثيراً ما تكون من كبار السن وذوي القدرة المالية وقليل ما هم.

وحتى إذا استطاع أحد منهم بوسائله الخاصة أن يرتب أمور حجه بنفسه، فإن الحكومة لا توافق عليه إلا ضمن سياستها المرسومة للحج وداخل العدد المقرر لكل مقاطعة من مقاطعات الصين التي توزع هذه

الحصص من أعداد الحجاج على سائر أنحاء البلاد.

دخلنا إلى المسجد الجامع الذي يقع في شارع ضيق تحيط به بيوت الطين بخلاف الجامع فإنه قوي البناء مقام من الأخشاب القوية الصلبة حتى منارته كلها من الخشب على الطراز الصيني الخالص وإن كان أساسها بالحجارة.

منارة مسجد تشين شوي الخشبية في محافظة سون هوا

فاستقبلنا في فناء المسجد جمع من زعماء المسلمين وأئمة المساجد في المنطقة ومنهم الشيخ عبد الحكيم بن قاسم وهو كبيرهم أو من كبارهم.

وتزاحم الإخوة في فناء المسجد على وفد الرابطة كل يريد

المصافحة، وبعضهم من كبار السن يريدون الاحتضان والالتزام والاستجابة لهذا الطلب معناه إنفاق وقت كثير.

لذلك رأى المرافقون التقاط صورة جماعية تذكارية يلتقطها مصوران رسميان مرافقان للوفد أحدهما حضر معنا من مدينة (تشي ننغ) ليصور الرحلة، والثاني انضم إلينا في محافظة (سن هوا) هذه.

والتقاط الصور من هذين المصورين معناه إتاحة الفرصة لحصول أي شخص ظهرت صورته من هذه الجموع على نسخة منها.

وألقيت فيهم كلمة ونحن واقفون في فناء المسجد ترجمها أحد طلبة العلم في المحافظة.

**في مسجد تشين شوي بمحافظة سون هوا لقومية سلار**

ثم صعدنا مع درج صغير إلى رواق خشبي يتقدم المصلى، دخلنا منه إلى المسجد الرئيسي المسقوف فإذا هو فخم البناء، قوي الأعمدة، وإن كانت أعمدته من الخشب الصلب الذي يبدو كأنه الصخر لصلابته وملاسته وهو عالي السقف وكله من الخشب.

ذكروا أن تاريخه يرقى إلى ستمائة سنة لأنه بني في عهد أسرة (مينغ).

والواقع أن حالة هذا المسجد تشعر كأن المسلمين الذين قاموا على بنائه كانوا يتمتعون بقوة المال والنفوذ وإلا لما استطاعوا أن يبنوا المسجد هذا البنيان وأن ضعفاً مغايراً لحالتهم القديمة قد طرأ عليهم في القرون الأخيرة، لأنه لا يمكن لمن يكون في حالة مثل حالة أهل هذه القرية في الوقت الحاضر من حيث قلة الدخول، وضعف المركز الإداري أن يبنوا مثل هذا الجامع.

وحدثونا عن عدد المصلين في المسجد بأنه يبلغ ثمانمائة مصلٍ يوم الجمعة ومائتي مصلٍ في الأيام المعتادة، وقد أعلنا تبرع رابطة العالم الإسلامي بألفي دولار لحاجات المسجد، وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة إلينا، ولكنه ذو اهمية لهم لضعف قيمة عملتهم الوطنية.

## الغداء الثاني:

ألحوا علينا في الدخول إلى غرفة واسعة ملحقة بالمسجد، ولما اعتذرنا عن ذلك همس الإخوة المرافقون في آذاننا بأنهم قد صنعوا طعاماً من أجلكم، ولا ينبغي أن تذهبوا من دون أن تروه.

فوجدناهم قد أعدوا مائدة طويلة في الغرفة، عليها مقدمات المائدة من المكسرات وأكواب الشاي الذي وضعوا بجانبه سكر النبات لتحليته خلاف ما يصنعه الصينيون الأصلاء الذين لا يضعون السكر ولا غيره في الشاي، ومن النقل الذي هو المكسرات وضعوا عين الجمل وهو القعقع والمشمش واللوز وتفاحاً محلياً أخضر اللون ولكنه كبير الحجم، وفولاً

سودانياً وزبيباً، وبزر البطيخ الأخضر (الحبحب).

**الساحة المكشوفة ي مسجد تشين شوي في (سون هوا)**

وما أن جلسنا معهم على هذه المكسرات والشاي وكنا ظننا أن ذلك هو كل ما أعدوه حتى بادروا فأحضروا الطعام الحار الدسم، وأوله لحم الغنم السمين، ثم لحم دجاج سمين، ثم جاؤوا بالمرق الذي يغلي في قدره قد وضعوه على سمور وأحضروه وهو يغلي، وفيه لحم الغنم والتوابل والخضرات، فأخذ القوم يغترفون ويضعون في سلطانيات أمامهم، ونحن نطعم منه ما استطعنا تطييباً لخواطرهم، لأنهم فعلوا ذلك كله إكراماً لنا جزاهم الله خيراً، وأقر أعيننا وأعينهم بنصر الإسلام والمسلمين.

## إلى محافظة خالونغ:

كان يصحبنا في محافظة (سن هوا) حاكم المحافظة وأعيانها، وقد أردنا توديعهم في قرية (شين شوي) هذه، ولكنهم أبوا إلا أن يكون التوديع في حدود محافظتهم مع محافظة خالونغ التي سنذهب إليها مباشرة بعد هذه.

فودعنا إخواننا أهل قرية (شين شوي) وانطلقنا في موكب طويل تتقدمه الدراجة العسكرية النارية بعدها سيارة المحافظ، ثم سيارتي ثم بقية السيارات، فمررنا بمسجد آخر لم نقف عنده، وكانت منارته شامخة من الطريق ولا أدري لم لم توضع زيارته في البرنامج، وربما كان ذلك لكونه حديث البناء وليس مسجداً تاريخياً كمسجد (شين شوي)، وربما كان ذلك لسبب آخر.

وكانت مغادرة قرية (شين شوي) في الخامسة والنصف عصراً.

ومررنا بأعداد من المسلمين ربما كانوا قد أخبروا بوصولنا فكنا نراهم مصطفين فنسلم عليهم دون وقوف، ويجهرون بالسلام علينا قائلين بلهجتهم (السلام عليكما) أو السلام عليكم، ينطقونها بفتحة فوق الميم.

أهالي بلدة خالونغ في استقبال الوفد

وعند حدود محافظة (سن هوا) مع حدود محافظة (خالونغ) ودعنا أهل (سن هوا) جميعهم، واستقبلنا أهل (خالونغ) وهي محافظة ذات حكم ذاتي للمسلمين، ولكنهم من طائفة أخرى، لا من حيث المذهب، فإنهم

كلهم من أهل السنة والجماعة، ولكن من عنصر سكاني آخر، وهي طائفة (خُوي) التي يسميها الصينيون قومية (خُوي) إشارة إلى أنها ليست بذات أصل صيني نقي.

ولي رأي متواضع في هذا الأمر، وهو أن هذه الطائفة ليست كلها ذات أصول أجنبية، وإنما هي من أصول مختلطة، جمع بينها الإسلام وآخى بين أهلها، ولذلك صار اسمها (خُوي) بإسكان الخاء وكسر الواو التي أصلها أخوي العربية، لأنني سألت عدة علماء من الذين يعرفون آداب اللغة الصينية ومترادفاتها فلم يستطيعوا القول بأن كلمة (خُوي) هذه كلمة صينية.

فطائفة (خُوِي) هي من أصول عربية وفارسية وتركية مسلمة، جاءت إلى الصين واختلطت بالمسلمين من أهلها التي لا بد أن يكون فيهم من هم من أصول صينية نقية، اهتدوا إلى الإسلام فتزاوجوا مع المسلمين واختلطوا بهم، ولذلك لا توجد لهم صلة بقومية واحدة خارج الصين، وليست لهم لغة أخرى غير اللغة الصينية.

وعلى أية حال فإن هذا الأمر مجال البحث فيه واسع، وليس هذا مكانه، وإنما جرنا إليه الحديث عن الاختلاف الذي يراه الصينيون بين المسلمين من سكان محافظة (سن هوا) والمسلمين من سكان محافظة (خالونغ) المجاورة.

وانطلقنا مع الإخوة المسلمين أهل (خالونغ) وقد شارفت الساعة على السادسة، فسرنا مع وسط الوادي الذي أكثر ما فيه ظهوراً البيوت الطينية والمسلمات المتسترات.

حتى وصلنا إلى:

## قرية خاتن قان تو:

وهي قرية مسلمة وجدنا أهلها قد خرجوا بأجمعهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، واصطفوا صفين في انتظار وفدنا، فوقفنا عند مسجدها الذي أهم ما يميزه منارة أثرية ضخمة مبنية على الطراز الصيني الخالص.

وقد جاؤوا بإمام المسجد وهوشيخ مسن اسمه (محمد مير) لا يكاد يقوى على الحركة، فساعدته على المشي.

وألقيت فيهم كلمة في فناء المسجد تضمنت التحية لهم وبيان الغرض الذي جئنا من أجله، وأخبرناهم أن البعد في المكان عن الحرمين الشريفين لا يضر المسلم الذي يعمل عملاً صالحاً، لأن العبرة هي في العمل الصالح، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

شارع في بلدة خالوتغ

ثم انتقلنا من المسجد بعد أن أعلنا لهم عن تبرع رمزي من رابطة العالم الإسلامي للإسهام في دفع النفقات العاجلة المتكررة اللازمة له، وسرنا

مشياً على الأقدام في أزقة تحيط بها البيوت الطينية الحسنة المظهر، لكونها معتنى بها، ورأينا بعض الأخوات المسلمات واقفات عند أبواب بيوتهن يراقبن الوفد بعد أن انتهى الاصطفاف للاستقبال، وتمنعهن تربيتهن من الاختلاط بالرجال، ورأينا ترعة صغيرة في الشارع قادمة من التلال العالية.

## الغداء الثالث:

دخلنا بيتاً سرياً لأحد الإخوة الكرام واسمه (سليمان ماني) وهو بيت من الخشب تتقدمه أروقة منقوشة ذات طابع إسلامي، فوجدنا فيه عدة موائد قد أكثروا فوقها من النقول التي منها الجوز والزبيب والفول السوداني، وبزر البطيخ والبندق، إلى جانب الشاي الأخضر الذي وضعوا بجانبه سكر النبات، فجلسنا على إحدى الموائد التي وضعوها في شرفة مرتفعة بالنسبة إلى الموائد الأخرى.

بيت الأخ سليمان ماني في محافظة خالونغ

ثم جاؤوا ببطيخ أخضر (حبحب) وهو أول مرة يقدم إلينا فيها مع

كثرته في المنطقة، وربما كانوا يعتبرونه أقل من مقام الضيوف، أو لسبب لا أعرفه، كما أحضروا بطيخاً أصفر لم ينضج، ولذلك وضعوا عليه السكر ووضعوا السكر أيضاً على طماطم أحضروها على المائدة تؤكل قطعاً وحدها.

ثم أحضروا ما أسموه بخبز الأفراح، وهو خبز وصفته فيما سبق، وكرروا ما قاله إخوانهم بأن هذا الخبز يصنعه المسلمون دون غيرهم، وأنه يصنع في الأفراح والمناسبات السعيدة.

ثم توالت الصحون والأطباق وفيها اللحم والمقليات ولحم الدجاج والحساء مما لا أريد التطويل بذكره.

وكان هذا هو الغداء الثالث في هذا اليوم، وقد اعتبرناه غداء لأن الشمس لا تزال حية، ولا تزال في عمر النهار بقية تزيد على ساعتين.

**صورة تذكارية مع المسلمين وأطفالهم عند حدود محافظة خالونغ**

وقد حدثوني عن هذه القرية بأنها صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ألف وخمسمائة نسمة، ولكن المسجد الجامع يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة،

لأن المسلمين يأتون إليها من القرى والأرياف القريبة التي لا توجد فيها جمعة.

وقد ودعنا أهل هذه المحافظة بحفاوة، وكانت مغادرتنا القرية في حدود الساعة السابعة.

## العودة إلى تشي ننغ:

وبدأنا رحلة العودة إلى (تشي ننغ) مع الطريق نفسه الذي قدمنا منه، ولم ينقضِ عجبي من هذه التلال الطينية الواقفة التي تسمى في اصطلاح الجغرافيين (تلال اللوس)، وكنت رأيت مثيلات لها من قبل في مقاطعة (كان صو) المجاورة عند ما زرنا الصين للمرة الأولى عام ١٤٠٤هـ.

ومع غروب الشمس كانت وقفة للموكب احتاجها من أكثروا من شرب الشاي وغيره من السوائل، وكان ذلك في غابة ملتفة الأشجار، وكان قرب الموقف على الطريق العام دراجة هوائية تنفخ إحدى النساء الشابات عجلتها بالمضخة اليدوية التي كنا عرفنا استعمالها قبل أربعين سنة، وكان السائقون ينفخون بها عجلات السيارات، وهو عمل شاق يقوم به صاحبه وهو واقف.

ولاحظنا في العودة شيئاً لم نلاحظه في الذهاب، وهو أن بعض القرى التي مررنا بها قد رفعت على مطاعمها أعلاماً أو لافتات كبيرة كتبت عليها بالصينية (تشن شن)، وهو اسم الإسلام بالصينية، ويعني ذلك أنها مطاعم للمسلمين، وبعضها عليه هلال تتوسطه نجمة، وهذا شعار المسلمين إشارة إلى أن الطعام الذي يقدم فيها حلال للمسلمين، لأنه أعد بأيد إسلامية.

كما لاحظت قلة الناس في الطريق مع غروب الشمس التي غربت في

الثامنة والثلث.

وحتى السيارات قلّت في هذه الطرقات، وإنما رأينا قليلاً من البغال والجرارات الزراعية.

وقد أسرع الموكب في الإياب، لأن الطريق معروف لنا والظلام يزحف يخفي المنطقة عن عيون سبق أن رأتها في النهار.

وعند الوصول إلى منطقة الجبال العالية وجدنا الجو فيها غائماً أصابنا منه مطر خفيف، وقال المرافقون: إن طبيعة هذه المنطقة في الصيف أن تشرق الشمس في النهار وينزل المطر في الليل.

ورأينا في غبش الظلام قطيعاً من الياك، وهو نوع من البقر أو هو قريب منه، وبعضهم يقول في تعريفه: إنه البقر ذو الشعر، والصحيح أنه من فصيلة البقر نفسه، ولم أستطع تصويره لعدم كفاية النور.

ورأينا امرأة تسير وحدها مع الطريق وقد استحكم الظلام، فسألت المرافقين الصينيين عما إذا كانت المرأة لا تخاف من شيء إذا سارت في مثل هذا الليل وحدها ؟

فقالوا: إنها لا تخاف من شيء لأمور، أولها: التقاليد الصينية العريقة التي تحرم التعرض لمثل هذه المرأة، والثانية: الخوف من عقاب السلطات الحاكمة، لأنها لا تتساهل أبداً في عقاب من يعتدي على المرأة، حتى ذكروا أن عقوبته قد تصل إلى القتل، وأمر مهم آخر وهو أن كل رجل قد يجد في الأحوال المعتادة امرأة يتحدث إليها، ولا يعتبر ذلك منافياً للآداب المرعية عندهم.

ووصلنا إلى فندقنا في مدينة تشي ننغ قبل الحادية عشرة بقليل.

**يوم الأحد: ١٤١٣/١/١٢ هـ ١٩٩٢/٧/١٢ م**

## إلى مسجد آخر:

المساجد في مدينة (تشي ننغ) عديدة، قيل إنها تصل إلى الثلاثين، ولكن مضيفينا لم يريدوا أن نرى إلا المسجد الجامع، ربما لتكون الزيارة ذات طابع عام، ويسبقها احتفال مشهور، وربما كان الأمر غير ذلك، كأن يكون يتعلق بما ينبغي أن يلتزم به أهل المساجد عند لقائهم بالضيوف الأجانب.

ومع ذلك فإنهم استجابوا لرغبتنا في زيارة المزيد من المساجد، ولكن بزيارة مسجد واحد.

مسجد (ان خايو) مع منارته في تشي ننغ، والمطر ينزل

خرجنا من الفندق السابعة والنصف في جو ماطر، فرأينا الشوارع مليئة بالناس على دراجاتهم وبالشارع، واستغربت أن يكون ذلك في يوم الأحد الذي هو يوم العطلة الأسبوعية الوحيد في الصين، لأن الناس يعملون في يوم السبت، فقيل لي: إن بعض المؤسسات والمصانع تكون عطلتها الأسبوعية هي يوم واحد في غير يوم الأحد، كما قالوا: إن بعض الناس يخرجون في هذا الصباح، من أجل إحضار طعام اليوم لبيوتهم.

وصلنا مسجد (انخايو) في حي (خي شي تونغ) فوجدنا المسلمين من أهل الحي قد اصطفوا صفين في الشارع العام حتى مدخل المصلى، وذلك رغم سقوط المطر الذي كان خفيفاً، وعلى رأسهم إمام المسجد الأخ علي (ما فو يي).

وقد مررنا بينهم من تحت المظلات الواقية من المطر، حتى دخلنا إلى المصلى الرئيسي الذي وجدناهم علقوا عليه لافتة كبيرة عليها كتابة بالعربية (أهلاً ومرحباً فطوبى بالضيوف الكرام).

دخلنا إلى المسجد الذي تبين أنه حديث البناء، إذ بني عام ١٩٨٦ م من الإسمنت المسلح، ولذلك لم يكن في داخله عمد، وإنما وضعت داخل الحيطان التي تركبها قبة كبيرة بالنسبة إلى المسجد الذي لم يكن كبيراً.

وتحدثنا في المسجد مع الإمام وبعض المسؤولين فيه، فأخبرونا أنه بني من التبرعات، وأن الحكومة أسهمت بشيء قليل لبنائه، والتبرعات هذه كلها جاءتهم من داخل المقاطعة، ولم يتلقوا شيئاً من الخارج لكونهم لم يتصلوا بأحد، أو يكتبوا إليه ليشترك في التبرعات.

**لافتات ترحيبية في الجامع الثاني وأهل المسجد الثاني في تشي ننغ**

وقد وجدنا محرابه حديثاً غير مزخرف، مثل المحاريب الصينية التقليدية، وإنما كتبوا عليه الآية الكريمة ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ** ﴾

## مائدة إفطار:

انتقلنا بعد الاطلاع على داخل المسجد إلى غرفة في طابق ثانٍ ملحق به، فوجدناهم أعدوا مائدة حافلة بطعام يصلح لأن يكون طعام عشاء، بل هو أكثر من ذلك، إذ قدموا فيها لحم الضأن والدجاج المشوي، ولحم دجاج مقلي، وبيضاً وخبزاً لم نر له مثيلاً من قبل لأنه مؤلف من دقيق أبيض متداخل كما تتداخل أجزاء الزهرة، وقد علمنا أنه مطبوخ على البخار، لذلك يبدو أبيض في لون العجين مع أنه ناضج، كما جاؤوا بشعير منقوع في مادة حاذقة، ولبن رائب فوقه زبد أصفر لأنه من لبن البقرة، وقد أضافوا إليه السكر، ولحم مفروم مع الباذنجان، ورأيناهم يأكلونه

بغمسه في خل أسود مملح.

ثم جاؤوا بحساء أي شربة ذكروا أنها شربة البيض.

وهم في أثناء ذلك كله يشربون الشاي ونحن نشرب معهم، ونتحدث عما يتعلق بأحوال المسلمين في هذه البلاد، وعادتهم أن يزيدوا فنجان الشاي ماء حاراً كلما شرب منه صاحبه ليبقى أمامه دائماً وهو مليء بالشاي، ويساعد على ذلك كونهم وضعوا قبل ذلك في الفنجان ورق الشاي الذي يبدو كأنما ينقعونه في ماء الفنجان نقعاً.

مع إمام المسجد الثاني في تشي ننغ في محراب المسجد

وقد ذكروا أنهم بحاجة إلى اثني عشر ألف (يان) لإكمال بعض الأشياء العاجلة في المسجد، فقدمناها لهم فوراً، وأخبرناهم أنها تبرع من

رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وأننا في الرابطة نرحب بطلباتهم في المستقبل لاستكمال المشروعات الإسلامية، سواء ما يتعلق بالمسجد أو ما يتعلق بالمدرسة التي أشرنا عليهم بإنشائها فيه، إذا تقدموا بذلك للرابطة مستوفياً للإجراءات المطلوبة التي أوضحناها لهم.

## الصعود للمنارة:

بني لمسجدهم منارة عالية عربية الطراز، أسفلها مربعة كما تكون عليه الصومعة، وهي المنارة الأندلسية التي تبنى عليها المآذن الآن في المغرب العربي وفي غرب إفريقية.

ومن اللطيف في أمرها أنهم ذكروا أن عدد درجاتها تسع وتسعون على عدد أسماء الله الحسنى، وصعدنا إليها مع الإخوة الرفقاء وذلك من أجل الاطلاع عليها، وإلقاء نظرة عامة من فوقها على هذا الجزء من مدينة (تشي ننغ) والتقاط صور لها.

صورة من رأس منارة المسجد الثاني في تشي ننغ

وصعودها صعب لأنها ضيقةذات درج واقف، ولشيء آخر مهم وهو أن

الصعود في هذا الموقع المرتفع يكون مرهقاً للقلب إرهاقاً مضاعفاً، لأن مدينة (تشي ننغ) ترتفع (٢٣٠٠) متر عن سطح البحر كما تقدم، وقد صورت ما أردت تصويره من رأس المنارة، ومن ذلك هضبة طينية واقفة على الحي الذي فيه المسجد، وفي الهضبة نفسها غرف منحوتة في عرضها.

## المدرسة الثانوية لأبناء الأقليات:

ودعنا الإخوة الكرام أهل المسجد (ان خايو) وسار الموكب من عندهم، فمر بسوق خضرات في المدينة، ورأينا الباعة يحملون بضائعهم على الدراجات، حتى القصابين رأينا أحدهم أحضر اللحم الذي يبيعه على دراجته إلى حانوته.

الدخول لمدرسة القوميات المسلمة في تشي ننغ

(مدير المدرسة على يمين المؤلف، وعلى يساره الشيخ عبد الله، رئيس الجمعية الإسلامية في تشنغ هاي

وهذا القصاب يكون في العادة يبيع لحمه بنفسه لنفسه، أي أنه ليس

موظفاً للحكومة، وهذا شيء صار شائعاً الآن في الصين بعد أن كان ممنوعاً في أوقات التشدد الشيوعي، حيث كان يجب على كل من ينتج شيئاً أن يسلمه للحكومة بالأسعار التي تحددها، ثم تبيعه الحكومة على الناس بالأسعار التي تحددها أيضاً.

وقد كانت نتجت عن تلك السياسة أضرار من أعظمها: فقدان كثير من السلع والمنتجات. أما السياسة الحالية فقد ذكروا أنها عادت على البلاد بفائدة كبيرة، إذ زاد الإنتاج وكثر العرض من البضائع، لأن المنتج يتلقى عائدة إنتاجه لنفسه.

على أنه ينبغي أن نذكر هنا أن الصين لا تزال دولة شيوعية، ولذلك تمنع ما تسميه بالاستغلال، فمثلاً يجوز للفلاح أن يبيع بنفسه ما تنتجه أرضه من خضرات، أو ما يربيه من حيوان، وهو قليل جداً، لأن مساحة الأرض محدودة، ولكنه لا يجوز أن يضم إليه شيئاً يشتريه من الآخرين بقصد الربح والاستغلال.

وإنما يجوز له أن يبيع إنتاجه الخاص، أما الآخرون فإما أن يبيعوا ما ينتجون بأنفسهم، وذلك أكثر فائدة لهم، وإما أن يبيعوه للجمعيات الحكومية والجمعيات التعاونية التي تبيعه على الجمهور.

واخترقنا شوارع واسعة من شوارع هذه المدينة الجيدة.

وفيها رغم العطلة الأسبوعية مشاة ودراجات بينهم مسلمون عليهم (الطواقي) البيض، وقال لنا المرافقون إن بعض الشبان من أبناء المسلمين صاروا الآن يسيرون حاسري الرؤوس، فلا يعرفون على البعد بأنهم من المسلمين.

وصلنا المدرسة الثانوية لأبناء الأقليات، والسبب في وضعها في البرنامج هو اعتبار المسلمين أقلية قومية، خصصت لها الحكومة مع غيرها من أبناء الأقليات مدرسة، بل مدارس، وإن ذلك يدل على عناية الحكومة بهم.

وجدنا عند بوابة المدرسة الخارجية الواقعة على الشارع بعض الموظفين، على رأسهم مدير المدرسة، وهو من إخواننا المسلمين واسمه (عبد الله يانغ) و(يانغ) هو اسم أسرة الأستاذ مصطفى (يانغ) المرافق والمترجم الذي يصحبنا، ومع ذلك يقول: إنه لا يعرف له قرابة به. و(يانغ) حسبما فهمته، معناها: (قصاب).

ودخلنا من البوابة وسط صف من التلاميذ والتلميذات الذين لبسوا ملابس نظيفة ذات أصباغ فاقعة.

المؤلف وسط تلاميذ أحد الفصول في مدرسة القوميات

الطابق الثالث قد أعدت فيها مائدة عليها الخوخ والمشمش والحلوى المغلفة بالورق، والموز وشراب غازي بارد، ومع ذلك شاي صيني حار.

ثم ألقى المدير كلمة باللغة الصينية رحب بها بقدومنا، وشرح كل ما يتعلق بالمدرسة، ومن ذلك قوله: إن المدرسة أسست عام ١٩٨٧، وأنها تضم ٢٠ فصلاً دراسياً، ومساحة مبناها مع باحاتها المكشوفة ٢٠ ألف متر مربع، وأنها تضم ٨٩٠ تلميذاً، منهم ٦٤٧ تلميذاً من المسلمين، يقوم على خدمة الطلبة وتعليمهم ٧٣ مدرساً وموظفاً، وذكر أنها تقبل الطلاب من أبناء المسلمين، والذين لا تقبلهم المدارس الأخرى لكبر سنهم مثلاً أو لغير ذلك، وذكر أن المبنى أنشئ بالتعاون ما بين حكومة مقاطعة شنغ هاي ومحافظة العاصمة، وبلدية الحي الذي تقع فيه، وتبرعات من المسلمين.

ثم صعدنا إلى الطابق الخامس وهو الأخير من مبنى المدرسة الذي هو كبير واسع مبني من الإسمنت المسلح، ورأينا الفراشين قد غسلوا الدرج والممرات لمناسبة زيارتنا، وهنا في الطابق الخامس أطلعنا المدير على فصل خاص بتعليم الموسيقى، انحدرنا بعدها إلى الطابق الأول، فدخلنا فصلاً مليئاً بالطلاب من بنين وبنات، وهو فصل تعليم اللغة الإنكليزية، فاستمعنا إلى المدرس الذي كان إلقاؤه جيداً وانتباه الطلاب وتجاوبهم مع المدرس جيد جداً، ويتم تعليم الإنكليزية هنا على الطريقة التقليدية التي تجاوزتها بعض المدارس بتعليم اللغات بواسطة المختبرات اللغوية الحديثة.

ثم ودعنا المدير والموظفين.

## إلى معبد تار:

يقع معبد (تار) خارج مدينة (تشي ننغ) على مساحة (٢٨) كيلو متراً،

وهو معبد للتبتيين - أهل التبت - الذين ديانتهم الأصلية هي البوذية، غير أنهم يتبعون مذهباً محدثاً فيها من القرن السابع عشر يخالف كثيراً من الأمور الفرعية في الديانة البوذية، حتى صار بعضهم يسميه باسم خاص به وهو الديانة (الدلماسية)، وهي التي تتبع نظام (الدالاي لاما) الذي يعتقد أتباعه أنه ملك إله، أو بمنزلة الإله، لأنهم يقولون: إن كبير آلهتهم قد حل فيه، فصار لا يقول ولا يفعل، بل لا يتصرف في نفسه وفي غيره إلا بأمر من الإله الكبير.

وقد احتل الصينيون الشيوعيون بلاد التبت في عهده، وفر منها خائفاً يترقب، فسلك شعباً صعبة المسالك من بلاد التبت الوعرة على ظهور البغال والجياد وسيراً على الأقدام، حتى وصل بعد متاعب ومشقات إلى الهند، فأعلن نفسه لاجئاً سياسياً فيها، ولا يزال على هذه الصفة منذ أعوام كثيرة.

ولا شك أن وقوع هذه الأحداث الفظيعة المؤلمة له وللمقربين منه، سواء منهم من فر معه إلى الهند، ومن بقي في التبت، ستقنع العقلاء من قومه وممن يعتقدون مثل اعتقاده أنه ليس إلهاً، وأنه بشر مثل غيره من البشر وإلا لما جرى عليه مثلما جرى على غيره من البشر أو أفظع من ذلك.

ذكر لنا مضيفونا منظمو البرنامج أن هذا المعبد البوذي الذي نذهب الآن لزيارته وهو معبد (تار) هو ثاني معبدين مهمين، لا نظير لهما في العالم لأهل ذلك المذهب من البوذيين، وإن المعبد الآخر هو في داخل التبت.

غادرنا مدينة (تشي ننغ) مع طريق واسع جيد يخترق ضاحية من ضواحيها واسعة الشوارع، فسيحة الميادين، وعجبت من التناقض الظاهر بين حال هذا الطريق الواسع وبين حال طريق المطار الضيق غير المعتنى به،

مع أن المتبادر للعقل أن يكون العكس، ولكن السبب في ذلك هو كون الطيران إلى (تشي ننغ) هو حديث، والأجانب الذين يصلون إليها بطريق المطار كان عددهم محدوداً، ولذلك رأيناهم يعملون على فتح طريق حديث واسع من المطار إلى المدينة، بدأوا به من جهة المطار.

خرجنا من (تشي ننغ) مع إحدى ضواحيها الجنوبية، واتجهنا جهة الجنوب إلى المعبد، فسار الطريق مع أرض خصبة خضراء هي امتداد للوادي الخصيب الذي تقع فيه مدينة (تشي ننغ)، ولكنه في محاذاتها يكون ضيقاً وهو هنا واسع، وتحيط بالوادي التلال، أو إن شئت قلت الجبال الطينية المخلوطة بالحجارة.

## ريف تشي ننغ:

وصلنا إلى منطقة ريفية خالصة ذات أرض مزروعة كلها إلى أعتاب تلك التلال العالية.

ورأينا من الطريق (مجصة) وهي التي تحرق فيها الحجارة الجصية، ثم تدق بعد ذلك فتصير جصاً أبيض يزين واجهات المنازل، وتقوى به الأبنية الطينية المعتادة.

ولذلك رأينا عندهم في هذا الريف وفي الريف الذي رأيناه أمس بيوتاً طينية قد زينوا واجهاتها الخارجية بالجص الأبيض، مثلما كان الأغنياء والقادرون منا في القديم يفعلون قبل أن نترك البناء بالطين كله الذي يزينه الجص، وقبل أن نستعيض عنه بالإسمنت بنوعيه، الأبيض والمعتاد.

واخترق الطريق مجموعة مساكن ريفية، رأينا فيها عدداً من المسلمين عرفناهم على البعد بقلانسهم - طواقيهم - البيض.

وتكثر في هذا الطريق سيارات الشحن الكبيرة الخشنة، وهي بأحجامها الكبيرة، وخشونتها المعهودة لنا وأمثالنا، تكاد تغلق الطريق أمام موكبنا، فتلح عليها السيارة العسكرية التي تتقدم موكبنا ببوقها المميز، ونورها الأحمر الذي ينير فوقها، تأمرها بإفساح المجال والبعد عن الطريق، فلا تكاد تنصاع لذلك.

ومررنا بأكوام مكومة من التبن على الطريق معروضة للبيع، ورأينا مقابلاً لها على البعد غرفاً، ولا أقول بيوتاً منحوتة، في إحدى التلال الطينية البعيدة.

## بلدة خوانغ جونغ:

وصلنا إلى بلدة اسمها (خوانغ جونغ) عاصمة محافظة (خوان جونغ)، وتعتبر بلدة مسلمة بأكثرية سكانها من المسلمين الذين تبلغ نسبتهم فيها ٦٢٪.

سلكنا شارعها العام على الطريق الرئيسي الذي جئنا منه، تحيط به أبنية إسمنتية متعددة الطوابق (عمارات).

ولم نقف في شارعها رغم حرصي على ذلك، لأننا في موكب رسمي طويل يجذب وقوفه أنظار كثير من الفضوليين، فلا يتيسر أن أصور ما أريد تصويره بحرية، وإنما واصلنا السير مع الشارع العام حتى وصلنا هدفنا المنشود في ضاحية المدينة، وهو:

## معبد تار:

لم نذهب إلى المعبد مباشرة، وإنما ذهبنا إلى ركن فيه، قصر أو

كالقصر القديم، مخصص لسكن اللامات - جمع لاما - وهم الرهبان البوذيون الذين يعتنقون هذا المذهب البوذي الأصلي، الذي يسمى (الديانة اللامية) أو (الدلماسية).

واجهة معبد تار البوذي في خوانغ جونغ

استقبلنا عند مدخله (اللاما) (أجالوسانغ دوه) ويعتبر كبير اللامات في هذا المعبد الواسع الذي تبين أنه ليس معبداً واحداً، وإنما هو أشبه ما يكون بالمدينة الجامعية التي تضم عدة أقسام وفروع، ومنها مساكن اللامات ومدارسهم ومعابدهم، وكل ذلك مخصص لغرض واحد هو غرض العبادة وفق المذهب (اللامي) أو الدلماسي المتفرع من الديانة البوذية.

صحبنا (اللاما) إلى قاعة استقبال نظيفة مزوقة، بمعنى أنها منقوشة الأعالي، فأجلسنا على مقاعد وثيرة في هذه القاعة، ثم بادر بإلقاء كلمة تضمنت من أهم ما تضمنته التعريف بهذا المعبد، وما يضمه من أقسام.

قال: يعود إنشاء هذا المعبد لعام ١٥٨٣ وهو أحد المعابد البوذية الستة الكبيرة في الصين، وتتألف من ثلاثة معابد كبيرة، ومن مساكن الرهبان

(اللامات) وعددهم (٥٣٠) لاما في الوقت الحاضر، وكان عددهم في السابق (٥٠٠٠) لاما.

قال: وكان (يان جن) لاما يقيم فيها، وقد مات عام ١٩٩٠، وذكر أن المعبد الرئيسي يتسع لخمسة آلاف شخص.

ولم أرد عليه بكلمة مناسبة، لئلا يفسر ذلك على أنه إقرار مني بما قاله عن هذه الديانة الوثنية الباطلة، وإنما اقتصر ذلك على ما ذكرته.

**اللاما الكبير على يمين المؤلف، ويساره الحاج إلياس شان شي رئيس الجمعية الإسلامية في الصين**

وقد لاحظت أن جميع اللامات هنا يلبسون ملابس أرجوانية اللون أو دهماء بمعنى بنية، وهي شبيهة بملابس الإحرام التي تتألف من رداء وإزار، ولكن يكون تحتها ما يقي الجسم من ملابس تقي البرد في هذه البلاد الباردة.

وكنت عهدت الرهبان البوذيين أمثالهم في تايلند ولاوس تكون عليهم هذه الملابس وحدها لأن الجو هناك حار.

كما لاحظت أن هؤلاء مثل أولئك يكادون يكونون كلهم من حليقي الرؤوس.

ثم كان الوداع السريع، ومعه صور تذكارية طلبها القوم المرافقون قبل أن نطلبها منهم، مع أنني حريص عليها لأتحف بها قرائي الكرام.

## جولة في المعبد:

ودعنا (اللاما) الكبير، وأرسل معنا لامين آخرين أحدهما أسمر اللون مستطيل الوجه كأنه من أعراب الجزيرة العربية، وهو في متوسط العمر أظنه في حدود الخمسين، ومعه فتى في حدود الثانية والعشرين.

## تذكار زيارة الدالاي لاما:

كانت أولى الفقرات في هذه الجولة التي هي على الأقدام رغم الصعود والهبوط إلى الأماكن المختلفة المبنية فيها، الدخول إلى قاعة مهمة عندهم، مبنية من الخشب على طراز تقليدي قوي، والبناء بالخشب القوي عندهم، وبخاصة في القديم، دليل على النفاسة والعناية.

ذكروا أنها بنيت - أو لنقل أقيمت _ إذا كان البناء لا يكون إلا من حجارة أو طين، مع أنه يكون حتى من صوف مثل بيوت الأعراب التي يبنونها، بمعنى يقيمونها من الشعر.

ذكروا أن هذه القاعة أقيمت تخليداً أو تذكاراً لزيارة الدالاي لاما لهذه المنطقة في عام ١٧١٧ م، هكذا قالوا، مع أنهم لم يذكروا أي لاما يريدون، مع أن المعروف أن هذه الديانة اللامية قد نشأت في القرن السابع عشر متطورة من البوذية، وذكروا أنها مكان مفضل للدعاء للدالاي لاما

الحالي بالعمر المديد، و(الدالاي لاما) معناه: اللاما الجامع.

وفيها حجر مهم عندهم ذكروا أن والدة مؤسس المذهب (اللامي) كانت تحمل هذا الحجر، فعظموه وقدسوه، وأظنهم قالوا: إن اسمها (تونغ كابا) ولم أتحقق من ذلك.

ثم غرفة أخرى فيها تمثال لبوذا ذهبي اللون، ذكروا أنه من الخشب المكسو بالذهب، وهو مزين بل مزوق ومعتنى به.

## التجديد في الشحاذة:

وانتقلنا عبر الشارع إلى مكان آخر من المعبد، فرأينا شحاذين من البوذيين كثراً، كان أحدهم قد ابتكر طريقة جديدة في الشحاذة، وربما كان مقلداً فيها لغيره من دون أن نعرف ذلك، وهو أنه لبس ثياباً حمراً كثياب اللامات، وإن لم يكن مظهره كله كمظرهم، وعلق في عنقه قلائد وخرقاً بالية، وصار إذا حاذاه شخص ممن يرجو أن يعطيه شيئاً بادر بالزعيق والاستجداء، وسجد له كما نسجد نحن في الصلاة.

وقد بادرت إلى مصورتي التي كانت في يدي أريد أن أخرجها من غمدها وأصوره وهو ساجد، ولكن مرافقيّ أفهموني برفق أن التصوير هنا ممنوع، والواقع أننا رأيناهم كتبوا على مواضع عديدة في المعبد لافتات تقول إن التصوير ممنوع.

وبهذا يكون هذا (الشحاذ) (اللامي) ولا أقول الصيني، لأنه ربما يكون أصله من بلاد التبت، وإلا فإنه من التبتيين الموجودين في الصين قد فاق في طريقة (الشحاذة) والاستجداء شحاذي الهند، ولا فخر له في ذلك.

وعلى ذكر الصين في معرض (الشحاذة) والاستجداء أقول: إنها من

أقل بلاد الله شحاذين، إن لم أقل إنها لا يوجد فيها شحاذون أصلاً.

لامات صغار في منطقة المعبد

## المعبد الرئيسي:

بعد سير طويل متعرج في أفناء هذا المعبد المكشوفة، ودرجه الحجري المتعدد الذي يصعد أحياناً إلى بعض الأماكن ثم يهبط أحياناً أخرى، وصلنا إلى قاعة واسعة ذكروا أنها تتسع لخمسة آلاف متعبد، في حيطانها تماثيل ذهبية أو مذهبة لكبار من كبار دينهم، منهم (بنجا لاما) العاشر و (بنجا لاما) الحادي عشر.

وأهم من ذلك كله عندهم تمثال (كونكابا) مؤسس المذهب (اللامي) الذي يكون فيه (الدالاي لاما) هو الشخصية الرئيسية الذي تتركز في يديه السلطة الدينية والدنيوية، ويعتبره بعضهم الملك الإله.

وقد علقوا في هذه القاعة سجادة أشاروا إليها بإجلال وتعظيم بالغين قائلين: إنها نسجها (الدالاي لاما) بنفسه، ولا أدري من يقصدون، فهم لم يوضحوا ذلك، وربما يريدون به مؤسس المذهب كونكابا.

## ألف تمثال:

تطيف بجهة من حيطان هذه القاعة خزائن صغيرة مثبتة في الحيطان، لها واجهات زجاجية تحتوي على تماثيل لمؤسس المذهب (اللامي) المذكور، ذكروا أن عددها ألف تمثال.

وهناك تماثيل لإله عندهم اسمه (ميلا)، ذكروا أنه إله المستقبل المسؤول عن يوم القيامة، ولا ندري أتشمل وظيفته - عندهم - المستقبل في الحياة الدنيا أم تقتصر على يوم القيامة ؟ و( نعوذ بالله من الدلالات الحرفية لهذا الكلام ).

وهناك كتب عديدة موضوعة في خزائن صغيرة، ذكروا أنها نسخ واحدة لكتاب واحد.

## مولد كونكابا:

وجدنا الغرفة معتمة كسائر محلات العبادة عندهم، بل كسائر القاعات والغرف في أنحاء هذا المعبد الواسع التي لا يكاد من يدخل إليها يبصر قدميه فيها، ذكروا أنها غرفة مولد (كونكابا) مؤسس مذهبهم (اللامي) المتفرع من الديانة البوذية العامة، المبتعد عنها بهذا المذهب في الوقت نفسه.

دخلنا قاعة المولد كما يقولون، وهي مظلمة تضاء بشموع خافتة، تستمد من سمن حيوان (الياك) الذي هو نوع من البقر أو من فصيلته، ويسميه بعضهم هنا (البقر ذا الشعر).

وقد ركزوا الشموع بشمعدانات عديدة غريبة، بعضها مثبت في الأرض على قضيب يرتفع حوالي المتر، وبعضها كبير مدور.

وفي داخل هذه القاعة جماعة يهمهمون أي يقرؤون قراءة غير واضحة، وبعضهم يهزون ظهورهم أو رؤوسهم عند القراءة لا يفترون عن ذلك حينما رأيناهم، وقراءتهم من أوراق وكتب مؤلفة من أوراق، أي أنها غير مجلدة، وهذه الأوراق عريضة جداً من غير طول، أي أن الورقة تمتد جهة يمين القارئ وشماله ولا تمتد أمامه كما تكون عليه الحال عندنا.

ذكروا لنا أنهم يتعبدون بهذه الهمهمة، وهي معتادة لنا، إذْ سبق أن رأيته في عدة معابد بوذية في لاوس وتايلند وسرلنكا.

ورأينا زائري المعبد ممن هم على دينهم يجلسون على الأرض فور دخولهم للقاعة بجانب هؤلاء القارئين أو المهمهمين.

أما نحن فإننا وقفنا وقفة المتفرج، وهذا أمر معروف للجميع، لأن معنا من رئاسة المعبد مرافقين اثنين من (لاماتهم).

## العبادة اللامية:

لم نقل العبادة البوذية، وإن كانت هذه الديانة (اللامية) بوذية الأصل، وذلك لكون عبادتهم مغايرة لما نعرفه عن العبادة البوذية.

خرجنا من غرفة مولد (كونكابا) إلى رواق يتقدمها، فوجدنا فيه طائفة من المتعبدين يمارسون عبادتهم، وكلهم من الشبان أو من هم في منتصف العمر، ولكنهم أقوياء الأجسام، والمتعبدات من النساء فيهم أكثر من الرجال.

وعبادتهم تكون بأن يقف الواحد منهم على طرف فراش من اللباد أو الصوف الخشن مفروش في الأرض كما يفرش النائم فراشاً لنفسه، إلا أنه غير عريض، فلا يزيد على ما يسع جسم الإنسان البدين، ويكون وقوفه

وهو ضام إحدى كفيه إلى الأخرى بجعل باطن الكفين يلتقيان، وفي يده سبحة كثيرة الخرز طويلة، ربما تحتوي على مائة وخمسين خرزة، ولا يتمهل المتعبد في وقوفه، ويبدو في ذلك الوقوف وكأنه ليس في عبادة، لأنه يتلفت وإنما يخر إلى الأرض على وجهه مسرعاً، فينبطح عليها انبطاحاً مباشراً ممدداً جسمه كله ،ويكون وجهه تلقاء الأرض فوق كفيه اللتين فيهما المسبحة، ثم لا يلبث في الأرض إلا بمقدار ربع دقيقة أو أقل، حتى ينهض بعدها نهوضاً مباشراً مسرعاً، ليقف للحظة يعاود بعدها الانبطاح على ذلك الفراش، وكثيراً ما يكون لوقع جسمه على الأرض صوت، ولجسمه ارتجاج، وكان هذا الارتجاج أكثر ما استرعى انتباه المرافقين في النساء الشابات اللاتي يمارسن هذه العبادة الشاقة.

وهذا الانبطاح الذي هو بمثابة السجود دون ركوع أو تمهل أو انتقال بالجسم من حالة الوقوف إلى حالة الانبطاح على الوجه.

وقال لنا (اللاما) المرافق: إن ديننا يفرض على الواحد منا أن يفعل هذه العبادة مائة ألف مرة في السنة، سواء فعلها مجتمعة متصلة أو فعلها متقطعة، مع العلم بأننا رأينا بعض النساء سجدن منبطحات عدة مرات في دقائق معدودة.

## الخرافات البوذية:

لا تخلو العبادة البوذية من خرافات تتعلق بغير الدين إلا من ناحية التحريم والتحليل لها نفسها، من ذلك ما رأيتها في مدينة (ماندلي) ثانية مدن بورما بعد العاصمة رانقون، في تلك المدينة دخلنا أكبر معبد فيها، ورأينا في أركان منه خرافات ظاهرة، منها تماثيل لحيوانات يقولون إن من مسها زايله ما يحس به من شيء مؤذ أو حصل على ما يريد من شيء سار.

من ذلك تماثيل فيل يمنح من يلمسه القوة، وتمثال أسد كذلك، وهكذا لعدد من الحيوان.

وتماثيل عديدة لبوذا يصبون عليها الماء كمن يغسلونها، يقولون إنها تكفر الذنوب.

وتمثال آخر خاص في مكان منفرد لبوذا يزعمون أن من يشتكي مرضاً في عضو من أعضاء بدنه ما عليه لكي يزايله ذلك المرض، إلا أن يلمس العضو المماثل له من التمثال، كمن يحس بألم في عينه يمكنه أن يضع يده على عين التمثال، فيذهب عنه المرض، وكذلك من يؤلمه ظهره يمسح ظهر التمثال، فيذهب عنه ألمه.

وفي هذا المعبد رأيناهم رفعوا وعاء من الحديد الخفيف منقوش بنقوش فاقعة، وعلى هيئة (البرميل) الصغير الذي يستدير عند لمسه، يزعمون أن من يديره بعد أن يتبرع بشيء للمعبد من النقود، ولو كانت تافهة، فإنه سيكون ذا حظ عظيم، وبعضهم يقول: إنه يعرف أيكون حظه جيداً أو عكس ذلك، وبعضهم قال لنا: إن ذلك يعني أن يتحقق طلبه، قال هذا واحد من الجمهور الذي كان موجوداً في هذا المكان من المعبد عندما وقفنا عنده.

والأغرب من ذلك أوعية معلقة يديرها بعض اللامات وغيرهم من أجل أن يستطيعوا فهم كتابهم الديني المكتوب بلغة صعبة.

ويريدون من ذلك أن يوفقوا لفهم ذلك الكتاب.

والمؤسف أنهم منعوا التصوير في أكثر هذه الأماكن، إن لم يكن في كل الأماكن الداخلية التي تجري فيها عباداتهم، ولذلك اقتصرت مع

طائفة من السياح الغربيين رأيناها مصادفة تزور مثلنا هذا المعبد على تصوير الأماكن الخارجية منه.

ثم عدنا إلى (تشننغ) بعد أن التقطت صورة لشارع (خوان جونغ) العام، وقد أضعنا وقتاً وجهداً في زيارة هذا المعبد البوذي (اللامي)، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرناه لما كان ذلك، لأنه ليس في مثل هذه المعابد البوذية جديد، إلا إذا كان المعبد فيه معهد أو متحف يمكن أن يحتوي على ما يستحق الزيارة، وأما في معبد (تار) هذا فإن الشيء الجديد فيه هو طريقة العبادة عند (اللاميين) التي لم يسبق لي أن شاهدتها من قبل.

**اللقاء بحاكم المقاطعة:**

**في قاعة الاستقبال مع حاكم تشنغ هاي على يساري،**

**ويميني الحاج إلياس، فالدكتور سعيد باديب،**

**وفي الخلف المترجم مصطفى يانغ**

لا بد في جميع زياراتنا للصين في هذه المرة من أن تتضمن زيارة

لمقاطعة من مقاطعاتها التي نزورها ، واللقاء بحاكم المقاطعة ، ويكون ذلك على هيئة حفل استقبال يقيمه الحاكم تتبعه مائدة عشاء.

وهكذا كان الأمر في هذه المقاطعة ،غير أن اللقاء بحاكم مقاطعة (تشنغ هاي) هذه هو مختلف عن المقاطعات الأخرى التي زرناها ، ذلك بأن الحاكم هو أخ مسلم لنا من إخواننا المسلمين الذين يتبوؤون هذا المنصب الرفيع، مع أن المسلمين أقلية في المقاطعة ، بمعنى أنهم ليست لهم الأكثرية العددية وإلا فإن عددهم فيها كثير، وهم موجودون في أغلب أنحائها.

على أن الحاكم سيقيم لنا في هذه المرة مأدبة غداء لا مأدبة عشاء ، لأنه من المقرر لنا أن نختتم زيارتنا لمقاطعة (تشنغ هاي) هذا العصر، حيث سنسافر بعد ذلك إلى مقاطعة (كان صو)، وفي فجر الغد نغادرها إلى مقاطعة (سي تشوان) في وسط الصين الغربي.

كان موعد اللقاء بالحاكم في الواحدة ظهراً ، فذهبنا إلى قاعة الاجتماع من فندق (تشيننغ) حيث وجدنا الحاكم في الانتظار، واسمه محمد (جن جي بنغ)، ونائبه أي نائب الحاكم محمد (تولا بنغ لي)، ونائب رئيس برلمان المقاطعة صديق (ماشي كنغ) ونائب رئيس المجلس الاستشاري للمنطقة أيوب (ها بن شوا)، ورئيس لجنة شؤون القوميات محمد صالح مايو قونغ، وشعيب خه ينغ شه نائب رئيس المجلس الاستشاري لمقاطعة شنغ هاي، وكلهم من الإخوة المسلمين مما يدل على قوة مركز المسلمين في هذه المقاطعة.

كما حضره عدد عديد من مصوري التلفزة والصحافة ومحرري الإذاعة وغيرهم.

ولذلك سجلوا بالصورة والصوت كل ما دار في هذا الاستقبال.

حاكم مقاطعة تشنغ هاي بالعباءة التي قدمها له المؤلف هدية

وقد افتتح الحاكم الأخ محمد الاجتماع بكلمة ضافية، رحب في أولها بوفدنا ترحيباً حاراً، ثم قدم تعريفاً مفصلاً بهذه المقاطعة مقاطعة (تشنغ هاي)، وركز على أهمية تقوية العلاقات الاقتصادية والثقافية بين هذه المقاطعة وبين المسلمين في أنحاء العالم الذي قال: إن فيه فائدة للطرفين، وإنه يتمشى مع سياسة الصين التي تتضمن الإصلاح في الداخل، والانفتاح في الخارج، وقال: إننا نتطلع إلى تقوية العلاقات ما بين هذه المقاطعة والمملكة العربية السعودية، لأنها علاقات مهمة بحكم العلاقات الإسلامية التي تصل بين مسلمي شنغ هاي والأراضي المقدسة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم، ويزورونها لأداء فريضة الحج.

وقال: إن الظروف الطبيعية جعلت مقاطعة تشنغ هاي مختلفة، ولكنها حالياً بعزم أهلها احتلت موقعاً بين المناطق النامية، وخاصة بعد أن بدأ في تطبيق سياسة الانتاج منذ عام ١٩٧٨، ومقاطعة تشنغ هاي تشهد تطوراً كبيراً في مختلف مجالات الزراعة والصناعة والثقافة والتعليم والمواصلات، فالطرق المعبدة تربط كل قرى تشنغ هاي، وهناك ١١٠٠كم

من خط سكة الحديد، والتعليم ميسر لجميع أبناء تشنغ هاي، وهناك سبع جامعات، وعدد من المعاهد الفنية والمهنية، ويبلغ عدد الأسرة في المستشفيات أكثر من عشرة آلاف سرير.

وذكر بأن الحكومة الصينية تعتمد سياسة التعاون مع جميع القوميات على قدم المساواة، فالمواطنون من كل القوميات، وأتباع الأديان المختلفة يعملون جنباً إلى جنب في بناء الوطن.

ومقاطعة تشنغ هاي تتطلع إلى تعزيز علاقاتها التجارية والثقافية مع الدول العربية والإسلامية، ويمكن أن تتصل مقاطعة تشنغ هاي بطريق بري مع مقاطعة شنجانغ (تركستان الشرقية) المتاخمة التي يربطها طريق بري بباكستان، وتقوم مقاطعة تشنغ هاي بجسر الصداقة بين البلدان العربية وخاصة المملكة العربية السعودية ومختلف مقاطعات الصين.

وقد ألقيت كلمة في الرد على كلمته حمدت الله سبحانه وتعالى فيها الذي قدر هذا اللقاء المبارك بإخوتنا المسلمين في هذه المقاطعة، وقلت: إننا جئنا إلى زيارة الصين استجابة لدعوة من الجمعية الإسلامية الصينية التي تربطنا بها علاقات إخوية متينة منذ سنين طويلة، وإنه كان من دواعي سرورنا أن تشمل زيارتنا للصين هذه المرة زيارة مقاطعة (تشنغ هاي).

ثم شرحت لهم مهمة رابطة العالم الإسلامي وسعيها في تقوية أواصر المحبة والتواصل بين المسلمين كافة في أنحاء الأرض كلها، لأن في ذلك امتثالاً للآية الكريمة ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ ومن المعلوم أن التعاون لا بد له من التواصل، لأنه إذا كان المسلم لا يعرف شيئاً عن أخيه المسلم أو إنه لم يكن بينه وبينه أي اتصال لم يستطع التعاون معه.

وقلت: إن وجودكم على رأس الإدارة في هذه المقاطعة المهمة،

وكذلك وجود إخوانكم المسلمين الحاضرين معنا في وظائف مهمة رئيسية هنا يعيد إلى أذهاننا ما ذكره ابن بطوطة عن أن المسلمين في الصين كانت لهم مراكز مهمة، وأنهم كانوا محترمين من الحكومة والشعب، ولا شك أن ذلك مما يسهم في تمتين أواصر الصداقة بين الشعب الصيني والشعوب الإسلامية.

إن الإسلام الذي دخل إلى هذه البلاد الصينية بطريق الإقناع والاقتناع قبل ١٣٠٠ سنة قد أصبح جزءاً من التراث الثقافي للصين الشعبية، لأنه جزء من عقيدة طائفة منهم من الشعب الصيني العظيم، وإن ثقافته أصيلة في هذه البلاد.

بل إن العرب والمسلمين كانوا ينظرون إلى الصين نظرة إجلال، بدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (اطلبوا العلم ولو في الصين)، مما يشعر بأن في الصين في ذلك الوقت علماً وثقافة، وأما ما يتعلق بتقوية العلاقات الثقافية والاقتصادية ما بين هذه المقاطعة والمؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي، فإن ذلك أمر مطلوب، وهو في مصلحة تقوية الصلة بين الشعوب الإسلامية والشعب الصيني، وأرى أنه يمكنكم أن تطرحوا ما ترونه خلال هذا الاجتماع متعلقاً بهذا الموضوع، وسوف نقوم بدور الوسيط في ذلك لدى الغرف التجارية والمؤسسات الاقتصادية في بلادنا.

ثم ذكرت ما تستطيع رابطة العالم الإسلامي أن تقدمه فيما يتعلق بترميم المساجد وتقديم المنح الدراسية، وإرسال المصاحف الكريمة وترجمات معاني القرآن الكريم بالصينية.

## مائدة الغداء:

وانتقلنا بصحبة الحاكم وكبار الموظفين الذين كانوا معه ومصوري التلفزة والصحافة إلى قاعة خاصة كبيرة مؤلفة من قسمين، بينهما فناء مسقوف بزجاج مشجر وفيها نافورة، وكتب على بابها بالعربية (مطعم المسلمين) وبجانبه مكان للصلاة، وبعد المقبلات المعتادة شكلاً وإن اختلفت نوعاً ومقداراً مما لا أقصه عليك، لأنه بمثابة التكرار لما سبق ذكره، قدموا أطباق الطعام الرئيسية، فكان أولها بياض البيض بالشعري، والمراد بذلك خضار يسمونه الشَّعَريّ، لأنه يشبه شعر الإنسان، ويقولون إنه ينبت في الغابات، ثم لحم الدجاج مع أعشاب لا نعرفها، ولكن طعمها لذيذ، ثم سمك من بحيرة (تشنغ هاي) التي سميت المقاطعة باسمها وهي بحيرة ذات مياه ملحة كما تقدم.

ثم أحضروا كباباً صغير القطع منظوماً في قضبان دقيقة من الحديد، جاؤوا بعده بشواء من الكباب بينه قرون من الفلفل الحار لمن يفضل شواء الكباب بالفلفل.

وتواصلت الصحون والأواني المليئة بأنواع الطعام الغريبة على أذهاننا وآذاننا، وهي أكثر غرابة في أذواقنا، والمراد بها الأذواق الحسية، ومنها خضرات مطبوخة معها فطر الغابات الذي هو أسود فيه صلابة، ولكنهم يكافحون ذلك بجعله قطعاً رقيقة.

## الطبخ على المائدة:

ظننا أنهم استنفدوا الأطعمة التي يقدمونها على المائدة، وإذا بهم يستأنفونها بطريقة عجيبة، إذ أحضروا سموراً وهو الموقد المشتعل، وكنا

كما نعرفه قديماً عند الأغنياء في بلادنا يوقد عليه بالفحم الصلب الخالي من الأخلاط، إلا أنهم هنا يوقدون عليه من خزان صغير في أسفله مليء بالغاز، فوضعوا أمام كل واحد موقداً من هذه المواقد، وأحضروا إليه إناء فيه شرائح رقيقة من لحم الغنم، حتى تكاد رقتها تكون في رقة ورق الكتابة، تضعها في الماء الذي يغلي، وتضع معها عجيناً أملس على هيئة خيوط كخيوط المكرونة، إنه من دقيق الفول السوداني، وخضرات كالخس، وما هي بالخس، وتظل تطبخ لنفسك ما يروق لك من هذه الأشياء، فما رأيت أنه نضج منها انتزعته من الموقد ووضعته في (سلطانية) صغيرة أمامك، وتغرف - إذا شئت - من مرقه الذي أضيفت إليه التوابل والبهارات قبل أن يضعوه بين يديك، والعجيب أنهم يستعملون الأعواد الملس في هذا الطبخ، سواء منها ما كان أخذاً مما لم ينضج، وكذلك ما نضج بعد طبخه بالموقد.

وعندما رأونا لا نعرف بالضبط كيف نطبخ هذا الطعام أخبرونا أن اللحم يحتاج في العادة ثلاث دقائق إلى أربع دقائق لطبخه، أما الخضرات والدقيق الذي معه فإنها تحتاج أكثر من ذلك، والسبب أن اللحم مؤلف من شرائح رقيقة جداً كما تقدم، فهي تنضج بسرعة، ومع ذلك رأيتهم يضعونه في توابل تساعد على هضمه.

وقد أحصيت ما وضعوه من هذه المواقد على المائدة فإذا بها ١٤ موقداً، فرثيت لعاملات المائدة اللائي تبين أنهن من المسلمات إذ تحضر الواحدة منهن هذا الموقد والماء الذي فيه يغلي والنار مشتعلة فيه، وقد جعلت على يدها وقاية عن حره.

أما الحلوى فقد أحضروها في أثناء المائدة، وهي على هيئة مربعات

حلوة مغمورة باللبن، جاؤوا بعدها بمكرونة وخضرات ذات أعواد طويلة لينة لا أذكر أنني رأيت مثلها في أي مكان في العالم، فضلاً عن أن أكون أكلتها، فصرنا نطبخها على الموقد مع اللحم أيضاً.

ومن اللذيذ والطريف في الأمَر أن كل شخص عند ما انتهى من طبخ ما أمامه عاد إلى ما في القدر، وكان قد نقص مقداره كثيراً بسبب الطبخ والتبخر.

ثم أحضروا الفاكهة في وسط الطعام كعادتهم فيها وفي الحلوى، فكانت فاكهتهم من البطيخ الأخضر (الحبحب) ومعها نوعان من الفاكهة الصينية التي لا نعرفها، ثم أحضروا فطراً أبيض كالإسفنج قد غمسوه في حلو ليكون بمثابة الحلوى.

جاؤوا بعده بشيء قليل تقديمه عندهم في العادة، وهو اللبن الرائب (الزبادي)، قد وضعوا عليه السكر ومعه مصاصة وهي الأنبوب الدقيق يحرك المرء منهم ذلك الزبادي بالمصاصة ثم يمتصه بها.

وهكذا استمرت هذه المائدة الغريبة التي فيها من المتعة بالتعرف على شيء جديد ما يعادل ما فيها من الاستمتاع بطعام لذيذ مفيد.

وعند الانتهاء من الطعام والكلام، كان تقديم الهدايا المتبادلة، ثم قدموا لنا العاملات في المطعم وكلهن من المسلمات ذوات الوجوه المشرقة، فمنحناهم من الهدايا تمراً من تمر المدينة المنورة على حد قول المثل العربي القديم: ((من حضر القسمة فليقتسم)).

وهذه عادة متبعة للصينيين أن يقدموا للمدعوين من المسلمين الطباخين أو القائمين على إعداد الطعام، ليعرفوا أنهم من المسلمين

بالفعل، فيطمئنوا إلى سلامة الأكل، وقد يقول قائل: إن ذلك ربما لا يكون دقيقاً، إذ كيف يعرف الضيف الغريب المسلمين من غيرهم ؟ والجواب أن ذلك معروف من اللباس وشكل الوجوه فضلاً عن كون المرافقين المسلمين من الصينيين يتحدثون مع الطباخين فيتأكدون من ذلك بالفعل.

وقد استغرق الاستقبال والطعام مع حاكم هذه المقاطعة الأخ محمد (جن جي ينغ) ومرافقيه ساعتين ونصفاً إذ خرجنا من عنده في الثالثة والنصف ظهراً.

## مغادرة سقف الصين:

مررنا مروراً عاجلاً بجامع (تشيننغ) من أجل أن نعطي الإخوة المسلمين المسؤولين عنه بعض المبالغ التي أعلناها لهم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي، ثم غادرناه إلى فندقنا فندق (تشنغ هاي) حيث حملنا أمتعتنا على عدد من السيارات.

وغادرنا مدينة (تشيننغ) في الخامسة والنصف عصراً متوجهين إلى مدينة (لان تشو) عاصمة مقاطعة (كان صو) بطريق البر والمسافة بينهما تبلغ (١٩٢) كيلاً، من المقرر أن تقطعها سياراتنا في ثلاث ساعات ونصف أو أربع ساعات.

والحديث عن هذه الرحلة البرية وما بعدها من المرور بمطاري (لان تشو) و(تشنغ دو) في مقاطعة (سي تشوان) ثم السفر جواً إلى بلاد التبت التي يسميها الناس « سقف العالم» في كتاب آخر عنوانه « على سقف العالم ». والله المستعان وعليه التكلان.

# الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ..٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٠
مقدمة.....١٣
السفرة الثانية: .....١٧
الغرض من الرحلة: .....١٨
من الرياض إلى بكين: .....٢٣
مغادرة الرياض: .....٢٣
السفر إلى مسقط: .....٢٥
في مطار مسقط: .....٢٧
سموم نصف الليل: .....٢٧
إلى هونغ كونغ: .....٢٩
في مطار بانكوك: .....٣٢
من بانكوك إلى هونغ كونغ: .....٣٤
مطار هونغ كونغ: .....٣٤
في هونغ كونغ: .....٣٦
المطعم الحلال: .....٣٧
من هونغ كونغ إلى بكين: .....٣٩
في مطار بكين: .....٤٤
إلى مدينة بكين: .....٤٦
لا سماح بالسيارات الخاصة: .....٤٧
المطعم الإسلامي: .....٤٩
برنامج الزيارة: .....٥١
صباح بكين: .....٥٣
إلى سقف الصين .....٥٥
مقاطعة تشنغ هاي: .....٥٧
تسميتها: .....٥٩
المناخ: .....٦٢
الزراعة: .....٦٢
الصناعة: .....٦٣
المواصلات: .....٦٤
من بكين إلى تشي ننغ: .....٦٤
إلى تشي ننغ: .....٦٩
فوق تشنغ هاي: .....٧٠
الحشود الضخمة: .....٧٢
في مطار شي ننغ: .....٧٣
السلام الكثيف: .....٧٦
الموقع العجيب: .....٧٩
من المطار إلى المدينة: .....٧٩
نهر المياه العذبة: .....٨٣
مدينة شي ننغ: .....٨٦
الاستقبال الكبير: .....٨٨
الغداء في المسجد: .....٩٤
مخاطبة الجموع: .....٩٥
صلاة الجمعة: .....٩٩
ولكن كيف الخروج ؟ .....١٠١
كلام حكومي عن الجامع: .....١٠٣
فندق شي ننغ: .....١٠٧
جولة في مدينة تشي ننغ: .....١٠٩
الحي الغربي: .....١١٠
حي البوابة الشرقية: .....١١٢
الجبل الذي يمنع البرد: .....١١٢
تاريخ إنشاء المدينة: .....١١٣

مصرف المسلمين: ..... ١١٤
مركز الخدمات للمسلمين: ..... ١١٥
الاجتماع بأئمة المساجد: ..... ١١٧
المسلمون في تشنغ هاي: ..... ١١٨
اسم المقاطعة: ..... ١١٨
المسلمون في المقاطعة: ..... ١١٩
دخول الإسلام إلى المقاطعة: ..... ١٢٠
مأدبة الجمعية الإسلامية: ..... ١٢٣
الطعام العجيب: ..... ١٢٥
الحساء في وسط الطعام: ..... ١٢٦
والحلوى أيضاً... ..... ١٢٦
شواء القضبان: ..... ١٢٨
الحساء الرابع: ..... ١٢٨
إفطار صيني: ..... ١٣٢
إلى محافظة سن هوا: ..... ١٣٣
المضيق الصغير: ..... ١٣٧
مع الوادي الخصيب: ..... ١٣٨
قرية بي آن: ..... ١٤٠
قرية مسلمة: ..... ١٤١
قرية التمثال الحجري: ..... ١٤٢
المنطقة الخضراء: ..... ١٤٣
جبل الرمل الأزرق: ..... ١٤٤
منطقة للمسلمين: ..... ١٤٥
سقف الصين: ..... ١٤٧
قرية زابا: ..... ١٤٩
زلق الحمار... ..... ١٥١
وقرية مسلمة اخرى: ..... ١٥٢
بلدة جاهو: ..... ١٥٣
مدينة بايا لنغ: ..... ١٥٤
المضيق: ..... ١٥٦
بلدة لامو: ..... ١٥٦
غطاء الرأس والوضع الاجتماعي للمرأة ١٥٧
وبلدة قادو: ..... ١٥٨
مستقبلون من سون هوا: ..... ١٦٠
النهر الأصفر: ..... ١٦٠
مدينة سون هوا: ..... ١٦١
الاستقبال العظيم: ..... ١٦٢
مائدة المكسرات: ..... ١٦٤
تاريخ الإسلام في المحافظة: ..... ١٦٥
المصحف التاريخي ..... ١٦٨
الخال الأسود والخال الأبيض: ..... ١٧٠
عين الجمل: ..... ١٧٢
اللغة السلارية: ..... ١٧٥
مأدبة سلارية: ..... ١٧٧
أحوال المسلمين في المنطقة: ..... ١٧٨
المائدة: ..... ١٨١
عود إلى المسجد الجامع: ..... ١٨٤
مغادرة العاصمة: ..... ١٨٨
قرية تشين شوي: ..... ١٩٠
الغداء الثاني: ..... ١٩٣
إلى محافظة خالونغ: ..... ١٩٤
قرية خاتن قان تو: ..... ١٩٧
الغداء الثالث: ..... ١٩٨
العودة إلى تشي ننغ: ..... ٢٠٠
إلى مسجد آخر: ..... ٢٠٢
مائدة إفطار: ..... ٢٠٤
الصعود للمنارة: ..... ٢٠٦
المدرسة الثانوية لأبناء الأقليات : ..... ٢٠٧
إلى معبد تار: ..... ٢١٠
ريف تشي ننغ: ..... ٢١٢

بلدة خوانغ جونغ: ..... ٢١٣
معبد تار: ..... ٢١٣
جولة في المعبد: ..... ٢١٦
تذكار زيارة الدالاي لاما: ..... ٢١٦
التجديد في الشحاذة: ..... ٢١٧
المعبد الرئيسي: ..... ٢١٨
ألف تمثال: ..... ٢١٩
مولد كونكابا: ..... ٢١٩
العبادة اللامية: ..... ٢٢٠
الخرافات البوذية: ..... ٢٢١
اللقاء بحاكم المقاطعة: ..... ٢٢٣
مائدة الغداء: ..... ٢٢٨
الطبخ على المائدة: ..... ٢٢٨
مغادرة سقف الصين: ..... ٢٣١
المفهرس ..... ٢٣٣

https://dawa.center
المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

## كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت : رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

### الرحلات الإفريقية.

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي.
١٢- إلى إرتيريا بعد ٣٦ سنة.
١٣- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

### رحلات في القارة الأوربية

١٤- البرتغال وبلجيكا وهو[illegible]
١٥- شمال الشمال: الـ[illegible] وفنلندا.
١٦- التعليق على السفر [illegible] قطار البلطيق.
١٧- من كوبنهاجن إلى كييف مرورا بباريس.
١٨- رحلة الشمال.
١٩- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
٢٠- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
٢١- تجوال في بلاد البرتغال.
٢٢- رحلة الأندلس.
٢٣- زيارات خاطفة لمدن أوربية مختلفة.
٢٤- العودة إلى داغستان.
٢٥- من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء.

### الرحلات الهندية

٢٦- على أعتاب الهملايا.
٢٧- رحلات في شمال الهند.
٢٨- بلاد الهند والسند: باكستان.
٢٩- في الشمال الغربي من الهند.
٣٠- في أقصى شرق الهند.
٣١- وسط الهند.

### الرحلات الآسيوية

٣٢- رحلات في بلاد الملايو.
٣٣- في مهد الترك: تركستان الشرقية.
٣٤- في أحناء إندونيسيا.
٣٥- في شمال شرق آسيا.
٣٦- جمهورية قازاغستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣٧- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٨- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

### رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٩- [illegible] في بلاد [illegible] الأبعد [illegible].
٤٠- [illegible].
٤١- [illegible].
٤٢- [illegible].
٤٣- شمال البرازيل.
٤٤- وسط البرازيل.
٤٥- فنزويلا وترينداد.
٤٦- في الشرق الشمالي من البرازيل.
٤٧- رحلات فنزويلية.

### رحلات في أمريكا الشمالية

٤٨- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية
٤٩- تلبية النداء لزيارة كندا

### الرحلات الصينية

٥٠- في وسط الصين.

### الرحلات الكاريبية

٥١- المارتينيك وبربادوس.
٥٢- دومنيكا وقواديلوب وأنتيقوا.
٥٣- بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان.

### رحلات بلقانية

٥٤- كرواتيا وسلوفينيا.

### أستراليا وجنوب المحيط الهادئ

٥٥- في شمال أستراليا.
٥٦- في جنوب أستراليا.
٥٧- في شرق أستراليا.
٥٨- في غرب أستراليا.
٥٩- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٦٠- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

### رحلات في جمهوريات الموز

٦١- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٦٢- السفر والأوبة من كوبة.
٦٣- التشريق بعد التغريب، في بحر الكاريب.

### الرحلات الروسية

٦٤- جمهوريات القبائل الروسية.
٦٥- إقليم أورنبورغ.
٦٦- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٦٧- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

### الرحلات السيبيرية

٦٨- غرب سيبريا.
٦٩- شرق سيبريا.

ردمك : ٤-٠٣٢-١٠-٩٩٦٠

مطبعة العلا - هاتف: ٤٨٣٤١٧١ - فاكس: ٤٨٠٣٨٨٩